



كتاب المونس

في

اخبار افرقيسة وتونس

تأليف

الفقيه النبيل العلامة ابي عبد الله الشيخ

محمد بن ابي القاسم الرعيي القيرواني

المعروف

بابن ابي دينار

رحمهما الله تعالى

بجانب

طبعة اولي

بمطبعة

في مطبعة الدولة التونسية بمحاضرتها المحمدية

١٢٨٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الحمد لله الذي لا يبدأ احد في كتاب إلا باسمه ليصل الى التمام *
لا يدون ديوانا إلا ويشحنه بالثناء عليه بما له على العباد من الفضل
الانعام * ولا يورخ تاريخا إلا ليعلم من عجائب مخلوقاته وكرامات مصنوعاته
ما تعجز عنه العقول وتقتصر عنه الافهام * الملك الذي بيده مقادير الامور
مدى الدهور والاموات * الذي اخترع العالم بحكمته وبرزه للوجود بقدرته
تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام * احده جد سن اقر برؤيته واعترف
بوجدانيته من غير شك ولا ايهام * واشكركه شكر سن وهدم جزلا من فضله
فطلب منه المزيد بالشكر لقوله اشكروني اذككم من الخير والانعام * وانهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له المنفرد بالتصرف في ملكه وملكوته
بالعدل والاكرام * واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي جاء بالصدق
وقطع دعوة الملاحدين من كلام العزيز العلام * وهاجر من اعز البقاع الى
اعز البقاع فاقام الدين واطهر شرائع الاسلام * ويوم هجرته صار تاريخا لمن
تمسك بشريعته بين الانام * صلى الله عليه وسلم صلاة عاطرة يتسرع من
نشرها مسك الختام * وعلى اله الطاهرين الطيبين الذين انثى عليهم الملك
العلام * انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا
من جميع الانام * وعلى اصحابه الذين فتحوا مشارق الارض ومغاربها

وهدموا صوامع الشرك وقتلوا عباد الاصنام * واعلنوا بكلمة التوحيد فالتار
 الهدى وانقطع الباطل وارتفع الخصام * صلاة وسلاما ادخرهما ليوم العرض
 والزحام * يوم تبيض وجوه وتسود وجوه تكون لي نجاة من النار ومشوية بالفوز
 في دار السلام * ورضي الله عن التابعين وتابع التابعين لهم باحسان الى يوم
 الدين السادة الفضلاء الاعلام * ما ترم طير على ايكه ورقم على منابر الاصابع
 خطباء الاقلام * وبعد فيقول العبد الفقير الى رحمة الملك الغفار * محمد بن
 انبي الفاسم الرعيني القيرواني المشهور بابن انبي دينار * عامله الله بلطفه *
 وامبل عليه ستائر حلمه وعطفه * بمنه وكرمه * امين * قال بعض اهل العلم
 ان في علم التاريخ عبرة لمن يعتبر * وتذكرة لمن يتذكر * لانه ينبي عن صنع
 الله في القرون الخالية * وكيف تصرف قدرته بارادته في الامم الماضية *
 وحكمته تعالى جلوية في مخلوقاته بعدله واحسانه بحسب ارادته على
 مر الدهور والازمان * وهو سبحانه وتعالى كل يوم * وفي شأن لا يشغله شأن
 من شأن * وقيل تعالى فل سيروا في الارض على احد اقوال المفسرين هو
 النظر في كتب السير * والتطلع على اخبار الماضيين من البشر * فمن امعن
 النظر في اخبار الماضيين راي ما يعجب منه العجب * وان تأمل سير الملوك
 سرح طرفه بمرآة الزمان في مروج الذهب * وان شنف سمعه باخبار
 الزمان * اغتم ازهار حدائقها عن فلائد المرجان * وعلم ان الدر المشرق *
 في اخبار اهل المشرق * وان استغرب فالعرب * عن احوال اهل المغرب *
 فان اختصر فالمختصر في اخبار البشر * والمحدث شجون * والعشق جنون *
 والجنون فنون * وكل حزب بما لديهم فرحون * ولهذا كنوت كتب السير
 في غالب المعثور من الارض الا ان كل امته يستمد بعضها من بعض * والبلاد
 متفاوتة على قدر مراتبها * والقول مختلف في ما تجمع من عجائبها وغرائبها *
 الا ان مدينتنا الخضراء العلية * وعروس البلاد الافريقية * تونس حرسها
 الله تعالى لم يتقيد لجمع اخبارها مصنف * واذا تأمل المتأمل الى معانيها
 وترتيبها وجدها احق بالتصنيف من غيرها اذا كان المتأمل منصفا لا

متعسف * لانها عروس بلاد الغرب ونزهة الاقليم الافريقي ودار الخلفاء
من بني ابي حفص * وهي اشهر من فار على علم وخبرها روتة الشقاقة بالنقل
والنص * وتمت محاسنها وان كانت غير ناقصة بالدولة العثمانية * وعظم
صيتها بين حبايبها لما نشرت عليها الاعلام الحاقانية * إلا انه تقدم لابن
الهيثاني مجموع لطيف الخبر فيه من احوال القوم * وانفق من بضائع بني
ابي حفص ما تيسر له ولكنه غالى في السوم * وما ذاك إلا لانه لم ينظر الى
حليته تنس في هذا الزمان * ولم ينظر الى معناها ومعناها الذي لم شان
واي شان * ولو أدرك زماننا لطغى بقلبه والتقى العصا * ولو شاهد حسنيتها
في حلل الهناء لقال هذا ما لا يعد ولا يحصى * ولما تمت محاسنها اصابها
سهم من نظر المعيان * فلم تخطا رمية حتى راينا مصارع العشاق في حرب
الاخوين ومقاتل الفرسان * وكانت قبل اليبس في ذروة الشرف * واحلها في
نعيم مقيم في الرعة والترف * الى ان قدر الله علينا بخطوب واي خطوب *
وقابلها الزمان بعد التيسر بوجه قطوب * فتكدرت احوال اهل البلاد *
 واصبح كل انسان يقول نفسي نفسي ولا يسأل احد عن احد * وقد كنت
اتمنى ان اجد من فيه نبأه ليجمع ما حدث في زماننا من الوقائع العجيبة *
ويضيفه الى ما جعه ابن السماع في تلك المدة البعيدة الى هذه المدة الغريبة *
وكم تشوقت الى هذا الجمع بنفسي * وملت اليه بحسبي وحسبي * الى ان قدر
الله علي بفرقة الاحباب وموت الاولاد * وذهبت بما تقطع منه كبدي وكبد
غيري من اهل البلاد * فكان هذا هو الباعث لي في هذا التقييد * واستشرت
مامونا في مشورته فرسم لي برايم الرشيد * فجمعت ما كان متفرقا بالرواية
والسند * وجعلته مقام تبريد اشتعال الكبد بموت الولد * وجعلت اتسلى به
من حزني * لاني في غمرات امتلا القلب منها وقال قطني * ورحم الله ابن الوردي
حيث قال - لي مہجۃ في النازعات وعبرة : في المرسلات وفكرة في هل افی -
والا فكيف لي ان اكون من فرسان هذا الميدان * ولست من ابناء
الخصراء على الحقيقة حتى يحصل لي هذا الشان * ورحم الله لاجناب حيث

قال : فسد الزمان فسدت غير مسود : ومن الشقاء تفردني بالسودد - ولكن
لي العذر وقد نطقت على موائد الكرام وأساء في مغفورة عند العلماء من اهل
الحضرة وان كنت معدودا من العوام * وإلا فكيف لي ان اصرب بقداحي
بين القوم وافوز بهم * ام كيف يكون لثلي بين العقلاء نصيب او قسم *
وانا خائن في ضياع الجهالة * وسارح في مروج اللهو والبطالة * فصرت
كحاطب ليل او جامع سيل * وطلع صباح الشيب فبدت آية النهار مبصرة
فمحت آية الليل * وفقد الشباب والاحباب * اعظم المصاب * قال بعضهم -
شيئان لو بكت الدماء طيهما ينساي حتى تؤذنا بذهاب

لم يبلغ العشار من حقيهما فقد الشباب وفرقة الاحباب
وها انا استهدفت للرامي * وبرزت مرامي * وقدمت ما اورده ابن الشماخ
ليكون البناء على اساس * واجمع الى كلام ما انتله عن غيره وما رويته عن غير
واحد من الناس * واذا ذكرت شيئا مما ثبت عنده * اذيل عليه بنكت
من كلام الغير وكل احد ينفق ما عنده * وابذل جهدي بقدر الطاقة صي
ان يحصل لي نصيب * واجتهد فيما اردتم ان شاء الله وما كل مجتهد
مصيب * فان ظهرت بشي مما رتمه وبلغت لنا * كنت ابن طفر على
الحقيقة ونظمت في سلك نجباء الابرار * ومن الله استمد الاعانة والطول *
لاني عاجز ولا قوة لي ولا حول * واسأله التوفيق في القول والعمل * والنجاة
من الخطأ والزلل * ان شاء الله تعالى * وسميته « تونس في اخبصار
افريقية وتونس » * ورتبته على سبعة ابواب بعدد ابوابها وخاتمته *

الباب الاول في التعريف بتونس : الباب الثاني في التعريف بافريقية :
الباب الثالث كيف فتحتها الجيوش الاسلامية : الباب الرابع كيف
استولت عليها الخلفاء العبيديون : الباب الخامس في الامراء الصنهاجية :
الباب السادس في الدولة الحفصية : الباب السابع في الدولة
العثمانية : والخاتمة تتضمن احداثا ظهرت في الديار التونسية . وما أثر
فتخر بها بين جيرانها الافريقية . وما تميزت به في البلاد المغربية *

الباب الاول

في التعريف بتونس

قال ابن الشماخ مدينة تونس هي اسلامية احدثت بعد النمايين من
الهجرة * وكان ابو جعفر المنصور العباسي اذا قدم عليه رسول صاحب
القبروان يقول له ما فعلت احدي القبروانين يعني تونس تعظيما لها *
وهي اليوم قاعدة البلاد الافريقية وام بلادها وحضرة السلاطين من الخلفاء
الحفصيين ومهاجر اهل الاقطار من الاندلس والمغرب وغيرها * فكثر خلقها
واتسع بشورها ورغب الناس في سكناها وحدثوا بها المباني والكرام وبينها
وبين قرطاجنة عشرة اميال * وبين تونس ومرساها بحيرة يقال انها كانت
كبيرة الجنات والمياه والزرع طيبة القواكه فغلب عليها ماء البحر * قلت
عرف بها صاحب الجغرافية حيث قال ومدينة تونس في الجزء الثاني من
الاقليم الثالث * ومدينة تونس في ذاتها قديمة اسمها في التواريخ ترشيش
ولما افتتحها المسلمون وحدثوا البناء بها سموها تونس * ومدينة تونس في
جوار خارج من البحر وهي على بحيرة محشرة وعرضها اكثر من طولها وذلك
ان طولها ستة اميال وعرضها ثمانية اميال ولها فم يتصل بالبحر وهو المسمى
فم الوادي * وذلك ان هذه البحيرة لم تكن قبل وانما حفر في البر حفر
انتهى به الى مدينة تونس ومن فم هذه البحيرة الى مدينة قرطاجنة ثلثة
اميال ونصف * قلت الذي ذكره صاحب الجغرافية انها قديمة
لا شك فيه لقول غيره وذكر سبب فتحها وكذلك حفر البحيرة يدل انه
كان في زمن الاسلام لان قبل الاسلام كانت قرطاجنة حائلة بينها وبين
البحر والبحر بعيد عنها جدا وانما احدث البحر بعد خراب قرطاجنة *
وما ذكره ابن الشماخ انها كانت بساتين ومزارع تشهد له الابار التي في
وسطها وربما وقع فيها صيادو السمك احيانا ويتجنبون مواضعها ولهم بها
خبزة * قال ابن الشماخ ومدينة تونس سور يدور بها وان دورها

اربعة وعشرون الف ذراع * فمسست ولم يذكر الباني لسورها حيث كانت عنده اسلامية والحجاري على السنة اهلها ان بناءه كان على يد الشيخ سيدي محرز والشيخ المذكور كان في اول المائة الرابعة إلا ان يكون الشيخ جده بعد المحنة التي وقعت عليها من ابي يزيد الحجاري وذلك في سنة ست عشرة وثلاثمائة لانه نهب افريقية ومدينة تونس ونهب منها نحو اثني عشر الف خابية زيتا غير الاموال والعبيد والامتعة والدواب والنساء والاطفال وغير ذلك وسياتي خبر ابي يزيد بعد ان شاء الله تعالى وكذلك القصة لم يذكر بناءها * وقال عند ذكر المولى عبد الواحد انه سكن بقصبتها عند حلوله بتونس وهذا يدل على ان قصبتها متقدمة عن زمن بني ابي حفص * قلت ولعلها من بناء بني الاغلب كما سياتي والعمال كانوا يسكنون بها وابناء خراسان كانوا بها لما خرجوا عن طاعة بني باديس * والغالب على ظني انها القصة القديمة واما هذه فهي بناء بني ابي حفص كما سياتي ان شاء الله تعالى * قال ابن الشماخ وجامع تونس مليح الصنعة حسن الموضع مطل على البحر بناء عبيد الله بن الحبحاب ودار الصناعة سنة اربع عشرة ومائة وانفذ اليها البحر * قلت عبيد الله بن الحبحاب كان عاملا لهشام بن عبد الملك بن مروان على مصر وارسله الى افريقية سنة عشرة ومائة فلما وصل القيروان اخرج المستنير من السجن وارسله الى تونس واليا عليها ولعله لم يدخل الى تونس وتقدمه البكري حيث قال ومدينة تونس دورها اربعة وعشرون الف ذراع وذكر بناء عبيد الله بن الحبحاب * قال ومدينة تونس اسمها في الاوائل ترشيش ويقال لبحرها بحر رانس ومرساها مرسى رانس وان حسان بن النعمان افتتحها وذكر غيره ان زهير بن قيس البلوي افتتحها * فمسست وقع التناقض بين قوله من بناء بني امية وبين قوله افتتحها حسان وقول غيره افتتحها زهير وزهير كان سنة سبع وستين وحسان سنة سبع وسبعين والبناء سنة ثمانين إلا ان يكون الفتح اولا ثم استقر بها قدم المسلمين واستوطنوها

واخذوا بها المنازل والديار وكان نزولهم بها في سنة ثمانين فلذلك نسبت الى بني امية ولم يكن قبل ذلك ينزلها احد من المسلمين وابن الشماخ ادرى ببلده * وقال البكري وبمدينة تونس بحيرة دورها اربعة وعشرون ميلا وهي في جبل يعرف بجبل ام عمرو وفي بحيرتها جزيرة مقدار ميلين تسمى شكلي تنبت الكلخ وبها اثار قصر خرب * قسست في زماننا هذا بها قصر مشيد والذي حكاه البكري وغيره عمر بعد ذلك في حدود الاربعين والتسمائة على ايدي النصارى وبها فيه حصارا منيعا الى ان اخذه من ايديهم العسكر العثماني وسياتي ان شاء الله تعالى وخرب وما تبقى منه الا اثاره ووجدت في زمان الحاج مصطفى داي بعد السبعين والالف وهو الى يومنا هذا غير عامر * قال ابن الشماخ وتونس دار فقه وعلم وعلى عشرة اميال منها غربا وادي مجردة ويقال ان سن شرب منه قسا قلبه . وسميت تونس لان المسلمين لما فتحوا افريقية كانوا ينزلون بازاها صومعة فرشيش ويتانسون براهب هناك فيقولون هذه الصومعة تونس فلزمها هذا الاسم * قسست ذكر غيره ان العرب كانوا يسمعون اصوات الرهبان طول الليل في صوامعهم فيمنسون بهم فقالوا هذه البقعة تونس * وقال ابن الشباط وجدوا زيتونة منفردة في موضع المسجد فقالوا هذه تونس وسمي المسجد بجوامع الزيتونة * وذكر غيره انهم لما نزلوا بازاها صومعة تونس الراهب الذي نسبت اليه الصومعة فقالوا صومعة تونس اطعمهم ديشيش الحنطة فصار عادة لاهل البلد في راس كل سنة حتى كاد ان يكون عندهم من الواجب وانهم راوا مكانا محرقا عنه بالشوك فقالوا الراهب عن سبيبه فاخبرهم انه يرى في بعض الليالي نورا ساطعا من تلك البقعة قال - فعليت ان سيكون لها شان فصنتها من الغدرات وبول الكلاب - فصلوا في تلك البقعة وهي موضع الحراب واتخذوا هناك مصلاهم * قسست ان صح هذا فالشرف سابق لهذه البقعة بحيث صلى بها الصدر الاول من المسلمين والفصلاء من المتأخرين وام بالناس فيها عدة اعلام ونجباء كرام وهي بقعة

مشاركة يستجاب فيها الدعاء الى يومنا هذا والله الحمد * وقسأل البكري
يدور بتونس خندق حصين ولها خمسة ابواب * وقسأل ابن الشبط
لها في زماننا عشرة ابواب بعضها في البلد وبعضها في القصبة *
قلت وفي زماننا لها سبعة ابواب ولم يبق في القصبة إلا باب قدر وهو
مغلق في هذا الوقت * وذكر غير واحد ان لها خمسة أسماء . ترشيش .
وتونس وقيل تونس . والمحصراء . والمحصراء . والدرجة العليا * فترشيش
اسمها في القديم . وتونس حادث لها واشتقاقه من التأسيس . والمحصراء لانها
حصرة السلاطين من بني حفص . والمحصراء لكثرة زيتونها . والزيتون لا يزال اخضر
طول الزمان وهو الشجرة المباركة . اولان خضراتها كثيرة عن غيرها وسعت اوراقها
وقد يقل لمن هم في سعة من الرزق خضر المربع فلذلك عبر عنها بالمحصراء .
والدرجة العليا قيل لان بها الجامع الاعظم وقيل لارتفاعها عن غيرها من البلدان
واربع صيحتها في كل اوان * ولقد اخبرني من اثق به ان السلطان احمد
صاحب مراکش لما ارسل جيشه صحة محمود باشا مملوكه الى بلاد السودان
وفتحها الى تنسكت واخذ على اهلها البيعة لامتاذه وكان بها اذ ذاك
الاستاذ العالم العلامة الشيخ ابو العباس احمد عرف بابها رحمه الله سال
الناس لمن بايعوا فاجابوه بسلطان مراکش فقال لست اعلم في اقليم العرب
سلطانا إلا صاحب مدينة تونس حرسها الله تعالى * انظر ايها المتامل كيف
ثبت عند هذا العلامة خبر تونس وسلطانها مع قرب بلادها من مراکش
وبعد من تونس والشيخ احمد صاحب اطلاع وهو من اكابر علماء وقتهم
وم، ذاك إلا لفخامة ذكرها وعلو قدرها زادها الله علوا * ولنرجع الى قول
ابن الشبط قال وجامع تونس رفيع البناء مطل على البحر ينظر الجالس فيه الى
جميع جواره ويرى الى الجمع من جهة المشرق على اثنتي عشرة درجة * قلت
ابن الشبط محقق فيما ينقله ولم يذكر من الباني لهذا الجامع إلا ذكره
غيره وهو ان عبيد الله بن الحجاب هو الباني له كما مرء انفا ولعل عبيد الله
هو الذي اسمه * وذكر ابن دجي ان زيادة الله بن الاعلب بنا جامع

الزيتونة وسور تونس وقصبتها فهي من بناء بني الاعلب * قلت
ولعل البناء الضخم هو من بناء الاعالبة ويشهد لذلك ما هو مكتوب في
القبعة التي فوق الحراب اسم امير المؤمنين المستعين بالله العباسي سنة
خمس ومائتين وزيد فيه على بنائه الاول كما زيد فيه في ايام بني حنص
والله اعلم * وقيل ابن الشبط وتونس اسواق كثيرة ومتاجر عجيبة
وفندق كبيرة رفيعة وبها حسة عشر حمار * قلت في وقت هذا
بها اربعون حمار * قبال وعصادات ابواب دورها كلها رحى بديع وهي دار
علم وفقه ولي منها قضاة افريقية جماعة كثيرة * ويصنع بتونس عانية الماء
من الخرف شديد البيض في نهاية الرقة تكاد تشق لبس يعلم لها نظير
في ساكنة افطار * ومدينة تونس من اشرف مدائن افريقية واصيها ثمة
وانفسها فاكهة وبها من اجناس الحوت الذي لا يكون مثله في غير *
قلت رحم الله ابن الشبط وغيره لو شاهدوا في هذا الوقت من خيراتها
وكثرة بساتينها وجناتها لا عجزهم الوصف وراوا من الفواكه ما ليس له حد ولا
طرف وشهادة الله انه يوجد فيه ما لا يوجد في غيره كثرة وحسب بحيث
لا يدخل تحت حصر واذا افكر المصريون بمصرهم فلما لهم هذه احث مصر
وناهيك ان في فصل الخريف يدخل اليها كل يوم ارب من ارب حبل من
العنب هذا خلأف ما يباع مع العنب من نين ويطبخ وفيها من الفواكه
الرطبة والبسة * ولقد احسرتي بعض حدة الحنسة في سنة احدى وستين
والف انه حصر ما بيع للخمرات من العنب فكان مقدارة ستين الف
حل خلأف ما يباع في اسواقها وقس على هذا القدر وفيه كفاية واما الخرف
فهو اقل شيء في الخمر وهم اهل الحضرة اعلى من ذلك * وقيل صاحب
اقتباس الانوار وتونس من بلاد افريقية بينها وبين القبرص اربع مراحل
وهي مما بناه بنو امية والمدينة القديمة الرومية اسمها قرطاجنة ويسب الى
تونس جماعة من العلماء منهم ابو الحسن علي بن زياد التونسي سمع من ملك
الوطا ونقته عليه ونقته به سحرهون وعش بعد مالك نحو من خمس سنين

وقبره بدارة داخل باب المارة * وقسمت ابن الشماع ومنهم الشيخ كلام
العباد سيدي محرز بن حلف وقبره بدارة داخل باب السويقة ، وبقي
مدينة تونس جبل يعرف بجبل السويقة لا يثبت شيء وهو المسمى بجبل
الجلار وفي اعلاه قصر مبني مشرف على البحر * فليست القصر الذي
ذكره هو مقام الشيخ العرف له سيدي ابي الحسن الشاذلي نفعه الله بركاته
والعجب كيف عمل عن التعريف بالمقام مع ان الشاذلي متقدم على ابن
الشماع بزمان او لعل المقام لم يشتهر الا من بعده * فقال وشرقي القصر غار
منتهي الباب يسمى بالمعشوق وباقرب منه عين جارية * قلت
لم يبق له اثر الا ان يكون المعارة التي تنسب للشاذلي ايضا في زماننا
هذا والعر الذي ادركه قبل اليوم تحت الجبل وبه عين ماء يقال لها الحمام
وخرب واليوم في موضعه ماجل وهو على الطريق على شطي البحيرة * قال
وحاصم تونس يرقى اليه من ناحية المشرق على اثنتي عشرة درجة وقد تقدم هذا
القل من غير بريدة اصاح * وفصل ابن الشبط وحسن تونس ومبانيها
في عصره مما يقصر منه الوصف وانشد لبعض الشعراء يمدحها

تونس تونس من جاءها * وتدركم حسرة حيث سار

فلو حل بها لارض العراق * لحن اليها حنين الحساوار

يحن اليها ويشوقها شقيق الفرزدق فقد السوار

والسوار امرأة امرردق الشعر المشهور وله فيها عدة قصائد في محبة ايها *
وذكر البلاذري ان رهير بن قيس اختفها * وقسمت الكري اختفها
حسن بن العمار وقائل الصاري بفحصه فذموا له وسأله ان لا يدخل
عليهم وصنع الخراج عليهم ويفرغوا له بما يحملهم واصحابه فجاوبهم الى ذلك
وكانت لهم سفن فاحتلوا بها اموالهم واهليهم ليلوا واسلموا المدينة فدخلها
حسن فحرق وحبس وبني فيها مسجدا وخلف فيها طائفة من المؤمنين قل
واترت الروم من البحر على من بقي فيها من المسلمين فقتلوا وسوا وغنموا ولم
يكن للمسلمين شيء يحصنهم من عدوهم ووصل الخبر الى حسن فرحل الى

تونس وارسل اربعين رجلا من اشراف العرب الى عبد الملك بن مروان وكتب اليه بما نال المسلمون من البلاء فلما بلغ ذلك عبد الملك عظم عليه الامر وكان اذ ذلك التابعون متوافرين وفيهم اثنان من الصحابة اس بن مالك وزيد ابن ثابت فقللا للمسلمين من رابط يوم برادس فلم الجنة وقال لعبد الملك ادرك هذه البلاد وانصر اهلها ليكون لك ثوابها منها من البلاد المقدسة فكتب عبد الملك الى اخيه عبد العزيز وهو وال على مصر ان يوجه لتونس الف قبضي بهله وولده وان يحملهم من مصر ويحسن عنهم حتى يصلوا الى ترشيش وهي تونس وكتب الى حسان بن العباس بامر ان يبنى لهم دار صاعة تكون قوة وعدة للمسلمين الى آخر الدهر وان يصنع به المراكب ويغير منها على سواحل الروم . فوصل القبط الى حسن وهو مقيم بتونس فاجرى البحر من مرسى رادس الى دار الصناعة وجعل فيه المراكب الكثيرة وامر القبط بعمارها * فقال ابن الشبط وقد تقدم ان عيد الله بن الحجاب هو الذي بنى دار الصناعة فلعل من روى ذلك يريد ان عيد الله جدد لها وزادها تحصين فلم نزل تونس معمورة من يومئذ يعزرونها المسلمون بلاد الروم ويتشرون فيهم السكينة والاداية * وذكر البكري ان حسن هو الذي حرق البحر من مرسى رادس الى دار الصناعة * وقيل غيره ان الوليد ابن عبد الملك من مروان لما علم ان الروم اصابوا على تونس وبلغ ذلك من المسلمين كل مبلغ وان علماء المشرق كتبوا الى اهل افريقية من رابط من يوم برادس فجمعنا عنده حجة وعظم قدر رادس عند العلماء وراى فضلهم وان حسان بعث الى الوليد يعلم باذاية الروم كتب الوليد الى عمه عبد العزيز بن مروان وهو وال على مصر وافريقية ان يوجه الف قبضي والف قبطية ويحملهم الى بلاد افريقية وامره ان يحرق البحر الى تونس * وذكر غيرهما ان الذي حرق البحر الى تونس هو موسى بن نصير وجعل دار الصناعة بتونس وجرا البحر اثني عشر ميلا حتى اقحمه دار الصناعة فصارت ميناء المراكب وامر بصناعة مائة مركب وعمر بها بلاد الروم وعقد لولده عسما الله

عليها وامره بالانصراف الى صقلية وكانت اول غزوة عزيزت في بحر افريقية
فسار صد الله الى صقلية فافتتح فيها واصاب ما لا تدرى قيمته ثم انصرف
قولا سالما وكانت تسمى غزوة الاشراى وعقد بعد ولده لبعض اصحابه على
مراكب اخر فوصل سرقوسة وملكها والله اعلم بحقيقة ذلك * وحاصل
الامر ان تونس ليست محتجة الى تعريف وذكرها طبق الوجود فهي كما
قيل في المثل طبق الاسم المسمى لانها تونس العريب وقلب يوجد غريب
دخلها الا وحصلت له به علاقة ولا يفارقها الا وهو متحصر عليها وتس قطن
بها حنت عليه وحن لها ان فارقوه وعرت عليه * وذكرها عبر واحد من
العلماء واثني عليه بحساس كثيرة لا تعد ولا تحصى * ورمز الحداة بذكره
في المسجد الحرام والمسجد الاقصى - وكيف يصح في الاذهن شيء : اذا احتج
النهار الى دليل - وهي حرسها الله واسطة البلاد الافريقية كما ان افريقية
واسطة البلاد العربية فهي بمنزلة الراس من الجسد بل بمنزلة العين من
الرأس واذا ثبت ما قلناه وتقرر ما قلناه والذي صح عندي انها قديمة من
بأء الاوائل والذي ذكر فتحها هو اقرب من غيره وان حسن هو الذي
فتحها وبنى بها مسجدا وعبد الله بن المحجوب راديه سبحانه كما ان
زيادة الله بن الاغلب راد فيه وصححه وكملت صحته في ايام بني حفص
كما سيأتي بعد ان شاء الله تعالى * وحسان بن النعمان هو الذي فتح
قرطاجنة وقطع عنهم القناة المجلوب عليها الماء وفتح تونس واتخذ بها
مسجدا وهو الجامع الاعظم وسمي بجامع الريثونة كما مر في اول الكتاب *
وتونس لا شك انها قديمة البناء وكانت معصرة لقرطاجنة * واسمها ترشيش
وقيل هذا الاسم علم لها من قديم الزمان الذي هو تونس * وسالت
بعض النصارى ممن لهم علم بالتاريخ فقال اسمها تونس في كتب وهذا الاسم
باللسان الاعزبقي معناه تقدم واوقفني على كتاب منده في التاريخ وكتبا
المدينتين فيه مصورتان تونس وقرطاجنة والحنانية ووادي بجردة وتونس اصغر
حما من قرطاجنة وسالته عن تاريخهم فقال ازيد من الذي علم * وانصرى

لهم اهتمام بهذا العلم والبلاد كانت لهم وصاحب الدار ادرى بلذي فيهم ولا يعلم الغيب إلا الله تعالى * واما من قتل بنه بنسوامية في حدود الثمانين والذي بنى المجمع ودار الصنعة عيد الله بن الحبص من اربع عشرة ومائة فعيد اذ كيف يمكن ان يقال مكتوا نيف وثلاثين سنة بعير مسجد وهؤلاء القوم كانوا في صدر الاسلام إلا ان يسكنوا المسجد في الاول والبناء العظيم في الآخر وبهذا يرفع الاشكال بحول الله * واما السور فص بناء بني الاعلب والتصبية ايضا وكانت عمال افريقية سكاكم القبروان واول من سكن تونس من العمال الاعالة * قال ابن نجيب رحمه الله واتخذ هو الاعلب تونس لمنزلهم وبنوا المجمع الاعظم * قلست ومات بتونس عبد الله بن احمد بن ابراهيم بن الاعلب سنة ست بعد اتسعين والمائتين مقتولا قتل بعض خدمته بانعاى من ابنة زبدة الله واستقل بالملك بعك * وبالمجسلة من مدينة تونس لها حظ وافر * وحسن بهر * حارت قصبات السبق في البلاد العربية * وعظم شأنها بين جيرانها وحائنها لافريقية * ولا سيما في هذه الدولة التركية * والسلطنة الخرفانية * خلد الله ايامها * وسير بالعدل احكامها * تميزت بجمع المحاسن * وصفت منها كل عاين * واتسعت عماراتها * وكثرت حيراتها * وعمرت فيها الاسواق والدور * وبنيت فيها المنارة والقصور * وظهر فيها كل حسن عريب * وحجر اليها البعيد والقريب * وطابق الاسم المسمى كما يشهد تونس العريب * إلا انها في هذا الزمان اصبحت بالحن * وقسم بها سوق الخوف من بعد الامن من شدة الفتن * عسى الله ان يجعل بعد عسر يسرا * واهلها ولله الحمد لهم اخلاق رصية ونفوس آية * وشغل ثاقب * وراي صايب * وعلو شأن * وخدمة اذهاب * وعلوهم مميرون عن تن سواهم بالذكاء والنباهة حتى ان الواحد منهم اذا لام لا اشتعل يحصل له في سنة م لا يحصل لغيره في عدة سنين * وررقه الله تعالى سرا تميزت به بين البلدان * واهم سرها جامعها الاعظم كانه بين المساجد مسجد سليمان * وذكره العبداني في رحلته واثني على اهلها حيرا * وذكر

عليه السلام بعد هم اهلهم ولما ذكر مصر قال سماعك بالمعدي وتن كابر في النقل
فليظن الاصل * وكان العلامة الشيخ ابو عبد الله محمد بن مصطفى الازهري
فريال تونس رحمه الله لا استوطن هناك الديار التونسية وثانسان به وحضرو
عدد اهلها وامرائها يقول لو سئلت عن ثلاث لاجت بلا ولو قطع راسي
لو قيل لي هل رايت اعلم من الشيخ ابراهيم الثاني لقلت لا . ولو قيل لي
هل رايت اسر من جمع الزيتونة لقلت لا . والسؤال الثالث ياتي في محله
ان شاء الله تعالى * ولقد عالى بعض العلية في مدح تونس وحريتها حتى قل
من لم يتزوج بتونسية ليس بمحصن وفي هذا القدر كفاية * لمن له خبرة ودراية *
واو تتبع مداسها لظال بها الكلام وخرجنا عن الشرط * ولما مد القلم لسانه
في هذا المحل حكىنا عليه بالخط * وصلى ان نصل الى ما هو اهم * وننتقل
من الخصوصية الى ما هو اهم * ومن نوفيقي الا بالله عليه توكلت وهو رب
العرش العظيم *

الباب الثاني

في التعريف بافريقية

افريقية من بلاد المغرب وصدا اهل العلم ان اطلق اسم افريقية فنما
يعنون به بلد القيروان واما اهل السير فيجعلونه اقليما مستقلا وله حدود ولهم
احتلاف فيم وافريقية اوسط بلاد المغرب وخبر الامور اوسطها * وقيل انما
سميت بافريقية لانها فرقت بين المشرق والمغرب ولا يفرق بين الاثنين
الا احسنهم * وقيل سميت افريقية باسم اهلهم وهم الافارقة والافارقة من
ولد فاروق بن مصرايم وقال عاحرون الافارقة من ذرية قوط بن حام بن نوح
عليه السلام سموا باسم البلاد * وقيل ان افريقش بن ابرهة بن ذي القرنين
لما عرا بلاد المغرب ودوح البلاد بنى مدينة سميت باسمه فقالوا افريقية
وسموا اهلها الافارقة ذكره المقريري * وقيل اسمه افريقش بن قيس بن صفي

المحميري افتمحها وقيل ملكها واسمه جرجير فسميت به ويومئذ ول لاهلها.
ما اكثر بربرتكم فسبوا بربر قاله ابن خلكان * وقيل كان اسمه افريقس
بالسين المهملة فعربت بها العرب بالشين المعجمة * ونقسل ابن الشاط عن
بعضهم انه كان يقول اسمها ابريقية من الريق لان سماءها خال من السحب
قلست وهذا القول بعيد لان افريقية كثيرة السحب حتى قال
بعضهم ان القيروان لا تخلو من السحب في غالب السنة ويعبر من فحص
القيروان بمزاق لان السحب تشرق منه حتى قل بعضهم تنشق السحابة
بالقيروان وتمطر بصقلية وغالب بلاد افريقية كثيرة البرد والامطار وغالب
الاوراق لا تخلو من السحب * وسمعت بعض الفقهاء يقول معنى قوله
تعالى - اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجررى - يعنى الارض المحترقة على
أحد التأويل ولا يوجد في غالب المعمور اكثر خرسف من افريقية والله
علم * وافريقية اقليم عظيم جمع المحسن الجميلة * والفوائد الجميلة *
والمدن العظيمة * والمزارع الكريمة * والمياه العذبة * والقواكر اليهسة
والرطبة * والمباني المنيفة * والمعدن الشريفة * والمسرح المعدة للصرع *
والاثار البديعة للزرع * وجميع ما يحتاج اليه * وتقبل النفوس طيه *
وجعلوا حدود المغرب من سيب بحر النيل بالشرق الى ساحل البحر المحيط
من ناحية المغرب * وحد افريقية بالطول من برقة الى طنجة وصرعها من
البحر الشامي الى الرمال التي اول بلاد السودان قاله غير واحد * قلست
في زماننا هذا لا يعبر بافريقية الا من واد الطين الى بلد باجة * وقال
ابن الشباط واصاف افريقية اشهر من ان تذكر * او يخاف طيها من ان
تجحد وتتكبر * ولم يزل بها على مر الزمان من العلماء والكتب * وذوي السراة
في المعارف والاداب * من تزدان باوصافه لاوطار * وتشرق بانوار كلامه
الاسطار * وذكر احاديث شريفة في فضل المغرب وفضل افريقية * وتقدمه
ابن الدباغ في ذلك واورد احاديث وردت في فضل المنستير ورادس * وقال
ابن ناجي لا شك ان الاحاديث التي في المنستير ورادس موضوعة * وها انا

اورد من تلك الاحاديث ما ثبتت صحته على وجه التبرك * ذكر ابن الشبط
 قسائل في كتب مسلم حدثنا يحيى بن يحيى قال حدثنا هشام عن داود
 ابن ابي هند عن ابي عن عن سعد بن ابي وقاص قال قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم - لا يرأل اهل المغرب طاهرين على الحق حتى تقوم الساعة *
 وفي كتب الطبقات في علماء افرقية حدثني فرات بن محمد قسائل
 حدثنا عبد الله بن ابي حسن البجلي عن عبد الرحمن بن رباح عن ابي
 عبد الرحمن الجبلي عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
 - لياتين اسلم من امي من افرقية يوم القيامة وجوههم افضل نورا من نور
 القمر ليلة البدر * وذكروا عدة احاديث وردت في افرقية وان المستشير
 باب من ابواب الجنة * ولا شك ان لها حصدا وشدا والله اعلم * وحكى
 بعض المؤرخين عن عبد الرحمن بن زيد بن اعم انه قال كانت افرقية
 من طاعة الى طرابلس طلا واحدا وقرى منسلة دمرة فخرت جميع ذلك
 الكاهنة وذلك لما هربت حسان من العبدان العسبي بعد ما فتح قرطاجنة
 وتونس وهزم البربر هزيمة شبيعة وصرخوا اعمه الى برقة ورجع الى القيروان
 فسأل هل بقي احد ممن له شركة قوية من البربر فقبل له امرأة ساحرة
 تقول له الكاهنة وهي بجبل اوراس في عدد عظيم * فسار اليها والناس
 معها وقتلوا اشد قتل وقتل من العرب خلق كثير وانهرم حسان وانجمه
 الكاهنة حتى خرج من عمل قابس واسرت من اصحابه ثم يس رحلا وذلك
 في خلافة عبد الملك بن مروان * وكتب حسان الى عبد الملك يخبره
 بما لقي المسلمون فواده الجواب دمرة ب مقام حيث ادركه كذب امير المؤمنين
 ودركه وهو في عمل برقة فاقام هناك خمسة اعرام بموضع يقل له قصور
 حسان وبه سمى الى الان * ومسكت الكاهنة افرقية جس سيب مذ
 اصرف حسان منها وقلت للبربر ان العرب يطلسون من افرقية المذائن
 والذهب والفضة ونحن انما نطلب منها المزارع ولا نرى لكم الا حواب
 افرقية حتى يياسوا منها وارسلت قومها الى كل ناحية لقطع الشجر والريثون

فخربت البلاد بسره وهدمت الحصون وكانت كلها قرى مصلة * وفيه
تواريخ النصارى انه كان ملك افريقية وهو صاحب قرطاجنة مائة الف
جفن بين حصن ومدينة يحكم عليهم وانه لما غزا الى رومة المداين اخذ
من كل بلدة رجلا ودينارا وسر اليها على ناحية المغرب على بحر الزقاق من
ناحية لاندلسية وافرنجة واناخ على رومة وحاصره حصارا شديدا وبعث
صاحب رومة عسكريا في البحر الى قرطاجنة وادخ عليها ووقع القتال بينهم
على وادي بجدة وكان بينهم قتال شديد وكان الخيالة من اهل قرطاجنة ثمانين
الف فير الرجالة فعند ذلك رحل صاحب قرطاجنة عن رومة ورجع الى
بلاده ومن ذلك الوقت بقيت الافارقة في لاندلسية وملكوها مئين من
السنين والله اعلم * وقيل الملشوني لم يدخل افريقية سى قط واول
تن دخلها بالايما حواري عيسى عليه السلام * قالت الحواري الذي
دخلها اسمه متى العشار وقتل بقرطاجنة وهو اول تن كتب الانجيل بلسن
العبراني بعد رفع المسيح بتسع سنين * وقيل غيره بل دخلها نبي الله
خالد بن سنان العسبي وكان في زمن الفترة ولكن لم يدخلها بدعوة وهو
مدفون في المغرب في بلد بسكرة وانكر بعض اهلها ذلك وصحبه آخرون
والشيخ التواتي ممن اتهم انه هو * ورايت بخط والذي رحمة الله عليه
قيل حضرت الشيخ المذكور وهو متوجه لزيارة نبي الله خالد بن سنان
العسبي وله كتاب صفه الشيخ وثبت عنده صحته وهو في تلك البلاد
يسمونه خالد النبي ويرورونه ويتبركون بمقامه صلى الله عليه وسلم *
ومن مدن افريقية - برقة - وطرابلس - وغدامس - وهران - واولجة -
وردان - وكوار - وقنصة - وقسطنطينية - وقابس - وحربة - وتيهرت -
وباجة - والاريس - وشقبة - وصرة - وسيطلة - وباغية - وليس -
واذنة - ودرعة - وجمانة - وسوسة - وبنزرت - ورغوان - وجلول -
وقرطاجنة - ونونس - وكل هذه وقع عليها الفتح * وانما كانت دار الملك
اولا في قديم الزمان بقرطاجنة لما كانت بيد الافارقة لا غربيين الى ان

دخلت عليهم البربر من بلاد المشرق بعد ما قتل ملكهم جالوت وتفرقوا في
 البلاد فاتحار اكثرهم الى افرقيّة والمغرب واستوطنوا البلاد سهلاً ووعرها الى
 ن ظهر فيهم دين النصرانية فتغلبت الروم على سواحل البلاد وصارت الى
 سن لهم ذمة * وكانت قرطاجنة اعظم مدن المغرب وهي قديمة البناء قال
 بعضهم انها بنيت في زمن داود عليه السلام وان بين بنائها وبناء رومة
 اثنتين وسبعين سنة ولم يذكر من السابق منهما * قلت هذا بعيد
 جدا إلا ان يكون بناءها الثاني او الثالث لقول احد المفسرين ان الذي
 كان يأخذ كل سفينة غصا هو صاحب قرطاجنة * وموسى كان قبل داود
 عليهما السلام بزمن طويل * وذكر ان مجمع الحريين برادس والجدار
 بالمحمدية وهي طسدة واهل تلمسان ايضا يسمون بلدهم بالجدار الى الان
 والله اعلم * ويشهد لقدمها ما رونه النفاة عن عبد الرحمن بن زياد بن
 انعم قال كنت وانا غلام مع عمي بقرطاجنة نتمشى في اثارها ونعتبر بعجائبها
 فذا بقبر مكتوب عليه بالخميرية - انا عبد الله بن لاواسي رسول رسول الله
 صالح * وفي رواية بعضهم - شعيب بعثني الى اهل هذه القرية ادعهم الى
 الله تعالى اتيتهم حتى قتلوني طلبا حسيبهم الله * وذكر بعض المؤرخين
 ان موسى بن نصير لما فتح الاندلسية ذكر له بها شيخ كبير فدعا به
 فاذا الشيخ وقعت حاجته على عينيه فقل له اخبرني كم اتى عليك من
 السنين قل خمسمائة عام فسأله عن اشياء فاجابه الى ان قال له اين
 بلدك قل قرطاجنة قال له كم عمرت بها قل ثلثمائة عام وبهذه البلاد
 ماتي عام فسأله عن خراب بناء قرطاجنة فقال بقيت من قوم عاد الذين
 اهلكهم الله بالريح العقيم فعبروها ما شاء الله ثم خربت وبقيت الف سنة
 خراب حتى اتى النمرود بن لاوذ بن النمرود الجبار فبناها على البناء الاول
 ثم احتاج الى الماء العذب فعث الى ابيه وكان ابو بلشام والعراق وعنه
 على السند والهند فارسل اليه ابو المهندسين والفعلت فهندسوا له الماء حتى
 اوصلوه الى المدينة ومكثوا يرتدون الماء اربعين سنة * ولما حضروا

أساسه وجدوا حجرا مكتوب عليه بالخط الأول سبب خراب هذه المدينة
 " إذا ظهر فيها الملح فيمنح حصن ذات يوم عند عذير مدار الساعة بقرطاجنة
 اذ حصن بالملح معقد على الحجر فعد ذلك رحلت الى هنا وتتر كان على مثل
 رأي في ذلك ، وسأله عن عمر الملك فقل عمر سبعة مئة عام والله اعلم *
 وهذه الحماية من اتجوبة الدنيا واذا افتخر المصريون بآلهام يقتخر
 أهل إفريقية بهذه الحماية على مصر لان أصل الماء مسكت من حين جنتار
 واليوم اسمها الحميدية وهي وراء رعان بمسافة بعيدة وجللوا ماء رعان معها
 وكلم وجدوا في طريقهم ماء حلوة من اليمين والشمال عدة فراسخ وكانت
 من اولها الى حوض مخوفة بسبائين والامياء جارية فيها * وفي نوارسج
 المصري ان طول مسافة الحديثة من منبعها الى المدينة ستون ميلا على
 الاستقامة وتتفرع عنها وعطفتها ثلثمائة ميل ويبقى وثلاثون ميلا وانها كملت
 في ثلثمائة سنة واربعة مائة * قلست لا يستغرب طول هذه المدة
 لان هذا الماء من اعراب الانبياء واذا كان طولها ثلثمائة ميل ويبقى وثلاثين
 ميلا فلا بعد ان يكون الماء في كل ستة ميلا مع هذا الانفس الذي
 به وطول اعمار القوم وتتر شهدها حكم بعقله بصحة ذلك * وعند
 المصري كان قرطاجنة ثلثة اسوار دائرة بها والحرب ضرب في سورها وهي من
 اعجب بلاد الله وكان تكسيرها اربعة عشر الف ذراع وهي من اعظم بلاد
 إفريقية * وقيل البكري لو دخل الداهل ايام حمزة لراى كل يوم
 اتجوبة وبها قصر يعرف بالمعلقة مفرط في العلو فيه طبقت كثيرة مطل على
 البحر * قلست لم ينس مما ذكر إلا هذا الاسم وبقت خرائب بها يسمونها
 المعقة الى الان * قال وبها قصر يسمى الطير طرفه دار الملعب وقصر
 يقال له نرمس فيه سوارى من حديد مفرطة في الطول يترسع على راس
 السارية عشرة رجل وبينهم سبعة وسبعة مواجل تعرف بمواجل الشيطان
 فيها ماء لا يدري من اين دخلها * قلست المواجل موحودة ليوتنا
 هذا * قسار وداهل المدينة منذ دخلها السفى بشرب وهي اليوم

ملاحة عليه قصر وربط بعرف برج ابي سليمان * فاست الملاحه
التي ذكره و برج ابي سليمان هي الآن البلد التي عمره الاندلس و برج
ابي سليمان بها معروف وملاحة اخرى قريته من اودم المرسى والله اعلم
ايضا كانت * فاستمسل وهد قصران من رجم يعرفان بالاختين فيهما
مأك مجلوب من قبل الجوف لا يعرف من اين مسمه * فاست هو
والله اعلم الماء الذي عليه * ابار سكرة مجلوب من الجوف من تحت الجبل
الذي حلف جعفر وفيه ايض مأك مجلوب من تحت الملاحة التي بها لانهم
وجدوا ارض سكرة كثيرة المياه والعالاب عليه الرمل فحصبوا الماء بتحكيم
الباء العظم وحلوه متصلا بعضهم ببعض واداروا بلساء كالحلقة لجمع الماء
فيه واصحصه وله مفذ الى نحو قرطاجنة * واخبرني بعض من اطلع
عليه انه راي المفذ الجري وراى بعض بنائها من ناحية الجوف والذي
من ناحية قمرت من تحت الملاحة * ويقول من لا خبرة له ان هذا
الماء بقصد بسايس سكرة وهذا شيء لا يفي بعضهم فمن سكرة اصعاق
مرات واقف هذا من عمل الملوك لامرهم * وكذلك الخناينة لما احبى
بعضه المولى المنصر الحفصي وجلب الماء عليها الى بساينيه بابي فهر ويعبر
منه اليوم بالطوم عجر عن بنائها بالحجر وحل اقواسها طائيه وهي اقواس
يسيرة وجلب الماء الى السكة التي هنالك وهي باقية الى الآن هذا مع
صحامة ملكه وعلو سلطته وارتفاع صيته لم يستطع اصلاح بعض ما فسد
منها ولا قدر على رده كما كانت اول مرة * وبقية الخناينة واثارها باقية
الى يومنا وهي تدل على امر عجب * واما * اثار المدينة فلم يبق
منها الا ثنية حراب يعبر عنها بالمعامة فيها امكن كل يستقر بها الماء *
واثار المدينة يراها من يركب البحر وبقية البنيان ظهرة من تحت الماء
وهي ممتدة في البحر بين القلعة والمشرق * ولا شك ان البحر الذي
في حلق الوادي اليوم لم يكن قبل هذا الوقت وانما حدث بعد ما خربت
قرطاجنة * واذا كانت العلة قصرا من قصورها و برج ابي سليمان متصل

بها ومحسوب منها بل كما قالوا انه من البهاء الذي في وسطه تكون مساكنهم
 ازيد من اثني عشر ميلا والله اعلم * ومسمعت تن بذكر ان باب جهنم من
 بعض ابوابها وهي متصلة الى الجبل الذي نازاه بلد سليمان المسماة به
 في زمن هذا * وفي سليمان المذكورة قصر ابي سليمان السديق ذكره
 وبه داموس لم يعلم احد منتهى طرفه * فسكن المتصرف في البلاد
 والعباد * وسبحان من ايد دين الاسلام وعصاته بالنصر على اهل العدا *
 وتمزيقهم في كل ااد * وفتح الله تعالى هذه المملكة العظيمة على يد حسان
 ابن النعمان * في خلافة عبد الملك بن مروان * في سنة تسع وسبعين من
 الهجرة ودخل الى افريقية في جيش لم يدخل بعلمه احد قبله ومقداره اربعون
 الفا * ولما نزل على قرطاجنة وبها خلق عظيم التقى الفريقين والتحم
 الحرب وقتل حسان شجعانهم وابطلهم فاجتمع رايهم على الهرب وكانت لهم
 مراكب معدة فارتحل الملك ومن قدر معه ليلا * فسمنهم من هرب
 الى لاندلس ومنهم من هرب الى جزيرة صقلية * ولما علم اهل بواديها
 بهروب الملك تحصنوا بها فقاتلهم حسان وحصرهم الى ان دخلها بالسيف
 وارسل الى من حولها وامرهم بهدمها وكسر القناة المحلوبة عليها الماء وذلك
 من قبل ان ينفذ البحر الى تونس وانما حدث من بعد والله عاقبة الامور *
 وانما اطلت الكلام عليها لانها بديعة الاثار قريفة من هذه الدار واثارها
 تنبي عن اخبارها والله يعلم وانتم لا تعلمون *

الباب الثالث

في فتح جيوش المسلمين افريقية وذكر كل امير دخل اليها في زمن الصحابة
 وفي زمن التابعين وفي زمن الخلفاء ومن بعدهم الى ان
 ينتهي بنا الغرض ان شاء الله تعالى

اصم مسلم ان الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم فتح في ايهم جل
 بلاد المشرق وفتح عمرو بن العاص مدينة مصر والاسكندرية بعث عقبة

ابن نافع إلى بركة ورويلة وب جاورهم من البلاد فمست نحت دمة
الاسلام وسر عمرو بن العاص فعزا مدينة طرابلس وفتحها وافتتح جبال نفوسة
وكانوا على دين النصرانية كل هذا في رثن مصر بن الخطاب رضي الله تعالى
عنه في سنة ثلث وعشرين * وفي اقامة عمرو بن العاص على طرابلس
بعث بشر بن ارطاة ففتح وذا وحبال نفوسة ولم يتجاوز عمرو بن العاص
إلى افليم افرقية ورجع إلى مصر فلا رضي الله تعالى عنه *

الخبر عن قدوم عبد الله بن ابي سرح

وفي خلافة امير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه اقر كل
عامل كان لامير المؤمنين عمر بن الخطاب وكان لا يعزل احدا إلا عن شكاية
فاقر عمرو بن العاص على مصر وكان عبد الله بن سعد بن ابي سرح من
جند مصر * فامره عثمان على الجند وسرحه إلى افرقية وكان اخا عثمان
من الرضاعة وسرح معه عبد الله بن نافع بن عبد القيس وعبد الله بن نافع
ابن الحصين فساروا حتى وصلوا افرقية واوغلوا فيها ودارل فابس في طريقه
ورحل عنها وبث سراية في افرقية وكمن معهم من الجند عشرون الفا
إلى ان وصلوا سيظلة * وكمن الملك اذ ذاك جرجير وهو اعظم ملك
بافريقية * وقيل انه كان عاملا لهرقل وخلق طاعة هرقل واستقل
بملكه وضرب الدينار باسمه ابي باسم جرجير وكان سلطانا من بركة إلى
طنجة ودار ملكه سيظلة وكانت بين عبد الله بن ابي سرح وبين جرجير
مراسلات فابى جرجير عنها وتاهب للحرب وجعل ابنته على ديدبان مال
واقسم بدينه لا يقتل احد امير العرب إلا زوجه ابنته * وبلغ الخبر إلى
عبد الله بن ابي سرح فاقسم بالذي جاء به محمد لا يقتل احد جرجير إلا
نقله ابنته * والتحم القتال وكان عسكر جرجير مائة الف وعشرين الفا *
فانصر الله المسلمين وقتل جرجير قتله عبد الله بن الزبير واخذ ابنته
جرجير * وقتل المسلمون المشركين وهزمهم إلى ان دخلوا مدينتهم *
فسار عليها المسلمون وحاصروهم بها وفتحها الله عليهم وذلك في سنة سبع

فقال له اصحابه: وعلى من نسلم يا ولي الله فقال على قوم يونس ولولا البحر
لا ريتكم ايهم * ثم قل - اللهم انك تعلم اني انما اطلب السبب الذي طلبه
وليك دو القرنين الا يعبد إلا الله - ثم كثر راجع وتعالى الدس من طريقه
خوفا من جيوشه وقد دوح البلاد وليس بافريقية من يخالفه * ووصل
الى مدينة طينة وكان ملكهم كسيلة فتقدمت جيوش عتبة وبقي في نفر
يسير من اصحابه الى ان بلغ اليهودية وبادس فغلقتوا ابوابهم دونهم وشتمة من
اعلى اسوارهم ودعاهم الى الله فلم يجيبوا وبعثوا الى كسيلة وكان ممن اسلم
على يد ابي المهاجر لم فتح تلمسان * ثم صار في عسكر عتبة فاستخف به
عتبة وكان ذبح عنما لاصحابه فامر كسيلة بسلح شاة فقال كسيلة ايها
الامير هؤلاء غلاني وبني عليه فقام مضطربا وجعل يسلح الشاة ويسبح يده
على ذقه والعرب تسخر منه فمر بهم رجل من العرب فقال ان الربري
يتوعدكم * فسال ابو المهاجر لعتبة ان الرجل قريب عهد بالاسلام
فلا تهنه فلم يلتفت اليه عتبة * واسب ارسل له الروم امكنته الفرصة
فقال ابو المهاجر لعتبة عاجله قبل ان يجتمع اليه امره فزحف اليه عتبة
ففر امامه ووافه بمقبرة من نهودة فنزل عتبة وصلى ركعتين واطلق ابا
المهاجر وقل له عتبة الحق بالمسلمين فقم بامرهم وانا اغتنم الشهادة فقال
ابو المهاجر وانا اغتنمها ايضا فكسرا اعماد سيوفهما وتن معهما من المسلمين
والتهم القتل بينهم فتكاثر العدو فقتل عتبة وابو المهاجر وتن معهما
ولم يفلت إلا القليل * واجتمع الى كسيلة جميع اهل المغرب من الروم
والبربر واشتعلت افريقية نارا وزحف كسيلة الى القيروان فلما سمع زهير
حرص الدس على لقائه فمتنعوا منه واقبل كسيلة الى القيروان بعساكر
البربر فخرج اهل القيروان عاريين منه ولم يبق بالقيروان إلا الذراري
والضعفاء فبعثوا الى كسيلة وطلبوا منه الامان فامنعهم ودخل كسيلة القيروان
وفر زهير بمن معه الى برقة واقام بها الى ان مات يزيد بن معاوية بن
ابي سفيان. واما ملك معاوية ٢٠٨

الملك بن مروان * فلما اشتد سلطانه سألوه ان ينظر في احوال افريقيته
وتحليصها من يد كسيلة فقال ما ارى لها إلّا زهيرا لدينه وورثه وهو
اعرف الناس بسيرة عقبة فبعث اليه زهير وامده بالجيش والاموال وارسله
الي افريقيته * فلما تراءفت عليه الجموع اقبل الي افريقيته في جيش
عظيم وذلك في سنة سبع وستين وقيل تسع وستين من الهجرة والله اعلم
بحقيقة ذلك *

الخبر عن امارة زهير بن قيس البسولي

ولما قدم زهير الي افريقيته وسمع به كسيلة رحل عن القيروان ونزل
على ليس وقيل مس * ولما بلغ زهير خصرة لم يدخل الي القيروان واقام
على بابها ثلاثا وارتحل رابع يوم حتى اشرف على كسيلة ففر الناس وباتوا
على مصافهم ولما اصبح صلى بالناس ثم زحف بهم والتهم الحرب فقتل من
البربر خلق كثير وفر كسيلة وقفل الي مس ومضى المسلمون في طلب
البربر يقتلونهم كيف شاءوا ورجع زهير الي القيروان فحافه جميع سن
بافريقيته وتحصنوا بمعاقلهم ولم تقم لهم شوكة بعد ذلك ومضى تونس على
احد اقوال بعض المؤرخين كما سبق * وقيل ان حسن بن النعمان
افتتحها وقد مر في اول الكتاب * وقيل ان زهير كانت ولايته
من قبل عبد العزيز بن مروان وصد العزيز على مصر من قبل عبد الملك
اخيه ثم ان زهير راى بافريقيته ملكا عظيما فكرة لاقامته بها لرفاهيته
عيشها وقيل انما جئت للجهاد واحلف ان تميل بي الدنيا وكن
من الراعدين العابدين فمكر قافلا الي المشرق فلما انتهى الي بركة امر
العسكر بالمسير على الطريق واخذ هو في صابرة قليلة على طريق البحر
فوجد اقواما من النصرى اخذوا جلته من المسلمين اسارى فاستغاث به
المسلمون فوقع فيهم بنكن معه فاستشهد رجته الله عليه وسن معه * ولما
انتهى الخبر الي عبد الملك بن مروان عظم عليه ذلك وكانت مصيبتة به

مثل مصيبة عثمة رجهما الله * واستغاث المسلمون لعبد الملك وسأله أن ينظر في أمر إفريقية فاتفق رأيهم على حسان بن النعمان الفسافي وكان بمصر في عسكر عظيم عدة لم يحدث * وفستكت في أيام زهير بن قيس بأجدة وشبندرية وهي اليوم تسمى الكاف والأربص وهي قرية قريبة منها ومدينة تونس وقرطاجنة على الاختلاف في هذين البلدين والله أعلم *

الخبر عن ولاية حسان بن النعمان الفسافي

فكتب إليه عبد الملك يأمره بالتوجه إلى إفريقية وأطلق يده على أموال مصر يعطي منها ما شاء لمن يرد عليه من الناس فوصل إفريقية في أربعين ألف ولم يدخل إفريقية أعظم منه قبله وذلك في سنة سبع وسبعين وقيل في سنة ست وسبعين وقيل تسع وسبعين * فسلبا بلغ القيروان سأل عن أعظم ملك بإفريقية ف قيل له صاحب قرطاجنة * وكانت مدينة عظيمة تضرب أمواج البحر سورها وبينها وبين تونس اثني عشر ميلاً وبين تونس والقيروان مائة ميل وقد سبق التعريف بها ولخص جئت بها هنا لانتهم الفائدة * وأعجب ما بقرطاجنة دار الملعب ويسمونه الطياطر وقد بنيت أقواساً على ساري وعليها مثلها * وصور في حيطانها جميع الحيوانات وأصحاب الصنائع * وفيه صور الرياح فصورة الصبا وجه مستبشر وصورة الدبور وجه عبوس * ورخصام قرطاجنة لو اجتمع أهل إفريقية على نقله لم يمكنهم ذلك لكثرة * قلست لم يبق بها في زماننا من الرخام شيء * وضبط ابن الشباط قرطاجنة بفتح القاف وسكون الراء المهملة وبعدها طاء مهملة وفتح الجيم ونشديد النون وناء مؤنثة وقيل بكسر الجيم * وقيل سمعت من يقول قرطاجنة بفتح الجيم وكانت دار الملك بإفريقية * فبسمعت إليها الخيل وصايقها وقطع القناة التي جلب عليها الماء وكان البحر لم يخرق إلى تونس وإنما خرق بعد ذلك * وهدم المدينة وشتت أهلها واستقام أمره * ثم إن حساناً بلغه أن النصارى تجمعوا له وساعدتهم البرابرة * فسمار إليهم وهزمهم إلى برقة ورجع إلى القيروان فاستأنه بها

وسال هل بقي احد اذا قتل خاضعت البربر والنصارى فقبل له امرأة يتدل
لها الكاهنة وهي بجبل اوراس نخدعها النصارى والبربر فتوجه الى ثآنيها
وعلمت الكاهنة بامرأة فقدمت اليه في عسكر عظيم من البربر والروم * فالتقى
الجموع واقتتلوا قتلا شديدا ففر حصان منهزما وقتل من العرب خلق كبير
واسرت من اصحاب حسان ثمانين رجلا وانعت حسبا حتى خرج من
عمل قابس ونزل في برقة بمكان يعرف به الى اليوم بقل له قصور حسان
وقد سبق في اول الكتاب بما فيه كفاية ومكث هائلت خمسة اعوام الى
ان جاءه كتاب عبد الملك بن مروان وامده عبد الملك بمال والرجال وكر
راجعا الى افريقية * فلما سمعت به الكاهنة بعثت الى عمل افريقية
كلها وقطعت اشجارها وخرقت بسائتيها علم بن العرب لا يعابون الا المدن
واذا اخليت المدن لم يكن لهم ارب في افريقية واسم الكاهنة دامية بنت
ينفاق وهي من طماعة البربر الذين ملكوا افريقية وكما سبق في اول الكتاب
انها كانت ظلا واحدا من طرابلس الى طنجة * وكانت الكاهنة اطلقت
من اسرته من العرب الا واحدا اسمه خالد فآخعت بينه وبين ولديها
وقالت لهم اني مقتولة وكافها تنظر الى راسها يركض به الى ناحية المشرق
ثم امرت ابنيها وخالدا ان يمشوا الى حسان ويستمنوه فتوجهوا الى حسان
واعلوه بخبر * ثم تقدم حسان حتى التقى به واقتلا قتلا عظيما حتى
ظن الناس انه القى * فانهزمت الكاهنة ونعها حسان وقتلها مكان يعرف
ببئر الكاهنة وقيل في طبرقة وبعث براسها الى عبد الملك * وثقل لولدي
الكاهنة على اثني عشر الفا من البربر الذين اسلوا وبعضهم الى المغرب
يجاهدون في سبيل الله ولم يبق له بفرقية منازع فرجع الى القيروان
وقد دانت له البلاد وذلك في سنة اربع وثمانين وسكتب الخراج على
النصارى وعلى من تمسك بدين النصارى من البربر وتقدم ان زهيرا احتج
تونس نقله ابن الشباط عن البلاذري وعن البكري ان حسان اقتنحها *
قيل ابن الشباط وعل الفتح كان مرتين والله اعلم * وسبق في اول

أبي الحكم بن العاص وعدة أشراف من قريش فتفتح مدينته سوسة وكان
 أرسل إليها عبد الله بن الزبير وقائل الصاري الذين بها ظهرت منه شجاعة
 فوبت على باب سوسة بحيث أنه صلى صلاة العصر والعدو قريب منه ولم
 يكترث به ورجع إلى معاوية بن حديج وأرسل ابن حديج عبد الملك
 ابن مروان إلى جلولاء فحاصروها أياماً وحل من أهلها عدداً كثيراً وفكت
 حوزة وسوا الذرية وأصابوا معتمداً كثيراً وقسم معاوية الشيء بين المسلمين والله
 أعلم هل كانت في سنة أربع وثلاثين أو خمس وأربعين وبين جلولاء والقيروان
 أربعة وصرور ميلاً وتقرب جلولاء منبذة لني عبيد يعرف بسردياته ليس
 بأفريقية أجل منه وكانت كثيرة النمار وأكثر رباحيتها الياسمين والورد وبها
 قصب السكر * قسـال ابن ناجي كان يدخل إلى القيروان أربعون
 جلاً ورداً جلولاء في اليوم ويوردها يصب المثل * وأرسل معاوية بن حديج
 جيشاً في البحر في مائتي مركب إلى صقلية فتكرها وسبوا وغنموا وأقاموا شهراً
 وانصرفوا بغنائم كثيرة * وبسعت معاوية بالخمس إلى معاوية بن أبي
 سفيان * وفي سنة إحدى وأربعين فتفتح بنزرت وكان معه عبد الملك بن
 مروان فشد عن الجيش فمر بمرارة من العجم فقرته وأكرمته فشكر لها
 ذلك ولما ولي الخلافة كتب إليه عامله بأفريقية أن يحسن لها ولاهل
 بيتها * وبنزرت قديمة البناء وهي أجل بلاد على ساحل البحر * قسـلت
 وسمعت من يقول معنى قوله تعالى - وثمود الذين جابوا الصخر بالوادي -
 هي بنزرت * وسمعت من يقول في قوله عز وجل - وسئلهم عن القرية
 التي كانت حاضرة البحر - هي بنزرت * وسمعت من يقول مكان
 المحاكم به يهودي في الزمن السابق ولما ضعف أمرهم وصاروا تحت الذمة
 عاملهم المسلمون الذين تملكوهم بأن جعلوا موطنهم بين السبت نكايته لهم من
 ما سقى من أذاهم حتى لا يتصرفوا معهم في معاشهم يوم السبت والله أعلم
 بحقيقة ذلك * وبسعت معاوية بن حديج ربيعة بن ثابت الأنصاري
 إلى حربته ففتحها وهي جزيرة في البحر تقرب من قبس وبينها وبين

البر بجلال وفيها بساط من كثيرة وزيتون كثير * وفيه سبل ان رويح به
 ثبت كان عاملا لمعاوية بن حديج على طرابلس سنة ست واربعين فصر
 افريقية من طرابلس سنة سبع واربعين وفتح حريرة والله اعلم * ورجع
 معاوية بن حديج الى مصر فلما وصل مصر عزله معاوية بن ابي سفيان
 عن افريقية واقرة على مصر ووجه معاوية عقبة بن نافع النهري الى افريقية
 في عشرة آلاف من المسلمين وقابل سن بها من النصارى والبربر حتى افناهم
 واتخذ قيروان للعسكر وهي القيروان التي في رمانا هذا * وسبب بآئها
 منكور في غير هذا المكان مبسوط بزيادة بيان واختط به الجمع الاعظم
 وصلى فيه * وكان عقبة رضي الله تعالى عنه مستجب الدعوة * وقيل
 ان غزوته هلك كانت سنة اثنتين واربعين والله اعلم * وفي سنة احدى
 وخمسين نزل معاوية بن ابي سفيان عقبة عن افريقية وولى مسلمة بن
 مخلد على مصر وافريقية *

الخبر عن ولاية مسلمة بن مخلد الانصاري

فلما وصل الى مصر بعث مولى له اسمه ديسر ويكنى بابي المهاجر
 الى افريقية فلما وصل اليها حكره ان ينزل في بلد اختطه عقبة وعد من
 القيروان وبني مدينته واخلى القيروان وامر الناس بعمارة تلك واسمها تيكروان
 فلما سمع عقبة بذلك حنق عليه ودعا الله تعالى ان يكنه من ابي المهاجر
 فاستجب الله دعاءه ونياي بعد * وفي ولاية ابي المهاجر فتحت جزيرة
 شريك * قسست جزيرة شريك هي الجزيرة المعلومه في زماننا هذا
 التي بها جام الانف وبناه الاندلس مثل سليمان وتركى وغيرهم واليه ينسب
 باب الجزيرة في يومنا والله اعلم * وجزيرة شريك كانت عامرة في ذلك الوقت
 وبها مدن وقصور كثيرة وخيرات ومزارع حسنة وهي بين مدينته سوسة
 ومدينته تونس * وسميت جزيرة شريك نسبة الى شريك العبي
 الذي كان واليا عليها وبعث اليها ابو المهاجر حش بن عبد الله الصنعاني
 فافتكها وغنم منها وقتل اهلها وسبى سبب عظيما * واحسن عقبة الى

المشرق فشكى إلى معاوية ما فعله أبو المهاجر به فوجه بالرجوع إلى
عمله * وتسوفي معاوية رضي الله تعالى عنه واستخلف ولده يزيد بعده
فولي عقبة بن ذفع افرقيية في سنة اثنتين وستين من قبل يزيد بن معاوية
فسار عقبة حنف على أبي المهاجر * فلما بلغ افرقيية اوثقها بالحديد وامر
بتخريب مدينته التي بناها واعد الناس إلى القيروان وعمرها واجمع عقبة
على الغزو في سبيل الله * واستخلف زهير بن قيس البلوي على القيروان
ومضى في عسكر عظيم حتى نزل مدينة بفسية وهي قريبة من جبل
اوراس والجبل مطل عليها وكان قد لجأ اليها جمع من البربر والنصارى
فقاتلهم عقبة قتلا شديدا وهزم الروم والبربر وغنم منهم خيلا لم يروا احسن
منها * ولما حلهم إلى الحصن وارتحل عنهم إلى مدينة ليس وهي اذ ذاك
من اعظم مدائن الروم فقاتلهم اشد قتال وهرمهم إلى باب الحصن * وليس
قريبة من بلد قسطينة وبينهم مرحلتان واكثر اشجارها التين والعنب
والخوخ والجوز * فستحت في ايام عقبة عداس ايضا ولكن في ولايته
الاولى سنة اثنتين واربعين قتل وسبي وبلغ في غزوته إلى بلد السودان وعامة
بلاد البربر وفتح بران وفتح وداو وقصعة وقسطينة فتحا ثانيا لانها فتحت
قبلة وارتدوا فاعادهم بغزوته هذه حتى اذعنوا له * وكذلك نططه وتقيوس
وتابس والحامة * ولما غزا حزان خرج اليه ملكهم فصالحه على ثلثمائة
عبد وستين مېدا * وغزا قصور كوار وفرض على اهلها ثلثمائة عبد وستين
عبد وهذا اذركم هو واصحابه العطش فصلى ركعتين وسأل الله سبحانه
وتعالى الماء فجعل فرسه يبعث برجليه حتى طلع الماء وهو الذي يقال له
تين الفرس إلى زماننا هذا * وصديق على اهل كوار ورحل عنهم واخذهم بغتة
عد ما رحل عنهم واطمنوا فاباح في مدينتهم وسبي نساءهم وذرايرهم ثم
نصرف إلى زويلته ثم رجع إلى معسكره فاقام فيه مدة اشهر وسار بعد
ذلك إلى قصعة وقسطينة * وذكروا ان بني سور قصعة غلام النمرود *
سم نوحه إلى المغرب ففتح مدينته سبتة ومدينة طنجة * وسبست

مدينة على بحر الرقنى من ناحية المغرب وكان صاحبها اليس وهو الذى اعان طارق بن زياد على دخول بلاد الاندلس * وهي مدينة قديمة من بناء الاول وهي في زمان في يد اعداء الدين اعداه الله للاسلام * وصالحه صاحبها واقرة **بني** بلاد ومار الى طنجة فتحها وقتل رجالها وسمى تن فيها وهي طنجة البيضاء وكانت دار ملك للملوك المغرب * وقيل انه كان لملك من ملوكها في مسكة ثلاثون ميلا وهي اخر حدود افرقيّة في المغرب وبينهم وبين القيروان الف ميل وهي اليوم في يد الكفرة اعداء الله تعالى للاسلام وما ذاك الا من اصل الفتن التي كانت بين ملوك المغرب الاشراف الذين كانوا بمدينة مراكش حرسها الله وملكوا العرايش والمعصرة والسريجة وهران وعدة اماكن بالمغرب اعادها الله تعالى للاسلام وذلك بعد الالف من الهجرة * ووصل عقبه الى السوس الادنى والسوس الاقصى ومن طنجة الى تاجرا مدينة السوس الادنى عشرون يوم وليس في بلادهم شجر ولا نخيل ولا زيتون **ومندهم** القمح والشعير والاشنام ولباسهم الصوف * ومن تاجرا الى طرفلة مدينة السوس الاقصى مسيرة شهرين * وليس وراء طرفلة انيس في المغرب الى متهى بحر الرمل * ومن طرفلة الى غانة ثلثة اشهر والله اعلم * **قَالَ** وقابل عقبه اهل السوس وسبى منهم سبا كثيرا وفتح مدينة يعلى وسبى منها سبا لم ير مثله حسنا * وكانت الجارية منه تباع بالف واكثر **من** ذلك اي الدنانير * وفتح درعة وهي مدينة عظيمة لها وادي يجري بالماء وعليه اسواق بعدد ايام الجمعة كل يوم سوق وربما كان سوقان في اليوم الواحد في اماكن متفرقة وذلك لكثرة اهلها وطول عمارتها * **وَقَسَمَ** مدينة نيس وكانت حصينة واليهب التجا كثير من البربر والنصارى لخصائنها فحاصروهم شهة وقائلهم حتى فتحها واصاب غنائم كثيرة * ووصل الى درعة من بلاد السوس الاقصى ودخل الى بلاد لمتونة في الصحراء وفر الناس امره لا يقوم بين يديه احد ولا يعارضه الى ان بلغ الى البحر المحيط **قال** فدخل فيرقواهم فرسه **وقال** - وعليكم السلام -

الکتاب ان حسب ما هو الذي خرق البحر الى تونس وابنه بعث الى عبد الملك بن مروان يحصره بحمل نونس حتى بعث له الثبیط كما مرءا فند ومهد فواعد افریقیة الى ان تزل موسى بن نصير والله اعلم *

المختبر عن امرأة موسى بن نصير القرشي

من قبل الوليد بن عبد الملك بن مروان بعد ما عزل عنه حسب ما وقيل انه استعفى منه وان الوليد اراده الى افریقیة ومنتسح منها وحلب عندها فكتب الوليد الى عمه عبد العزيز ان يبعث موسى بن نصير الى افریقیة وقطع افریقیة عن عمه عبد العزيز وارسل اليه موسى بن نصير فقدم لا فریقیة سنة ثمان وثمانين فوجد البلاد خالصة لا اختلاف ايدي البربر عليها ولمسا سمعوا به فروا امامه الى المغرب فسمعهم يقتل ويسبي ولا يدافعهم احد حتى بلغ السوس لادبي وثمانين البربر فامتهم وولى عليهم واليا واستعمل على بلاد طنجة طارق بن زياد مولاه وبرز معه سبعة عشر الف فارس من العرب والبربر ثم رجع الى افریقیة ففتح بجاجة * وقيل كان فتحها على يد بسر بن ارطاة استعمله موسى بن نصير وبعث بخمسة الى الوليد وفتح رجوان وكان بها عدة قرى وبها من البربر عالم عظيم فعزاه موسى بن نصير وقيل جمعهم وسبي منهم سب عظيم فبلغ سبيهم عشرة آلاف وهو اول سبي دخل القيروان في ولاية موسى بن نصير وغزا هوارة وزناتة وصنهاجة * وقيل ان موسى كانت اول ولايته من قبل عبد الملك بن مروان سنة ثمان وسبعين ولم يزل الى ايام الوليد بن عبد الملك فتوالت عليه فتوحات موسى ابن نصير فظمت مملكته عبد الوليد * وقيل ان موسى هو الذي خرق البحر الى تونس وبني دار الصناعة وصنع بها مائة مركب وغزا صقلية * وبعث ولده مروان الى السوس لاقصى في خمسة آلاف فارس فعزم منه لا يبلغ الحصر * قيل ان السبي بلغ اربعين الفا * وبلغ موسى الى ما لا يسلمه غيره الى البحر المحيط وراى عجائب يتصور عنها الوصف وهي مدونة في غير هذا الموضع بطول شرحها لمن نسعى ورفى ما لم يره غيره * وبعث الى

الاندلس طريف مولاه ولقبه ابو ربيعة في سنة احدى وتسعين وبلغ الى جزيرة
طريف وبه سميت الى الان * وفي سنة اثنتين وتسعين بعث مولاه طارقا
الى الاندلس وكان عمله على طجة واعانه على الدخول اليها الياس صاحب
طجة وقيل صاحب سبتة وقيل الياس وصل الى القيروان مستنجدا بموسى
ابن نصير لامر حدث عنه من قبل رديق ملك الاندلس وهون على موسى
فتح بلاد الاندلس وان موسى كتب الى طارق بامره بالمسير الى الاندلس *
وكانت دار الملك بها مدينة طليطلة وركب طارق في البحر ونزل في
جبل الطر هكذا اسمه في رماننا هذا وانما اسمه حل طارق لانه سمي
به واعانه اليان صاحب الجزيرة الخضراء من عمل طجة وشرحه يطول
ذكر ذلك صاحب كتاب العرب وفي الاكتفاء لابن الكردبوس والطبري
وصاحب المختصر وغير واحد من اهل السير والعمدة عليهم * ولما حل طارق
بجبل طارق وسمع به رديق ملك الاندلس حشد جيشه وجمع جموعه
واقى طارق فالتقى معه وكانت ايام القتال بينهم ثمانية ايام فهزم
الله الكافرين ومنح النصر للمسلمين * وكان مع طارق اثني عشر الفا
وعسكر الروم شيع عظيم واصحاب المسلمون من السبي ما لا حصر له من
الذهب والفضة والجوهر حتى ان الرجل منهم اذا ضلعت دابته وجد في
حافرها سمرا من ذهب او فضة او حصيات من جوهر وهذا شيء لم يسمع
بمثله * وفتح اشيلية وقرمونة وشذونة ومورور واستجة وقرطبة وطليطلة
وباجة ومردة وسرقسطة واكثر بلاد الاندلس * ولما سمع موسى بن
نصير بهذا الفتح احب ان يكون شريكا معه فستخلف اليه عبد الله على
افريقية وشخص بنفسه وذلك في سنة ثلث وتسعين وكان في عشرة آلاف
فارس * فسار على غير الطريق التي سلك عليها طارق وفتح في طريقه
عدة مدن اخر * وغزا موسى من طليطلة الى الجلائقة فطلبوا الامان من
موسى وسار على سرقسطة مسيرة عشرين يوما وبين سرقسطة وقرطبة مسيرة
شهر * وكانت اقامته بالاندلس عشرين شهرا وخرج عن الاندلس

وقدم الى الوليد ككذب يقول فيه - يا امير المؤمنين انه المحشور وليس
بالفتح - واقل بمائة عجلة وثلاثين عجلة مهابة بالذهب والفضة والبلور
وعائث لا يعلم قيمته الا الله ومن ابناء الملوك والاسرى ما يقرب من
ثمانين الى اسير والمائدة التي كانت لسليمان بن داود عليه السلام واقى
افريقية سنة اربع وتسعين واستخلف ذلك عبد الله على افريقية وعلى
الاندلس ذلك عبد العزيز * واقبل بجبر الدين خلفه ووصل الى مصر
سنة خمس وتسعين ورحل الى الشام فوجد الوليد في شكايته التي ماتت
فيها * وبعث اليه سليمان اخوه بمره ان لا يدخل في ايام الوليد
لانه كان ولي العهد فخالفه موسى ودخل دمشق والوليد في مرضه فلما
ولي سليمان الخلافة خلفه على موسى بن نصير ومصادرة بمائتي الف دينار *
وحج سليمان ومعه موسى فمات في تلك السنة بعد ما طلب في مصادرته
في احياء العرب وقسى كرك حتى ان خدمه هم بالهروب عنه لما فلق
منه فلما رأى موسى ذلك دعا الله ان يقضيه فاصبح ميتا رجسته الله
تعالى عليه وكان موجب الدعوة فسبحان المعز المذل بعد ما ملك ما لم
يملكه غيره وحاز نصف المعور من الدنيا لم يمت حتى احتاج الى السؤال
في اقرب مدة ومات في مصادرته رجة الله عليه * وانما اطلت الكلام
هالان رالب اهل بلدنا ليس لهم اعتناء بالآخرة فدا نظر احد في هك
لاوراق علم ان افريقية لم يصيت في كل زمان * وان هك البلاد كلها
فتحت على يد عمل افريقية * وكانت دار الامارة بالقبروان * ومنها
فتحت صقلية ايضاً في اخر امارة الثالثة كما سيأتي ان شاء الله تعالى *
وموسى بن نصير هذا من التابعين يروي عن تميم الداري رضي الله تعالى
عنه * وكان مائلاً كرم شجاعاً لم يهرم له جيش قط ذكره ابن خلكان
وانى عليه بزيادة نأه * ونقل عن الليث بن سعد انه قال بلغ الخمس
ستين الف رأس في غزوة افريقية على يد موسى بن نصير وانه وجه ذلك
عبد الله فمات بمائة الف رأس من السبي ووجه ذلك مروان الى ناحية اخرى

فأثابه بمملها * وقسمال الصدي ثم يسمع بمثل ساب موسى بن نصير في
 الاسلام واستصحب عبد ودومر الى الوليد سبعة وعشرين ناضاً مكللة بالدر
 والياقوت تيجون ملوك الاندلس اليونانيون ومن الرقيق ثلاثون الف رأس
 وقسيل ان الوليد بن عبد الملك هو الذي نغم عليهم واقامهم في الشمس
 يوم كاملاً حتى خر مغشى عليه * والاصح انه صادرة سليمان بن عبد الملك
 ورحم معه في سنة تسع وتسعين وقيل سبع وتسعين ومات في الطريق بوادي
 القرى والله اعلم ذكره السعدي وابن خلكر وغالب المورخين ببسط
 من هذا * وكانت ولايته بافريقية ست عشرة سنة ومات ولم من
 العمر ثلث وسبعون سنة * ولما ولي سليمان بن عبد الملك الخلافة
 سنة ست وتسعين عزل عبد العزيز بن موسى بن نصير عن الاندلس *
 وقسيل عبد العزيز هذا كان احب موسى بن نصير * وبسعت اليه الشيخ
 ابن مالك * وكانت ولايته عبد العزيز عن الاندلس سنة * وبسعت
 الى افريقية عبد الله بن كرز واقام بافريقية في ايام امير المؤمنين عمر بن
 عبد العزيز رضي الله تعالى عنه * وعبد الله بن كرز هذا هو القائل كنت
 عامل افريقية في ايام عمر بن عبد العزيز فشكوت اليه الهوام والعقارب
 التي بافريقية فكتب الي وم علي احدكم اذا امسى ان يقول - وم لا
 الا نتوكل على الله وقد هدانا سلباً ولنصبرن على ما ءاديتهمونا وعلى الله فليتوكل
 المتوكلون - فسلت وعلى راس المائة الاولى دانت له جميع افريقية من
 برقة الى السوس الاقصى ولم يم بعد قائمة للنصري وابربر الذين بها *
 فسمهم من دخل في الاسلام ومنهم من ضربت عليه الجزية * وكانت
 بها عدة قرى عامرة بالكفر الى بعد المائة الرابعة * وكانت الاسقفنة
 نائي من الاسكندرية من قبل البتوك الذي بها الى نصري افريقية
 والان طهر الله تعالى هك البلاد من دنس الشرك والله الحمد * وكانت
 الولاية في الرتن الاول سكدهم القيروان ويعتقون بعسلهم الى اقصى المغرب *
 وفي ايام عمر بن عبد العزيز عزل عبد الله بن كرز الذي كان عملاً

اسليمان بن عبد الملك وبعث الى الاندلس حذيفة بن الاحبص *
 وبعث لافريقية محمد بن زيد الانصاري فقام بها في ولاية يزيد بن عبد
 الملك بن مروان * فعزله يزيد بن عبد الملك بن مروان وبعث الى
 افريقية يزيد بن ابي مسلم الذي حكام ورير الحجج بن يوسف الثقفي
 وكان سجنه سليمان بن عبد الملك بن مروان وبقي في السجن ايام سليمان
 وايم عمر بن عبد العزيز فلم يستخلف يزيد بن عبد الملك اطلقه من السجن
 وبعثه الى افريقية والى عليه فلم يقدم افريقية واجتمع بمحمد بن يزيد
 الانصاري قل له يزيد الحمد لله الذي مكنتك منك والله لو حل القضاء
 بيني وبينك لسبقته اليك * وقيل كان بينك عنقود من العنب وانما قال
 والله لو سبقني ملك الموت عن اكل هذا العنقود لسبقته اليك وامر بتقييد
 وحطه في الطع فينما هم في المحصورة اذ اقيمت صلاة المغرب فقدم يزيد ليصلي
 بالناس فلم يجد طعمه رحل فقتله واشهر الى محمد بن يزيد ان سر به
 امن الله قال محمد عسرت وا - منعصب من صنع الله ذكره ابن حلكس باسط
 من هذا * وذكره صاحب الفرج بعد الشدة * وقيل سبب قتل يزيد
 ابن ابي مسلم انه اراد ان يسير في الناس بسيرة الحجج فذسوا عليه من
 قتله * وقيل ان الذي قتله من الخوارج * وقيل ان اهل افريقية
 كتبوا الى امير المؤمنين يزيد بن عبد الملك - ان لم نخالع لك طامعوا نما
 عا ملك سرفينا بالمجور فقتله - فرد عليهم محمد بن يزيد الانصاري وصرفه
 ببشر بن صفوان الكلبي * وبعث الى الاندلس عقبة بن الحجج واقام
 بشر بن صفوان الكلبي بافريقية الى سنة خمس ومائة * فقتل من افريقية
 بهدية عظيمة الى يزيد بن عبد الملك فبلعه في الطريق وفاة يزيد فقبل
 بهديته الى هشام بن عبد الملك فرده الى عمه بافريقية فلم يرل بها الى
 ان مات في سنة تسع ومائة * واستخلف بشر على افريقية ابن قرط
 الكلبي بعث بها * وابى بلغ خبره الى هشام فزله وراى مكانه عبيدة بن
 عبد الرحمن القيسي وذلك في صفر سنة خمس ومائة فلم يقدم عبيدة الى

افريقية بعث المستنير بن الحارث غزياً الى صقلية فاصابهم ريح فغرقهم
وسلم المركب الذي به المستنير والقمم الريح الى طرابلس * فكتب
عيدة الى عامله بطرابلس يأمه باصداك المستنير وان يشد وثاقه ويرسله
اليه ففعل به ذلك وارسله الى القيروان فلما وصل الى صيدة جلك وطيف
بدي القيروان والقاه في السجن * وانما انتقم من المستنير لانه اقام برص
الروم حتى دخل الشتاء واشتدت عليه امواج البحر حتى طبخت المراكب
ولم يزل محبوس الى ولاية عبيد الله بن الحبحاب فطلقه ابن الحبحاب
وبعثه الى تونس كما مر في اول الكتاب وسيتبين بقية حادثة ان شاء الله *
فصلت وهذا يعني ما تقدم من ان عبيد الله بن الحبحاب هو الذي
بنى دار الصناعة بتونس - ودار الصناعة صارة عن المكان الذي ينسب به
المراكب لان المراكب غرت من بحر تونس من قبل ان يتولى عليها ابن
الحبحاب برس طويل - ويؤيد قول من قال ان الذي بنى دار الصناعة
هو حسن بن العمان او من قال ان موسى بن نصر هو اول من فراه في
بحر تونس او غيره * وابن الشماخ صرح على ان الباني لدار الصناعة عبيد
الله بن الحبحاب والعقل والنقل يشهدان بحلافي ذلك والله اعلم وسياتي
بمزيد اصاح * ولم يزل صيدة بن عبد الرحمن القيسي الى سنة عشر ومائة
فقلل الى المشرق وقدم على هشام من افريقية ومعه هدايا كثيرة * وكان في
ما قدم به من العبيد والاماء والحواري المتخبرة سبعمائة جارية وغير ذلك
من الخصيان والخيل والدواب والوانى من الفضة والذهب فقدم على هشام
بهداية واستغفاه فاعفاه * وكان خلف على افريقية عقبة بن قدامة التميمي
الخبر عن ولاية ابن الحبحاب

فكتب هشام الى عبيد الله بن الحبحاب وكان عامله على مصر فامره
بالسير الى افريقية وولاية ايمهما وذلك في ربيع الاخير سنة عشر ومائة
فستخلف ذلك على مصر وقدم الى افريقية فاستخرج المستنير من السجن
وولاية تونس * وبسعت حبيب بن ابي عبيدة بن عقبة بن نافع الى

السوس وارض السودان ففتح مغما لم ير مثله واصاب ذهب كثيرا وكان في ما
اصاب جريس من حس تسميه اسبرو اجن لبس لكل واحدة منهن إلا
ثدي واحد * ووجه خالد بن ابن حبيب الفهري الى السبر بطنجة
ومعه وحوه اهل افريقية من فريس ومن الانصار قتل خالد وتس معه ولم
ينج منهم احد فسمت غررة الانراف وقتل عبيد الله بن المحض الى هشام
في جمادى الاولى سنة ثلث وعشرين ومائة ذكره صاحب كتاب الاكشاف ابن
الكردبسي * ونسقل ابن الشاط ان عبيد الله بن المحض ارسل حبيب
ابن ابي عبيدة في البحر عزيا الى صقلية في سنة اثنين وعشرين ومائة
فطفر ظفرا لم ير مثله ونزل على سرقوسة وهي اعظم مدنها بصقلية فقاتلهم
وقاتلوه حتى ضرب بهم بالسيف فثار فيه فوجته الصاري فاذموا دماهم
الجريه فاحدوا منهم ورجع سبل الى عبيد الله بن المحض * وكس ابن
المحض رئيسا نبيلا واميرا حليلا وكان بليعا حافظا لا يلم العرب وهو الذي
بنى الجمع بتونس ودار الصعقة سنة اربع عشرة ومائة كما تقدم كذا نقل
ابن الشاط وذكر عن غيره ان ولايته كانت سنة ست عشرة ومائة وقيل
الى المشوق في جمادى الاولى سنة ثلث وعشرين ومائة والله اعلم *

الخبر عن ولاية كلثوم بن عياض القيسي

قال صاحب الاكشاف في جمادى الثانية من سنة ثلث وعشرين ومائة وحده هشام
ابن عبد الملك كلثوم بن عياض القيسي الى افريقية فلما قدمه عرا الى طنجة
قتله البربر هذلك ولم يذكر وفاء واح ذكر ذلك اجالا لا تفصيلا ولم اطاع
على خيرة ولعل صاحب تاريخ القروان ذكره بإسطة عن هذا واني
مشتوق الى رواية هذا التاريخ ولم اتصل به ولعل ما ذكرته في هذا
المجموع هو موجود في تاريخ القروان بزيادة ايضاح وما جمعت هذا القدر
اليسير الا من غيره ولي العذر فيما جمعت من تشتت السال وترادف المحن
والاهوال ومن صيق الوقت وكثرة المقت وقتل لاطلاع وقصر السع وقتل
لمساند وكثرة السعد والله المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله *

الخمر عن ولاية حطلة بن صموان

قال بن الكردبوس ولما سمع هشام بن عبد الملك بوفاة كتلسوم بن عيص ارسل الى افریقیة حطلة بن صموان في صفر سنة اربع وعشرين ومائة وقدم بها الى ايام مروان بن محمد * وفي ايام هشام بن عبد الملك عزل عقبة بن الحجج عن الادلس وولى مكانه الحسب بن صرار الكلبي وقدم اليه بالادلس تسعة ايام وهو الذي جوز اليها من اهل الشام عشرة آلاف رجل وهرم بهم ابن يفرن الزباني اذ كان قد قدم بها عليه فظفر به وصلبه وصلب عن يمينه كلب وعن يساره خنبريا وخلفه قردا وامامه دها واسكن اهل دمشق البيرة واهل فلسطين شذونة واهل الاردن وسقة واهل قنسرين حيار واهل مصر بجه واهل حص اشيلية وبهم سميت اشيلية حص ومات بها في ايام هشام فولى عوصه الهشم بن الكلبي وما ذكرت هذه النذرة الا لابسين ان الادلس كانت من تحت ايدي ولاية افریقیة ومنه فتحت والزية لا افریقیة عما سواها من بلاد المغرب وكل بلد بالمغرب كانت تحت ايدي البلاد لا افریقیة ولم تزل الولاية تنردد اليها من ايام الفتح من قبل الخلفاء الامويين الى ايام هشام بن عبد الملك * ولم توفي هشام سنة خمس وعشرين ومائة في ربيع الاخر وكادت خلافته تسع عشرة سنة وسبعة اشهر وعشرة ايام قام بالامر بعك الوليد بن يزيد بن عبد الملك في اليوم الذي مات هشام فيه * وحسن يحب اللهو والصيد واطهر الملامى وانفق في شرب الخمر وجهر بالكأثر وعم الجور في ايامه حتى كاد يقتل فيه جبهو بني امية ومثاله مذكورة في غير ما موضع وقم عليه يحيى بن ريد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضوان الله عليهم فبعث اليه الوليد جيشا فقتل يحيى في تلك الحروب وجيء براسه الى الوليد وصلت جثة زيد ولم يرل مصلوب الى ايام ابي مسلم * والوليد هو الذي قرأ في المصحف قوله تعالى - واستفتحوا وخب كل جبر عنيد - فنصبه عرسا للمشاب وجعل يقول تهددني بجبار عسنيدي فيها انا ذاك جبار عسنيدي

أدار جنت ربك يوم حشر فقل يا رب مرقني الوليد
فلم نطل أيامه حتى عاحله القدر وقم عليه ابن عمه يزيد بن الوليد
فلم يترك له عين ولا أثرًا وفتح رأسه وحمله إلى دمشق وكانت خلافته
سنة وشهرين وقام بالامر بعد الوليد المذكور ابن عمه يزيد *
الخبر عن خلافة يزيد بن الوليد
ابن عبد الملك بن مروان

بسويح بعد موت ابن عمه الوليد في جمادى الآخرة سنة ست وعشرين
ومئة ويسمى يزيد الناقص * وقسم عليه مروان بن محمد بن مروان بن
الحكم عصب له فعله يزيد بلوليد * ولما دخل دمشق فر يزيد فظفر
به مروان بن محمد فقتله وصلبه وكانت خلافته ستة أشهر * وقسم
بالامر بعد أخوه إبراهيم *

الخبر عن خلافة إبراهيم بن الوليد
ابن عبد الملك بن مروان

بسويح في اليوم الذي مات فيه أخوه يزيد فلم نطل أيامه ولم يكن
له في دولته أقبال فكانوا تدره يسمونه بسمير المؤمنين وتارة بالأمير فقط
وقام عليه مروان بن محمد وسار إليه في سبعين ألفا * وبعث إبراهيم إليه
سليمان بن هشام في مائة ألف فقتلوا بغوطة دمشق فظهر عليهم مروان
وقتل منهم خلقا كثيرا ودخل دمشق * وحلح إبراهيم نفسه وكانت
خلافته شهرين وبعد شهرين من حله قتل مروان بن محمد واستقل
بالامر بعده *

الخبر عن خلافة مروان بن محمد بن مروان بن
الحكم ابن أخي عبد الملك بن مروان

بسويح في صفر سنة سبع وعشرين ومائة ولقبه مروان الحضر ومروان
الجعدي * ولما ولي الخلافة نبش قبر الوليد وأخرج جثته وصلبه وعزل عبد
الملك بن قطن عن لادلس وقدم عليها فتوالت بن نعيم الأنصاري فقام

واليا بالاندلس أربع سنين إلى أن ظهرت الدولة العباسية فبثى الأمر بالاندلس سدى واتفق رأيهم على أن يقدموا يوسف بن عبد الرحمن الفهري فأقام واليا عشر سنين إلى أن دخل إليها عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك بن مروان كما سيأتي أن شاء الله * ولـمـنـرجـع إلى ذكر مروان الجعدي * وفي أيام خلافة خالفت عليه حص ففتحها وهدم سورها ولم يزل في تشتيت من أمره واضطراب الواحي وهو في ذلك يقيم المحج إلى سنة ثلاثين ومائة وقام أبو مسلم الخراساني بدعوة بني العباس سنة تسع وعشرين ومائة * وكانت حروب كثيرة بينهم وفر مروان بن محمد وتبعه جيش بني العباس إلى قرية من قرى الصعيد يقال لها - أبو صير - سنة اثنتين وثلاثين ومائة * وكانت خلافة خمس سنين وعشرة أشهر وبه انقضت دولة بني أمية من المشرق وظهرت دولة بني العباس * وكانت أيام بني أمية ألف شهر * ولما دانت لبني العباس بلاد المشرق قتلوا من وجدوه من بني أمية إلا من استخفى منهم أو من كان دخل إلى بلاد المغرب * ومس الذين دخلوا المغرب عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم دخل بلاد الاندلس سنة تسع وثلاثين ومائة فوجد أحوال الاندلس غير مجتمعة ولم تصل إليهم ولاية من قبل الخليفة والناس فرق بين هاشم وأمية فاجتمع إلى عبد الرحمن كل من كانت في بطنه حرة أو مودة عن يوسف بن مر الفهري فاصاف إلى عبد الرحمن وقاسى به عبد الرحمن حظوبيا * ولـمـ بها وقائع مشهورة إلى أن دانت له البلاد * وقـاتـل الفهري وهزمه وقتله وملك مدينته قرطبة ودانت له البلاد وبقي ملكا وثلاثين سنة وتداولتها بنوه من بعده ولم يخطب أحد منهم لبني العباس ولم يدخل تحت طاعتهم إلى أيام عبد الرحمن الذي تلقب بالناصر لدين الله وتسمى بأمر المؤمنين - لما ظهرت بنو عبيدة في إفريقية ونسبوا بأمر المؤمنين تسمى عبد الرحمن بأمر المؤمنين * وقـسـل أن من تقدمه من آبائهم

كان يحطط لنبي العباس وعد الرجن هذا الذي نلقب بالناصر هو ابن
محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن المحكم بن هشام بن عبد
الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان لأموي توفي
سنة خمسين وثلاثمائة * وكانت أمارته خمسين سنة ونصف سنة وعمره
ثلاث وسبعون سنة * ولمسا مضت من أمارته سبع وعشرون سنة ورأى
ضعف الخلافة بالعراق وظهور العلويين بأفريقية نسمى بأمير المؤمنين *
وتولى بعده ابنه المحكم ونلقب بالمستنصر وتوفي سنة ست وستين
وكانت أمارته خمس عشرة سنة وخمسة أشهر وعمره ثلاث وستون سنة وسبعة
أشهر * وعهد له ذلك هشام وعمره عشرة أعوام ونلقب بالمؤيد وهو الذي
حجبه محمد بن عبد الله بن أبي عامر الملقب بالناصر واستحكم على امر
المؤيد هشام وأمر إليه الجند ولم يبق للمؤيد إلا الخطبة والسكة فدانت له
ملوك الشراك وانزلهم من صياصيتهم وحكم على ملوكهم وجعلهم عمالا له ودخلوا
في طاعته * وكان حرم عاقلا وأكثر العروات في بلاد الكوفة حتى أذلهم
الله على يده وجعلهم ينقلون التراب من أقصى بلادهم إلى قرطبة وبني به
الجامع وفعل بهم ما لم يفعل غيرهم من تقدمه وكان يقل في حقه انجب
مولود ولد في الاسلام * ونقله في خزائن بيت المال وجعله تحت يده
وكان خراج لاندلس حصر في زمن عبد الرحمن الناصر فبلغ خمسة آلاف
الف دينار فكان يجعل ثلثه في بيت المال والثلث للجنود والثلث الباقي
لبنائهم وصلاتهم للشعراء والعلماء وغير ذلك * ومسا اطلت في هذا الفصل
إلا تكون لاندلسية اصل امتنا من هذه البلاد ومنبت بناء الحكاية ليتصل
بعضها ببعض وربما لم يخل هذا الموضع من فائدة وإن كانت في غير هذا
أبسط من هذا وليعلم الوافف على هذه النبذة ان أفريقية لها الشرف
السابق بين بلاد المغرب لان لاندلسية فتحت منها في زمن الجاهلية وفي
زمن الاسلام وكذلك الصقلية فتحت منها * وكانت صالها من تحت
عمال أفريقية معين من الأعوام * وكانت دار ملك بني لاغلب القبروان

ثم قامت بها بنو عبيد القواطم ثم تملك عليهم ملوك صنهاجة * وكان لهم صخامة ملك وهم عمال للقواطم عندما رحلوا إلى بلاد المشرق * وكان حكم بني لأعلب وسن كان قبلهم من الأمراء وسن كان بعدهم من صنهاجة إلى حد الموس من بلاد المغرب إلا ما خرج عن أيدي بني لأعلب عند تمكن الأدارسة من بلاد المغرب * وكان أولهم إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وذلك بعد السبعين والمائة في أيام المهدي أمير المؤمنين العباسي وإدريس بن إدريس هذا هو الذي بنى مدينة فاس * وبسقية أخبارهم تنبى بعد أن شاء الله تعالى منذ ذكر الخلفاء الذين كانوا بالمغرب وملوك لموتة وبني عبد المؤمن الذين يقال لهم دولة الموحدين لكي يرتبط النظام بدولة بني حفص وسن بعدهم أن شاء الله من الأمراء الذين كان استيلاؤهم بتونس وكيف تسقل الأمر من حال إلى حال والله هو المتصرف في البلاد والعبد لا يسأل عما يفعل وهم يسألون * ولما آل بنا الغرض إلى هنا فذكر لأن تس دخل أفرقيقة من أمراء بني العباس ونسرد أسماءهم على الولاء من غير الطنب إلا ما تمس الحاجة بنا إليه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل *

ذكر الولاء من قبل العبدية

ولما كان قيام بني العباس بالمشرق وتشتت جمع بني أمية وكثرت الفتن بفريقية واشتغل بنو العباس بتمهيد البلاد في المشرق وهاجت فتن الخوارج بالمغرب قام أبو الخطاب رأس الخوارج بفريقية وكثر ضررهم واشتدت شوكتهم فأرسل أبو جعفر المنصور محمد بن الأشعث بن عقبه الخزازي سنة أربع وأربعين * وقسم إلى ابن نباتة الذي بعث محمد بن الأشعث أمير المؤمنين عبد الله السفاح سنة ثلث وثلاثين ومائة والقول لأول أصح * فحارب الخوارج وقتل أبا الخطاب وشرذم الصلابة وبدددهم وبني سور القيروان من الطوب ستمه عشر أذرع وذلك في ربيع الأول من السنة المذكورة وكمل في رجب الفرد الأصم

سنة ست وأربعين وهو أول قائد للسودة * والسودة كناية لبني العباس
لان شعارهم السواد وكانوا يلبسون السواد وكانت اعلامهم سودا وخاتمهم
سودا لانهم خرجوا طالبيين لدم الحسين وزيد رضي الله تعالى عنهما فجعلوا
شعارهم السواد * فمنهم عمر بن حفص بن ولد قبيصة بن ابي
صفرة اخو المهلب بن ابي صفرة المشهور لنسبته ذكره ولقبه هزار مرد
معناه الف رجل بالفارسية لغة فارس وما لقب بهذا إلا لشجاعته كان
يقوم مقام الف فارس في الحرب * وكان بطلا شجاعا اولاه المنصور امير
المؤمنين واسمه عبد الله المنصور اخو امير المؤمنين عبد الله السفاح ولي الخلافة
سنة ست وثلاثين ومائة وكنيته ابو جعفر وكان مقدما عمر بن حفص
ولاية ولايات منهم البصرة والسند وغيرهم وسيرة الى افريقية سنة احدى
وخمسين ومائة ومعه خمسمائة فارس واجتمع اليه وحوه اهل القيروان فواصلهم
واحسن اليهم واقام الامور المستقيمة ثلث سنين واشهرها ثم سر الى الراب
وبنى مدينة طينة وذلك بعد ان ورد عليه كتاب المنصور وقتلته الخوارج
بافريقية * ومنهم الامير يزيد بن حاتم بن ابي قبيصة بن المهلب بن
ابي صفرة دخل افريقية سنة خمس وخمسين ومائة من قبل المنصور وكان
معه خمسون الفا من العسكر فقتل الخوارج الذين قتلوا عمر بن حفص
المقدم ذكره ومهد البلاد ودانت له العصاة ودخل القيروان لعشر بقين
من جمادى الآخرة من السنة المذكورة ورغب امر القيروان وحل كل صناعة
في مكانها وكان جوادا مشهورا * وحسبى منه سخنون انه كان يقول
والله الذي لا اله الا هو ما هبت شيئا قط كهيبة رجل واحد يزعم اني ظلمته
وانا اعلم انه لا راحم له الا الله يقول بيني وبينك الله * وهسدم جامع
القيروان ما عدا الحراب وبناه واشترى العمود الاخصر بمال جزيل *
وكان جوادا سوريا يعد من الكرماء * ولما رحل عن العراق كان في
صحته يزيد السلمي عامل مصر فكان يزيد بن حاتم ينفق على الجيشين من
عنه وهذا غاية الكرم * وقصصك جماعة من الشهراء فاحسن اليهم وقصصك

سروان بس ابي حفصة الشاعر فانشك هذين البيتين -
 اليك قصرنا النصف من صلواتنا مسيرة شهر ثم شهر نوملسه
 فلا نحن نحشى ان يخيب رجأونا لديك ولكن هذا البرء طلسه
 فسامر للمجد بطلاياهم وقال سن احبني يعطي هذا الشاعر درهما
 فحصل له خمسون الف درهم وزاده من عنك حسين الف ورجع الشاعر
 بمائة الف درهم في بيتين * قلت انظر ايها المتامل الى نفاذ سرق
 الادب في ذلك العصر وقلت نفذه في زماننا هذا حتى ان الشاعر في هذا
 الزمان ربما جهد جهك في مدح انسان ويود ان يحصل له من المدوح
 السماع فضلا من المجازة فلا يحصل على شيء وكفى بمن يخل بسمعه والامر
 لله وكانت ولاية يزيد خمس عشرة سنة ومات بالقيروان سنة سبعين
 واسستخلى ولك من بعك وعزله امير المؤمنين هرون الرشيد باخيه
 روح بن حاتم رحم الله تعالى الجميع * والامير روح بن حاتم بن
 قبيصة بن المهلب بن ابي صفرة الازدي اخو يزيد بن حاتم المقدم
 ذكره كان عالي الهمة ولي الولايات الكبار الخمسة من الخاقا - السج
 - والمنصور - والمهدي - والبهدي - والرشيد - ودخل افرقيته سنة
 احدى وسبعين بعد موت اخيه يزيد واقم بها اربع سنين * ومن
 لانفاق الغريب انه كان واليا على السند واحة يريد على العرب فلما مات
 اخوه يزيد كان الناس يقولون ما ابعد قري هذين الاخوان احدهما
 بافرقية والاخر بالسند فاتفق ان الرشيد عزله عن ولاية السند وبعضه الى
 افرقية فمات بها في شهر رمضان سنة اربع وسبعين ومائة ودفن مع اخيه
 في قبر واحد ولله عاقبة الامور * وفي ايامه ظهرت دولة الادارة بالمغرب
 وبسويح الامام ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علي بن
 ابي طالب بمدينة ويلي يوم الجمعة الرابع من شهر رمضان سنة اثنتين
 وسبعين ومائة واستفحل امره بتلك البلاد وسياتي بقية من خبره ان
 شاء الله تعالى * ومنهم الامير هزيمة بن اعين الهاشمي ولاء امير

المومنين هارون الرشيد امويي سنة تسع وسبعين وقدم الى امريقية يوم
الخميس لثلاث خلون من ربيع الاخير من السنة المذكورة واقام بها الى
سنة ثمانين * وهيهنا بنى بلد المنستير قاله ابن خلكان * ونقل ابن
الشباط انه بنى القصر الكبير بالمستير سنة ثمانين على يد زكرياء بن
قادم * وبنى سور مدينة طرابلس وامن الناس في ايامه * وقفل الى
المشرق في رمضان سنة احدى وثمانين ومائة بعد ما كتب الى الرشيد
يستغفيره عن الولاية لما رآه من الخلف فاعفاه الرشيد * وكتب اليه
بالقدوم الى المشرق وعاش الى ايام امير المومنين المأمون وكان يعتمد عليه
في الامور العظمى * وفي سنة مائتين حقد عليه وجبسه ثم ارسل اليه من
قتله في السجن رحمه الله * وكان من اكبر قواد المأمون ممن عاصد
طهر الحسين في محاربة الامين * ومنهم ابراهيم بن الاعلب كان
سنة اربع وثمانين ومائة من قبل هارون الرشيد وقيل خمس وثمانين وهو
الذي بنى مدينة القصر على ثلثة اميال من القيروان * وهدم دار الامارة
التي كانت بالقيروان قبلي الجمع واستقل الى القصر وجعله دار الامارة
وعمرت باراته مدينة القصر وصار بها اسواق وجامعات وفنادق وجامع
وذلك في سنة اربع وثمانين ومائة ومات سنة خمس وثمانين ومائة *
ومنهم زيادة الله بن ابراهيم بن الاعلب استقل بلامر في سنة احدى
ومائتين واقام في الولاية الى سنة ثلث وعشرين ومائتين * وقسم عليه
منصور الطنبذي وحاصره اثني عشرة سنة وسبى اهل القيروان الى الجور
وآخر الامر انتصر على الطنبذي وهرمه * وكان الطنبذي قدم مع جماعة
من الجند وملك مدينة القيروان وامريقية وكانت بينهما واقعات وفي آخر
الامر انهزم منصور الطنبذي وفتح الله عز وجل لزيادة الله وعاد اليه ملك
امريقية وهو الذي سور مدينة القيروان وحضر الجامع بها وانفق عليه
سنة وثمانين الف دينار بعد ما هدمه ما عدا المحراب ايضاً وبنى سور
مدينة سوسة * وفي ايامه بعث الى صقلية اسد بن الفرات وحسن

قاضييه بالقيروان ومعه من الجيش نحو عشرة آلاف فركب البحر من سوسة
وسار إلى صقلية والتقى بصاحبها بلاطه * وتكلم في انه سكن في
مائة ألف وخمسين ألفا فهزم الله الكافرين وغنم المسلمون أموالهم وبددوا
شملهم واستفتحوا من صقلية مواضع كثيرة * ونوفي اسد بن الفرات وهو
محاصر لسرقوسة في ربيع الاخير سنة ثلث عشرة ومائتين ودمر * ذلك
وسكنهم المسلمون واستوطنوها ما شاء الله وتداولت عليها الولاة من قبل
القيروانيين وكان محمد بن عبد الله بن الاغلب واليا على صقلية سنة ثمان عشرة
ومائتين ومات سنة سبع وثلاثين وفتح فيها فتوحات عظيمة وكان مقامه
في بلبيس لم يخرج منها وأصبحت سراية ومدة امره تسع عشرة سنة
لأن احدها منهم العدو وذلك بعد الاربعين وخمسمائة وسياتي بقية
خبرهم فيما بعد ان شاء الله * وسوفي زيادة الله سنة ثلث وعشرين
ومائتين رحمة الله عليه * ومنهم اسم ابو عقاب واسمه الاغلب بن ابراهيم
ابن الاغلب اخو زيادة الله المتقدم ذكره ونوفي ابو عقاب سنة ست
وعشرين ومائتين رحمة الله عليه * ومنهم اسم ابو العباس احمد بن ابراهيم
وكان في زمانه سكنون بن سعيد وفي أيامه منع سكنون اهل الاهواء
من المسجد الجامع وكانوا قبل ذلك يحتمعون فيه ويظهرون مذاهبهم مثل
الاباضية والصفرية والمعتزلة فمعههم سكنون من الاجتماع * وكان عامله
بصقلية ابن عمه محمد بن عبد الله بن الاغلب المتقدم ذكره ومات بها
سنة سبع وثلاثين ومائة * ونوفي بعك العباس بن الفضل بن يعقوب بن
فرارة وسياتي بعد ان شاء الله تعالى * ومنهم اسم محمد بن ابراهيم بن
محمد بن الاغلب وكان في سنة اربعين ومائتين * وفي أيامه عصي اهل
تونس عليه فعار عليهم ومسى منهم خلقا كثيرا * وله واقعة مشهورة مع الامام
سكنون في رد المسيحية ومع بعض امرائه من التصرف فيهم واستخرجون
من دارة * وبسمعت لأمير محمد بن سكنون في رد عن فاقسم لا
يردهن ما دام قاضيها إلا ان يرفع يده عن القضاة فكى عنه رحم الله الجميع

وسمى ايامه فتح العباس بن الفضل بن يعقوب بن قرارة مدينته بانته من
 صقلية وبنى بها مسجدا وصلى فيه الجمعة وهي دار الملك عندهم وكان
 الملك قبل ذلك يسكن سرقوسة وتوفي بها سنة سبع واربعين ومائتين وتولى
 بعده ذلك عبد الله بن العباس اميرا على الجزيرة * ومنهم ابراهيم بن
 محمد بن ابراهيم بن الاغلب قام بالامر بعد ابيه ومات في سنة تسع واربعين
 ومائتين * ومنهم زيادة الله بن محمد بن ابراهيم بن الاغلب قام
 بالامر بعد اخيه وكانت ولايته عاما وستة اشهر وتوفي سنة احدى
 وخمسين ومائتين * ومنهم ابن اخيه ابو عبد الله محمد بن احمد
 ابن محمد بن ابراهيم بن الاغلب تولى بعده زيادة الله سنة احدى
 وخمسين ومائتين في جادى الاولى وكانت امرته عشرين وخمسة
 اشهر ومات سنة احدى وستين ومائتين * وكان عامه على صقلية
 خفاحته بن سفيان ارسله من ابريقية فعرا فيها عدة غزوات وفتح قنوص
 عظيمة ولم يرل به الى ان اغتاله رجل من عسكرة فقتله وفر الى العدو
 واقام الناس ابنه محمد بن خفاجة وارسل اليه الامير محمد فاقرة على عمله ولم
 يرل الى سنة سبع وخمسين ومائتين فقتله خدمه الخصميان واستعمل بعده
 الامير محمد لاعلي على الجزيرة احمد بن يعقوب * ومنهم الامير محمد
 سنة احدى وستين ومائتين * ومنهم الامير احمد بن محمد بن احمد
 ابن محمد بن ابراهيم بن الاغلب قام بالامر بعد ابيه وهو الذي بنى ماجيل
 القيروان وجامع تونس وله واقعة مشهورة * ومنهم الامير ابراهيم بن احمد
 بن محمد الذي بنى مدينة رقادة وانتقل اليها وابندا بها سنة ثلث وستين
 ومائتين فكملة سنة اربع وستين وسكنها واتخذها دارا للملك * وكان
 يكثر الاقمار بتونس وكان ذا فطنة طيبة وصاحب معروف وطالت مدته
 وكانت ولايته سنة احدى وستين ومائتين وبعث الى صقلية الحسن بن
 العباس عاملا عليها فبعث الحسن سرايا وفتح عدة امكن مشهورة ودانت
 له البلاد واصلح حالها في ايامه وانتقل من افرنجية الى صقلية بعد ما

استخلف ولده ابا العباس احمد وحده في الله حق جهده * وفستخ
الفتوحات العظيمة ونوفي بالدرب وجل الى القيروان سنة تسع وثمانين
وماقتين وصادق بجميع ماله رحمة الله تعالى عليه * وكانت امرته
ثلاثين وعشرين سنة * وفي ايامه ظهر ابو عبد الله الشيعي بارض كسامة
يدعو الى آل البيت وسباني بقيته خيرة * ومنهم الامير ابو العباس
احمد بن ابراهيم بن احمد المتقدم ذكره استخلفه ابوه على افرقية عدد مسيرة
الى صقلية واقام بها بعد وفاة والده الى ان توفي سنة ثمان وثمانين
ومائتين وقام بالامر بعده ولك عدد الله بن احمد * ومنهم الامير عبد الله
ابن احمد بن ابراهيم بن احمد بن محمد وكان حسن السيرة كبير العدل ص حب
معروف واحسان استقل اليه الامر بعد ابيه سنة ثمان وثمانين وكانت
اقامته بتونس وقيل سنة تسع وثمانين ومات بتونس سنة خمس وتسعين
مقتولا قتله ثلثة من الصقلية فانفق من ابناءه زيادة الله لانه سحر من
شرب الخمر فانفق معهم على قتل ابيه وقتلوه واحضروا راسه بين يدي
زيادة الله ولك وهو في السجن فلما نولي زيادة الله امر بقتلهم فقتلوا وهو
الذي كان امر بذلك * ومنهم الامير زيادة الله بن عبد الله بن احمد
استقل بالامر بعد ابيه ولما لم له الامر انعكف على لذاته ولازم المحكمين
واهل احوال الرعية والمملكة وقتل من اعمامه واهل بيته من قدر عليه
وفي ايامه استفحل امر ابي عبد الله الشيعي القديم بدعوة الشاطبيين
بالمغرب * وارسل زيادة الله عسكريا مع ابن عمه ابراهيم وقدره اربعون الفا
فهزمهم ابو عبد الله الشيعي * ولما رأى زيادة الله هزيمة عسكره
وصعفه عن مقاومته جمع ما قدر عليه من الاموال وخرج عن ملكه عارا الى
المشرق وذلك في خلافة المعتذر بالله العباسي فوصل الى مصر وبها الوشري
عاملا عليه * فكتب الى المعتذر يخبره بريادة الله ثم سر زيادة الله الى
ان بلغ الرقة فوافاه كتاب امير المؤمنين بالعود الى بلاده لقتل الشيعي
* يامر عامل مصر ان يملك بمناجحة اليه من المال والرجال * فوجه الى

مصر فمات له العامل بها وزيدة الله في أثناء ذلك منعكف على لذاته واستمتع الملاهي وشرب الخمر فلما طل مقامه تفرق جمعه وفرت عنه اصحابه وتناجعت به الامراض فتوجه الى بيت المقدس لقصد الاقامة بها فمات بالمرلة ودفن بها ولم يبق بالعرب من بني الاصلب احد * وكسنت مدة ملكهم مائة واثنى عشرة سنة تقريبا * فسبحان من لا يزول ملكه ولا يفنى دوامه وتصرف في العبد احكامه يفعل في ملكه ما يشاء وهو على كل شيء قدير ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم *

الكتاب الرابع في ذكر الدولة العبيدية

وابتداء امرهم والتأثم لاصلاح دولتهم

فارسلهم ابو عبد الله الشيعي واسمه الحسين بن احمد بن محمد بن زكرياء من اهل صنعاء وقيل من اهل الكوفة اخذ اسرار الدعوة عن ابن حوشب وارسله الى المغرب فقدم الى مكة ايم الحج واجتمع بجمعة من المغاربة من اهل كندة وكان عددهم طوف من ذكر آل البيت فجلس اليهم وتحدث معهم وذكر لهم فصائل اهل البيت فانسوا به واعجبهم ومالوا اليه وسالوه عن قصص فاطمهم اهل مصر لقصد التعليم فاستعجبوه معهم الى مصر * ولما ان رحيالهم اخذ يردعهم وقد عز عليهم فراقه فسالوه الصلوة معهم الى بلادهم اذ كان قصص التعليم والشواب فاجبهم لما طلبوه وقفل معهم الى المغرب ولم يظهر لهم مريضة وفي أثناء ذلك يسالهم عن خبر بلادهم وصفتهم الى ان احاط بها خبره * ولما وصلوا الى بلادهم ننافسوا فيه وعدت تكون اقامته الى ان كادت ان تكون بينهم فتنة * فعند ذلك سألهم عن فيه الاحبار ولم يكن سألهم عنه قبل ذلك فعجبوا منه وقال اذا جئناه ننبئ كل قبيلة منكم في مكانها فرضوا بذلك وكان اسمهم عندهم ابا عبد الله المشرقي وقدم المغرب منتصف ربيع الاول سنة ثمانين ومائتين وانه البربر من كل مكان وذلك في زمن ابراهيم بن احمد الاطلي * فليسمع به استصغر امره واحتقرة * ثم مضى ابو عبد الله الى تيهرت فملكها وانشه وفود البربر من كل فيح ولا زال في زيادة من امره

الى ايام زيادة الله الاحول فبعث اليه عدة الوى فجزهم ابو عبد الله ولم
 راي زيادة الله اب عبد الله يترايد امرة فر بهله ومله الى المشرق كذا تقدم
 ولما اتصل الخبر بابي عبد الله ان زيادة الله هرب وكن اذ ذاك في بلد
 سبينة رحل منها وقدم بين يديه عروبة بن يرسف بن ابي خنير في
 الف فرس فرسلهم الى رقادة وامرهم ان لا يتعرضوا لاحد بمكره * فلما
 سمع اهل القيروان بذلك خرجوا الى ابي عبد الله وهنوا بالفتح ودخل رقادة
 يوم السبت اول وجب سنة ثلث وتسعين ومائتين * ولما حضرته
 الجمعة كتب كتابا لخطيب رقادة وخطيب القيروان بما يقولان * ونقش
 على السكة من وجهه - بلغت حجة الله - وعلى الوجه الاخر - نقرت اعداء
 الله - ولما استقام له الامر ومهد البلاد واجتمع باحبه ابي العباس استخلفه
 وخرج من رقادة في اول رمضان من سنة ست وتسعين وتوجه الى سجلماسة
 فحضر له العرب وخافه زناتة وقبائل العرب والبربر المحاذين له فطلبوا منه
 امانا * ولم قرب سجلماسة سمع به اليسع بن مدرار وكان عاملا لبني الاغلب
 وكان زيادة الله كاتبه يخبره بخبر المهدي وهو اذ ذاك في تلك فبعث الى
 المهدي وسأله عن حاله فانسكروا وكان وصل الى بلاده في زي الجسار
 فتجاوز عنه ولما بلغه الخبر عن ابي عبد الله الشيعي اسكت المهدي وسجنه
 فلم يسمع ابو عبد الله بملكه المهدي كاتب اليسع ولطف اليه فلم
 يعر منه شيئا وخرج اليه اليسع فقبله ساعته من نهار وانهزم فدخل ابو
 عبد الله البلد واستخرج المهدي وذلك من السجن وقرب اليهما مراكب
 رائعة فركبا ومشى ابو عبد الله ووجوه القبايل بين يدي المهدي وابو عبد
 الله يبكي من الفرح ويقول هذا مولاي ومولاكم وانزلني في فسطاط اعد له
 ورحل ابو عبد الله في طلب اليسع فطعم به وقسمه بعد ما طيع في العسكر
 وحارب بالسيط واقدم المهدي في سجلماسة اربعين يوما ثم نهض الى
 افريقية وكان دحوله اليه في اريد من سني الف بين فارس وراجل *
 وكن واصل المهدي الى رقادة ثم الحيسر لعشر ثمن من ربيع الاخر

سنة سبع وتسعين ومائتين ونزل بقصر من قصورها وفرق باقيها والسدور
على جميع الأجناس * وكتب إلى جميع البلاد فخذ البيعة وأمر الخطباء أن
يذكروا اسمه على منابر واستند بالأمور ودون الدواوين وهو أول من تسمى
بمير المؤمنين * وفي هذه السنة رالت دولة بني مدرار من سجال ماسية
الذين عا حرمهم اليسع بعد عاتين وستين سنة ودولة بني رستم من تيهرت
بعد ثلثين ومائة سنة ودولة بني الألب بعد مائة وأثني عشرة سنة والله
يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين *

الخبر عن خلافة الإمام المهدي

هو أبو محمد عبيد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى
ابن جعفر بن محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم نقله ابن خلكان
عن صاحب تاريخ القيروان وقيل ابن خلكان وجدت في نسبه اختلاف *
قلت وللمناس مذاهب في نسبهم والله سبحانه وتعالى أعلم ومولده بمسيلة
وقيل ببغداد سنة ستين ومائتين واستقل بالمرسة سبع وتسعين وكان
حلياً مهيباً حبيباً عاد بكل فر عارف بأسيسة والدبير للملكة ولهم له
الامر بأمر الأمور بنفسه وبعث العمال وجبى الأموال واستعمل على صقلية
أبا عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكرياء الشيعي * ولما استبد
بالامر دخل أبا العباس المحمد وأخذ في تغيير قلوب أهل الدولة وظهر
الخبر والمهدي مسرلاً ذلك أن فش بين الناس فنقسم المهدي على
أبي عبد الله وعلى أخيه أبي العباس فقتلها سنة ثمان وتسعين ومائتين *
وكان أبو عبد الله الشيعي يلبس الخشن من ثياب الصوف ويد كل الخشن
من الطعام ويظهر الزهد والورع وهو الذي بنى أساس بيت الفاطم في مملكة
المغرب وكان كالباحث من حقه بظلمه * واستقدم الأمر للمهدي وعهد
له ولده أبي القاسم محمد ونفذت الكتب عنه بولي عهد المسلمين وعصمت
عليه صقلية فبعث إليها أسطولاً وفتحها وبعث إليها أملاً من قبله *
وحالمت عليه طرابلس فبعث إليها جيشاً وفتحها وأمر أهلها بقتل ألف

وَارْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ * وَفِي سَنَةِ ثَلَاثِمِائَةٍ حَرَجَ بَنُو سَهْمٍ إِلَى تُونِسَ وَقَرَطَاحَةَ
يُرْتَادُ لِنَفْسِهِ مَوْضِعَ يَمْعَمَ لِأَنَّهُ عِنْدَهُ خَيْرٌ مِنْ جُلٍّ يُخْرَجُ عَلَى دَوْلَتِهِ فَوْقَ مَعْرِ
اخْتِيَارِهِ عَلَى الْمَهْدِيَّةِ فَبْنَاهَا وَحَصَّنَهَا وَلَمَّا مَدَّ الْحَيْطُ عَلَى أَوَّلِ حَجَرٍ مِنْ أَسَاسِ
الْبَلَدِ أَمَرَ رَامِيَا فَرَمَى بِالْقُرْسِ فَانْتَهَى السَّهْمُ إِلَى مَوْضِعِ الْمَصْلِيِّ فَقَالَ - إِلَى
هَذَا الْمَوْضِعِ أَيُّ مَوْضِعِ السَّهْمِ يَبْلُغُ صَاحِبُ الْحِمَارِ - يَعْنِي أَبُ يُرِيدُ الْخَارِجِي *
وَأَمَرَ بِقِيَاسِ مَسَافَةِ الرَّمِيَّةِ فَلَبِثَتْ مِائَتِي وَثَلَاثَ وَثَلَاثِينَ ذِرَاعًا فَقَالَ - هَذَا
مِقْدَارُ مَا نَقِمْ الْمَهْدِيَّةُ فِي أَيَّدَيْنِ * وَبَسَعَتْ وَلَدَهُ وَلِيَّ الْعَهْدِ إِلَى مَصْرِ فَمَلَكَ
الْأَسْكَندَرِيَّةَ وَالْفَيْومَ وَحَارَبَهُ عَامِلَ مَصْرِ فَهَرَمَهُ وَرَجَعَ إِلَى الْمَغْرِبِ ثُمَّ رَجَعَ
أَيْضًا سَنَةَ سَعٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ إِلَى الْمَشْرِقِ فَوَقَعَ الْوَبَاءُ فِي عَسْكَرِهِ فَكَّرَ رَاجِعًا
إِلَى الْمَغْرِبِ * وَفِي سَنَةِ خَمْسٍ عَشْرَةَ خَرَجَ وَلِيَّ الْعَهْدِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَبَلَغَ
إِلَى تِهَيرْتِ وَأَمَرَ بِبِنَاءِ مَدِينَةٍ وَسَمَّاهَا مُحَمَّدِيَّةً وَهِيَ أَلْسَيْلَةُ وَأَمَرَ مَلِكَهُ
أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْأَقْوَاتِ بِهَا وَيُسْتَكْفِرَ مِنْهُ * وَلَمَّا دَانَتْ لَهُ الْعَبْدُ وَصَعَتْ
الْبِلَادُ هَاجَلَهُ جَاءَهُ وَدَنْتِ أَيْمَهُ وَتَوَفَّى لِلنَّصَفِ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ
أَنْتَتَيْنِ وَعَشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ عَنْ ثَلَاثَ وَسِتِينَ سَنَةً * وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ خَمْسَ
وَعَشْرِينَ سَنَةً رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَدَفِنَ بِسُكَّانِ الْمَهْدِيَّةِ وَبَلَغَتْ دَعْوَتُهُ مِنْ بَرْقَةِ
إِلَى الْمَغْرِبِ * وَفِي أَيْمِهِ انْقَرَصَتْ الْفُرَاطِمُ الْإِدَارِيَّةُ عَنِ الْمَغْرِبِ وَلَمْ تَكُنْ
لَهُمْ قُوَّةٌ بَعْدَ ذَلِكَ * وَكَانَتْ عَمَلُهُ بِقَسٍّ وَأَعْمَلَهَا إِلَّا مَدِينَةَ سَبْتَةَ كَانَتْ
لِبَنِي أَمِيَّةٍ * وَمَلَكَ مَدِينَةَ فَاسَ سَنَةَ خَمْسَ وَثَلَاثِمِائَةٍ عَلَى يَدِ قَائِدِهِ مَطْلَةَ
وَبَايَعَهُ صَاحِبُهَا وَسَيَّأَتِي أَنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى *

الخبر عن خلافة القائم بأمر الله أبي القاسم

نزار - وقيل محمد - بن المهدي

تَوَلَّى بَعْدَهُ مِنْ أَيْمِهِ مَقَامَ مُقَدِّمِ أَيْمِهِ وَأَنْعَسَ سَيْرُهُ وَجَهَّزَ أَسْطُولًا وَأَمَرَ
عَلَيْهِ هَلِيَّ بْنَ إِسْحَاقَ فَسَبَى مَدِينَةَ جَنُوةَ وَبَعَثَ مِيسُورَ الْفَتَى فِي مَسْكَرِ
صَخْمَ إِلَى الْمَغْرِبِ فَبَلَغَ إِلَى مَدِينَةِ فَاسَ * وَفِي أَيَّامِهِ ظَهَرَ أَبُو يُزَيْدَ بْنَ
كَيْدَادِ الْخَارِجِي * وَلِنَذْكُورِ طَرَفَا مِنْ أَخْبَارِهِ - هُوَ أَبُو يُزَيْدَ مَخْلُودُ بْنُ

كيداد مولده بلد السودان واصل أبيه من مدينة نور وهو زناشي الاصل
 وامي به ابوه الى المغرب فتعلم القرآن العظيم وخالط جماعة من النكار
 فتعلم مذهبهم الحديث * وكان يعلم اولاد المسلمين وكانوا يصدقون عليه *
 ومذهبه نكحهم اهل السنة واستباحة اموالهم * وسكن نقيوس ولزم بهسا
 مسجدا يعلم الاطفال * فكان يلبس جبة صوف وعلى راسه قلنسوة صوف
 وفي عنقه سحرة وكان يعتمد الخروج من السلطان وصارت له جماعة
 بعظمونه ويسمعون منه وذلك في ايام المهدي ولم يزل على ذلك الى ان
 اشتدت شكيته وقويت شوكته ونشر عارته في بلاد البربر * وفي ايام
 القائم صظم امرة وافسد البلاد وحصر بعاية وقسطيلية وفتح بجاية وهناك
 اهدي له حمار اشهب كان يركبه وبه دخل افريقية ونهب بلد الاربع
 وفر الناس الى جامعها فقتلهم فيه واقتص اصحابه فيه الابكار وفعل بهم
 ما لا يفعله مسلم * وارسل الغنم حيث مع بشر الفتي لحراسة بلاد باجة
 فسمع به ابو يزيد فرحل اليه وجعل قتل ما مر على مكان افسده وسبي
 حريمه وانتفى مع بشر فهزمه بشر اولاد وعود معه القتل ثانيا فهزم بشرا وفر
 بشر الى مدينة تونس ودخل ابو يزيد دجة بالسيف واباحها ثلثا وحرق
 دياره وسبي حريمها وعت بالاطفال الرضع وفعل باهلها العجائب فخافته
 جميع القبائل واتوه طوعا وكرها * وحمل الاخيرة والهنود وبعث جيشا الى
 بشر وهو بتونس فخرج اليه بشر بالتونسيين وهزمه * ووقعت فتنة بتونس
 فكانت اهل تونس اب يزيد فامنهم وولى عليهم رجلا منهم ونزل ابو يزيد
 بفحص ادي صالح * قلست هو الفحص المعلوم في زماننا قريب من بلد
 رصوا واقتل مع الفتى بشر على هرقله فانهزم عسكر ابي يزيد مرة اخرى
 وقتل منه اربعة آلاف رجل واسر خمسمائة فانفذهم الى المهدي فقتلوا
 هناك * ورجع ابو يزيد فجمع جوعا اخر وانصرف الى الحريرية بقرب
 القيروان فاقبل مع طلائع الكتائب فهزمهم الى رقادة * ونزل ابو يزيد على
 ربيعة اميال من القيروان ومن الغد نزل في شرق رقادة في مائة الف بين

فرس وراجل وزحف إلى القيروان فقتل مع أهلها فهورهم * وأنى أبو
 يزيد إلى مجل باب تونس من القيروان وركن بنوده * ودخلت الربربر
 إلى القيروان فنهبوا وأفسدوا * ونزل بعد ذلك في رقبة وخرج شيوخ
 القيروان وطلبوا منه الأمن فقتل - هلا طلبهم قبل اليوم - فعدوا له
 فمطلبهم وعسكرة مع ذلك ينهبون في البلاد ويقتلون * فسأله نائب وقالوا له
 قد خربت القيروان - فقتل لهم - وما عسى أن يكون خربت مكة وبيت
 المقدس مرتين - ثم امنهم بعد ذلك وأثناء الخبر أن عسكرا قادم عليهم من
 نحو القائم فنادى في القيروان - من يحلف عن الجهاد معي حل دمه
 وماله - ففر معه خلق كثير وأتقى مع عسكرة القائم بعد ذلك فكانت
 الهزيمة أن تقع على أبي يزيد ثم انتصر وملك الأخيصة والفدات وهزم
 عسكرة القائم حتى بلغ المنهزمون المهدية فوجلت فلوب الس اذ ذاك
 وانتقلوا من الرض إلى المدينة وأقسام أبو يزيد في قيطنة ثمانية وستين
 يوما وهو يبعث سراية إلى جميع بلاد إفريقية والمحمرون التي بها على البحر
 وأخذ جميع ما فيها من اقوات وسلاح * ومعه جيش إلى بلد سوسة
 فدخلها بالسيف وحرق المنازل وسبى النساء ومثل بالناس بقطع الأيدي
 والأعضاء وشق فروج النساء وبقر بطونهن وفعل بأهل سوسة ما لا تعلمه
 أعداء الدين ولم يبق بفرريقية منزل عمر * وفرت الناس إلى القيروان
 حفاة عراة ومث أكثر أهل إفريقية جوعا ومطش ونهب مدينة تونس
 وأخذ منها اثني عشر ألف خاية ريتا غير الاموال والعييد وقد مرخصها
 في أول الكتب * ونهب من غيرها من البلاد ما لا يحصى وجل ذلك
 الربر إلى بلادهم لان عامة جنده بربر * وكتب إلى قبائل البربر
 يحثهم على الجهاد إلى المهدية * وفي سنة ثلث وثلثين وثلثمائة امر
 القائم بحفر خندق على ارباض المهدية * وأنفذ الكتب إلى صنهاجة
 وكثامة يستفزهم إلى المهدية ويحرضهم على قتال أبي يزيد * ورحل أبو
 يزيد ونزل قريبا من المهدية ونهب ما حولها وخرج إليه حش القائم

واقتتلوا معه فهزمهم وسار أبو يزيد إلى الخندق المحدث بخاصته واقتتل مع الحراس الذين هنالك فهزمهم * واقتحم أبو يزيد وسن معه البحر إلى أن وصل الماء صدور الدواب وجاوز السور وبلغ إلى مصلى العيد ولم يبق فيه وبين المهديّة إلا رمية سهم وأصحابه في زويلة ينهبون ويقتلون ثم قويت نفوس أهل المهديّة ونجموا واقتتلوا قتلا شديدا فزالوا أبو يزيد وأصحابه من البلد ورجع أبو يزيد إلى مقيظته وأمر بحفر خندق على عسكرة وأتته جميع القبائل من طرابلس وقابس ونفوسة والزاب وأقاصي المغرب * وحاصروا المهديّة أشد حصار ومنع عنه الداخل والخارج وزحف إليها مرة أخرى وكان بينهما حرب شديدة مات فيه وجوه عسكر القائم وزحف إليها مرة ثالثة فكان بينهما الفناء لأعظم فانتصر فيه عسكر القائم وأنهزم أبو يزيد وقتل من أصحابه خلق كثير ورجع إلى موضعه مخزيا * وزحف إليها المرة الرابعة فكان بين الفريقين القتل الشديد * واشتد الغلاء في المهديّة وخرج منها عالم عظيم من شدة الجوع * فعند ذلك فتح القائم خرائص الطعام المدخرة عنك من عهد أبيه ففرقه في جندة وعبيده * وعظم البلاء على الرعية حتى أكلوا الميتة والدواب والكلاب * وفر غالب أهل البلد حتى لم يبق مع القائم إلا جندة * والبربر كل سن وجدوة في الطريق شقوا بطنه لئلا يكون فيها ذهب وفعّلوا بهم من المنكرات ما لا يحل * وكذب القائم على كفايته واستفزه وفي أثناء ذلك تفرقت عساكر أبي يزيد لامتغالهم بالنهب ولم يبق معه إلا اليسير فعلم القائم بذلك فصاحب للخروج لأبي يزيد فخرج عسكرة والتقى مع أبي يزيد فتنالوا الحرب ساعة ورجع كل إلى موضعه واتصلت بينهما مدة وقائع والحرب تارة وتارة * ودخلت سنة أربع وثلاثين وثلثمائة وقع فيها اختلاف في عسكر أبي يزيد فتنفرقت جوعه ولم يبق معه إلا ثلثون رجلا فرجع إلى القيروان وأسلم ما كان معه * فخرج الناس من المهديّة ونهبوا ما خلفه فصاحت حالهم ورخصت أسعارهم وأخذوا جميع ما خلف من طعام وامتعة وأخبية وفازات وغير ذلك * ولمسا وصلوا

يريد القيروان نزل بالقصر ولم يخرج اليه من اهل البلد احد والصبيان
يسخرون به ويضحكون منه * وبلغ القائم خصرة فبعث عملا الى البلاد
واخرجوا جمال ابي يزيد وتسامعت الناس انه هزم * ثم تقوى عزمه مرة
اخرى وانتبه البرابر من كل فيه فبعث عسكريا الى تونس فدخلها بالسيوف
يوم السبت لعشر خلون من صفر سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة وانتبهوا
وسبوا النساء والاطفال وقتلوا الرجال وهدموا المساجد * ولجسا كثير من
الناس الى البحر فماتوا غرقا ودخل غيرهم قناة قرطاجنة فماتوا جوعا * وبعث
القائم عسكريا الى تونس فالتقى بعسكر ابي يزيد عند وادي ملبان فاقتتلوا
فانهزم عسكر القائم ولجا الى جبل الرصاص واعدوا القتل ثانيا فانهزم
اصحاب ابي يزيد ورجع عسكر القائم الى تونس فنهب وقتل من به من
النكار الخوارج واخذ لهم نحر ثلثة الاف رجل من الطعام وذلك يوم
الاثنين لخمس خلون من ربيع الاول من السنة المذكورة ورجع الى المهدي *
ولما سمع ابو يزيد بهذا الخبر جمع جيشا عظيم وزحف به الى تونس
فقتل من عاد اليها من اهلها واحرق ما بقي منهم وتوجه الى باجة ففعل
بها كذلك * وكان بافريقيته من السبي والهرج ما لا يوصف
وبد وصل سبي تونس الى القيروان وثب الناس فانتزعوا السبي من ايدي
البرابر وانتدب جماعة اخر فاجتمع له عدة اقوام ورجل الى سوسة وحاصرها
في جمادى الاخرة سنة اربع وثلاثين ومعه من البربر سبعة وثمانون الفا *
واقسام على سوسة الى ان فرض القائم الامر الى ولده المنصور وجعله ولي
عهده في شهر رمضان سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة * وفي شوال من السنة
المذكورة توفي القائم بامر الله وتولى ولده المنصور الخلافة *

الخبر عن خلافة المنصور بالله

ابو الطاهر اسماعيل بن القائم بامر الله ابي القاسم نزار بن الامام المهدي
ببيع بعد وفاة ابيه سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة وله توفي والده حكيم مؤنه
وبدل المال للجنود وكان شجاع قوي الحاش فصيح ففوج يرتجل الخطبة

ولما استوفى له الأمر جدي قتال أبي يزيد وخرج في طلبه فزاله من مدينة
سوسة بعد عدة واقعات. وانهم أبو يزيد إلى القيروان فمنعه أهلها من الدخول
وقتلوا من دخل إليهم من أصحابه والتحق به المنصور إلى القيروان وكانت
بينهما عدة وقائع والحرب سجال * وأخيراً انتصر المنصور بالله وهزم أبا
يزيد إلى المغرب وأسر بعد عدة وقائع جرت بينهما هنالك ومات أبو يزيد
بعد أسره بأربعة أيام أحر المحرم سنة ست وثلاثين وثلاثمائة فلما مات سلخ
جلده وملاه قطاً وبعث بالبشائر إلى جميع صلبه وقفل إلى إفريقية ولما
وصل القيروان خرج إليه الناس وهنؤوا بالفتح وأظهروا لهم أبو يزيد ووضع على
صكتفه قرناً وطيف به في الناس ثم حل إلى المهديّة وصلب على السور
إلى أن نستت الرياح * وبنى المنصور مدينة المنصورية بأزاء القيروان تشبهاً
بهذا النصر ورجع إلى المهديّة وأقام بها إلى أن مهدما ورجع إلى قصره
بلمنصورية ولم يظهر وفاة أبيه إلا بعد ظفرة بابي يزيد وهسك تسمى بأمير
المومنين * وفي أيامه أطع زيري بن مناد وخدم بني عبّيد هو وبنوه من
بعده وفي سنة ست وثلاثين بعث المنصور إسماعيل بن الحسن بن علي بن
الحسين عاملاً على صقلية ودامت ولايته إلى سنة ثلث وخمسين وثلاثمائة
وبقيت في عقبه وفي سنة أربعين بعث المنصور اصطولا عظيماً إلى صقلية
لأنه سمع بملك الروم عازماً على الحركة إليها وقوي رحمه الله يوم الجمعة
آخر شوال سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة وعمره أربعون سنة وولايته سبع
سنين وثمانيّة عشر يوماً وكان أكد بالعهد لولده أبي تميم بعد دفن بصيرة
في قصره رحمه الله تعالى * وكانت له مواضع مشهورة مع أبي يزيد
وبشر القتال فيها بنفسه وكادت تكون الدائرة عليه مراراً حتى لولا لطف
الله به وثبت جاشه وحسن أبو يزيد قد استولى على جميع بلاد إفريقية
حتى لم يبق للقائم أبيه ولا له إلا المهديّة * ولما مات أبوه وأبو يزيد محاصر
له أخفى موت أبيه وهو يدبر الأمور ولم يظهر موت أبيه إلا بعد ظفرة بابي
يزيد الخبيث وكانت أيام أبي يزيد أزيد من ثلاثين سنة دمر فيها غالب

الاقليم الافريقي * والنصور رحمه الله تعالى ارى عن ابيه وجده في الصبر
وقوة الجأش والمخلاق بلادب * فسسسال ابو جهش المورودي خرجت
مع المصور يوم هرم ابي يزيد فسايرته ويده فضيب ويحان فسقط من يده
فمسحته ونزلته اياه وثقاعلت له واقشده

فالتفت عصاه واستقر بها النوى كما قرعنا بلال ياب المسافر
فقال - الا قلت ما هو احسن من هذا واصدق فلقى موسى عصاه
فاذا هي ثلثى م يافكون - فقلت انت ابن بنت رسول الله صلى الله عليه
وسلم قلت ما عندك من العلم وانا قلت م عندي * وكان مؤنه من ارق
اصابه فعلمه طيبه اسحاق بن سليمان الاسرائيلي ونهيه من دخول
الحمام فلم يقبل منه ودخل الحمام فيست الحرارة الغريزية ولارمه السهر
والطبيب ملزم على معالجه والسهر باقى على حاله فله اشتد امره سل عن
طبيب غيره فانه به فشكا اليه حاله وقلته النسم فعلمه بما ينال به
فمات رحمه الله *

الخبر عن ولاية العز لدين الله

ابو نعيم معد بن المصور بالله امي الطاهر اسماعيل بن القاسم بامر
الله امي القاسم محمد بن المهدي عبيد الله مولده بالهدية سنة تسع
عشرة وثلثمائة وبويع بعهد من ابيه في حياته وجددت له البيعة بعد وفاة
ايه في شوال وقيل في ذي القعدة سنة احدى واربعين وثلثمائة فدير
الامور ومسها واجراها على احسن احكامها وفي اليوم الاحد سابع ذي
الحجة جلس على سرير ملكه ودخل اليه الخاص والعام وسلموا عليه بالخلافة
وله من العمر اثنان وعشرون سنة * وكان المعز على فاعلا جوادا سمحا
شجاعا جاريا على منهج ابيه من حسن السيرة وانصاف الرعية وفي سنة
اثنين واربعين وثممة رحل المعز الى المغرب وعهد الى جل اوراس وجالت
فيه خيول وقائل من به من اعصاة حتى اطاعوا له وثقد الى مولاه قيصر
بولاية المغرب كله وعلى اشهر زيري بن مناد الصنهاجي وعلى المسيلة

واعمالها جعفر بن علي بن جندب المعروف بابن لاندلسي وعلى باعية
واعمالها نصير الصقلي وعلى فاس احمد بن بشكر وعلى سجلماسة
محمد بن واسول وقد عصى فيما بعد وتلقب بالشاكر لله وعلى قابس بن عطاء
الله الكتامي وعلى مدينة سرت بسيل الصقلي وعلى اجدابية ابن كافي
الكتامي وعلى برقة واعمالها افلح الناسب وعلى خراج افريقية صولة
الكتامي واستوفت له امور البلاد كلها وهاداه ملك الروم * وفي سنة حس
واربعين وثلاثمائة ارفعت رتبة جوهر الكاتب وصار في رتبة الوزارة وجعل
مظفر الصقلي على اعنة الخيل ونحت يده من رقادة الى اعمال مصر يديرها
ويجي اموالها * وفي سنة سبع واربعين وثلاثمائة في صفر بعث مسكرا
صخر وولي عليه غلانه جوهر المذكور وكان جوهر رجلا حارسا وامره ان
يخذ من كل بلدة عددا معروفا فخرج جوهر بامم لا تحصي فدخل مدينة
افكار فهبها وامر يهدمها وسار الى مدينة فاس وحاصرها فلم يفتحها ورحل
الى سجلماسة واسر صاحبها محمدا وكان قد خطب لنفسه وتسمى بالشاكر
لله ثم مضى لا يدافع احد له ان بلغ الى البحر المحيط وامر بصيد السمك
وجعله في مقام بلقاء وارسله الى مولاه المعز وكتب اليه كتابا وجعل فيه
من صريع البحر ورجع الى فاس فنزل عليها وحاصرها وفتحها واخذ صاحبها
وقيده وجعله مع صاحب سجلماسة وجعل لهما قفصين من خشب وجعل
كل واحد في قفص وجعلها على الجمال وقفل الى افريقية بعد ما دوح المغرب
وخطب لمولاه في سائر بلاد المغرب ما عدا سبتة وكانت غيصة ثلثين شهرا
ووصل الى البصورية فطيف بصاحب فاس وصاحب سجلماسة في البلد
وسجد واستوثق للمعز البلاد ودانت له العباد ولم يبق بلد الا اجتمعت فيه
دعوتهم ودخل نحت طائفة الفواطم الذين في أقصى المغرب وبعث الى
صقلية الحسن بن عمار بن علي بن الحسين وتوفي بها سنة ثلث وخمسين
وثلاثمائة وبعث المعز الى وليك احمد بن الحسين بولاية صقلية وفي سنة
اربع وخمسين خرج المعز مستشرفا على البلاد ومعهما وبلغ الى تونس وقرطاجنة

ورأى عجائبهم ثم ارتحل إلى غيرها وأقام ثمانين يوماً في عيبتها ثم رجع إلى المنصورية * قلت وهي المعر عنها بصيرة إلى زمان هذا * وفي سنة خمس وخمسين وثلثمائة أمر بحفر الآبار في طريق مصر وإن يبنى لهم في كل موضع قصر وفي آخر جمادى الثانية من السنة المذكورة جاء الخبر بوفاة كافر صاحب مصر وفيها وجد مولاة جوهر إلى المغرب في عسكر عظيم فمهد البلاد وحشد سائر الأجناد وقبائل كتامة وجبى ما على البربر ورجع إلى مولاة سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وخرج المعز بنفسه إلى المهديسة وأخرج من قصور أبيه خمسمائة رجل دنائير ورجع إلى قصره ولما كان في يوم السبت لاربع عشرة حلول من ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وثلثمائة رحل القائد جوهر في عسكر عظيم من الرمر وكتامة والزويليين والحمد بعد ما وسع المعر عليهم بالارزاق والعطاي وانفق فيهم ما لا جزيلا واعطى من ألف دينار إلى عشرين دينارا حتى عمهم كلهم بالعطاء * وسار القائد جوهر في عدد يقصر عنه الوصف ومعه ألف رجل من المال وأما الخيل والعدد والسلاح فلا تحصى * ودخل جوهر إلى مصر يوم الثلاثاء لاثني عشرة ليلة بقيت من شعبان من السنة المذكورة وصعد المنبر لعشر بقين من شعبان ودعا لمولاة المعز * وفي النصف من رمضان وصلت النجيب بالبشارة إلى المعز وصورة الفتح فعمه السرور وصار في كل وقت يصل إليه كتب القائد جوهر يحثه على الرحيل إلى مصر وإن المشرك والحجاز تحت طاعته وقامت له الدعوة في تلك البلاد * وفي سنة ستين وثلثمائة وصل جعفر بن القائد جوهر بهديته من عند أبيه وفيها من أواني الذهب والفضة والعماريات والسروج المحلات وأجمل الامتعة وصنوف الثياب وطرائف المشرق ودخائر الملوك ما لا يوصف ومعه القواد الذين حكم عليهم جوهر عند تملكه مصر فاقبل عليهم المعز وعفا عنهم وجلس لهم في زي عجيب وجعل التاج على رأسه ودخلوا عليه فسلم عليهم ولاطفهم وأكرمهم غية الأكرام * وفي شوال سنة إحدى وستين غزم على المسير إلى مصر ورحل من المنصورية

واقام بسردانية ولحقه عمله واهل بيته وجمع ما كان له في قصوره وكان
مقامه بسردانية اربعة اشهر وسردانية قرية من القيروان وكانت قصورهم
وبساتينهم بها * وفي اول صفر رحل منها واطلق النار في زربها ولما حذى
صبرة قال - سلام عليكم من مودع لا يرد ابدا * وخلف على اخويسته
بلكين بن زيري الصنهاجي وكتب له بولاية المغرب كله وسيأتي
خبره بعد ان شاء الله تعالى وكان بلكين فارقه من عمل قابس ورحل المعز
من قابس يوم الاربعاء عاشر ربيع الاول من السنة المذكورة ودخل
طرابلس يوم الاربعاء الرابع والعشرين من الشهر ورحل عنها يوم السبت
ثلاث عشرة بقين من ربيع الثاني فوصل الى سرت في الرابع من جمادى
الاولى ورحل عنها ونزل بقصره الذي بني له باجدابية ورحل من اجدابية
فنزل بقصره المعروف بالمعزية في برقة وتم في سيرة منها الى ان وصل
الاسكندرية فنزل تحت منارها واتاه اهلها فسلموا عليه واب دخل عليه
قاضي الاسكندرية سلم عليه ولم يسلم على ولي مده فقل له المعزيا قاضي
هل حججت قل نعم يا امير المؤمنين فقال له هل سلمت على الشيخين قل لا
فقال له ولما قال شغلي السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما
شغلي السلام على امير المؤمنين حين لم اسلم على ولي مده فاعجب المعز
منه * وساله مرة اخرى فقال له هل رايت خليفته قط قال واحدا يا امير
المؤمنين فقال له ومن هو قل انت والباقون ملوك فسر بكلامه ودخل
الاسكندرية ومشى في منزلها ودخل الحمام بها * ثم رحل عنها ووصل الى
مصر يوم السبت لليلتين مضتا من شهر رمضان واقام هناك ثلثا واخذ العسكر
في التعدي باثقالهم وانزل الناس في مصر والقاهرة وغالب العسكر في الفارات
والمضارب بين مصر والقاهرة ، والقاهرة هي التي بناها القائد جوهر لاجل العسكر
لما صاقت بهم مصر فسميت باسم استاذة المعز فيقل القسحة المعزية وهي
التي فيها القلعة والجامع الازهر ومصر في ذلك الوقت هي مصر العتيق لان
وبقال لها المسطط بنيت في زمن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه

وامسا مصر فرعون فيقال لها منى والله اعلم * ويمم الثلثاء فخمس خابون
من رمضان سنة اثنين وستين وثلاثمائة عبر المعز النيل ودخل القاهرة ولم
يدخل مصر وتلقاه القائد جوهر عند الجسر الثاني فترجل عند لقائه وقبل
الارض بين يديه ولما دخل القاهرة دخل القصر الذي كان معدا له فدخل
يجلسا وخر ساجدا لله تعالى ثم صلى ركعتين وفي العشر الاخيرة من المحرم
سنة اربع وستين عزل المعز القائد جوهر عن دواوين مصر وجباية اموالها
وكان في المعز عدل وانصاف وكان ينظر في النجوم * والمعز لدين الله هو
آخر الخلفاء العبيديين بالمغرب واول الخلفاء منهم بمصر واسكن الجند
بالقاهرة واقتسموا منازلها وسكنت كل طائفة بمكان معروف به فيقال حارة
زويلة الى يومنا هذا ينسب اليها باب زويلة من اجل الزويليين سكنوا
هناك وحارة كتامة والبرقية وعدة حارات بها باقية الى اليوم بسماتها
وتوفي المعز لدين الله بمصر في سابع شهر ربيع الاول سنة خمس وستين
وثلاثمائة وعمره خمس واربعون سنة وقيل ست واربعون وكانت خلافته
ثلاثا وعشرين سنة وخمسة اشهر وايام مقامه بمصر ستان وتسعة اشهر وبقيتها
ببلاد المغرب * وسبب موته ان ملك الروم ارسل اليه رسولا عدة مرار وتردد
اليه بافريقية ومصر فخلا به بعض الايام وكان اسمه نكولته فقال له المعز لدين
الله التذكر اذ اتيتني وانا بالمهدية فقلت لك لتدخلن علي بمصر وانا ملك
عليه قال نعم فقال له وانا اخول لك لان لتدخلن علي ببغداد وانا خليفة
فقال الرسول ان امتني على نفسي ولم تغضب اقول لك ما عندي فقال
له قل ما عندك وانت غامر قال بعثني اليك الملك ذاك العام فوصلت
الى صقلية فلقيني غلامك بجيشه فرايت منه العجب ثم جئت الى
سوسة فرايت بها من جندك وضياعته ما اذهل عقلي ثم سرت الى
المهدية فما كدت اصل اليك من كثرة اجنادك وخدمك وكثرة اصحابك
فكدت اموت ووصلت الى قصرك فرايت نورا غلي بصري ثم دخلت
ملك وانت على سريرك فرايت عظمتك فظننتك خالقا لا مخلوقا فلو قلت

لي اذكك نخرج الى السماء لتتحقق ذلك ثم جئت اليك لان فم رايت
من ذلك شيء ولم اشرف على مدينتك هذه كانت في عيني سوداء مظلمة ثم
دخلت عليك في قصرك فما وجدت عليك مهابة مثل ذلك العام فقلت
ان ذلك كان مقبلا وانه لاربع مائة ما كان عليه فاطرق العز راسه وخرج الرسول
من عنده واحذت المعر الحصى لشدة ما وجد وثقل مرعته واتصل به حتى مات
رحمة الله عليه وعهد لولده ابي منصور نزار الملقب بالعزيز بالله *

الحسبر عن خلافة العزيز بالله

ابو منصور نزار بن المعز لدين الله ابي تميم معد بن المنصور ابي الطاهر
اسماعيل بن القائم بامر الله ابي القاسم محمد بن المهدي حيد الله مولده يوم
الخميس رابع شهر المحرم سنة اربع واربعين وثلثمائة بهمدية وولي الامر بعد
وفاة ابيه في ربيع الاخير سنة خمس وستين وكان شجاعا حسن العهد اديب
فاصلا خطب له بمصر والشام وافريقية وفتح حصن وحاك والموصل
وخطب له بليمر وكان استجاب بلشام يهوديا اسمه ميشما واستكتب يعسى
ابن نسطور النصراني فاعتز به الصاري واليهود * فكتب اهل مصر قصة
وجعلوها في يد نمتل من قراطيس وفيه - بالذي اعز اليهود بميشما والنصارى
بعيسى واذل المسلمين بكث الا م كشفت ظلامي - فله رأى الرقعة امر
بالخذها وقواها فعلم ما اريد بذلك فقبض عليهم واحذ من ابن نسطور ثلثمائة
الف دينار ومن اليهود شيء كثيرا * وصعد المنبر يوم فرأى ورقة مكتوب فيها
بالظلم والجور قد رصينا * وليس بالكفر والجهالة

ان كان ما تدعيه حقا * بين لنا كاتب البطاقة

لان العزيز كان يدعي علم الغيب وذلك انه كانت له عجائب يسرق
الاخبار من الدور ويأينهم بها فكان يقابل الناس ويقول ما بال احدكم
قال كذا وفعل كذا فيشوه السامع ويظن ان ذلك من سرا عظيمه ويزعم
هو انه يعلم الغيبات ولا يعلم الغيب إلا الله * وكان حليته بافريقية
خليفة ابيه بلكين ووزيرة يعقوب بن كلس كان يهوديا واسلم وكان

من عجائب الدهر وخسره مشهور في غير ما موضع وأولا الأخصار لذكرنا
جميع أخساره * وكتب العزيز بالله إلى الحاكم صرحب الأندلس كتابا يسبه
فيه فاجتبه الحاكم قد عرفتنا فهجوته وأوعفناك هجوتك يعني به أنه
دعى في نفسه وقيل أن الحكاية بالعكس والله أعلم بذلك ومث بمديته
بليس من امراض لحقت به النقرس والثلونج وله من العمر اثنتان وأربعون
سنة في ثامن عشر رمضان سنة ست وثمانين وثلاثمائة رجة الله
تعالى عليه *

الخمس عن خلافة الحاكم بامر الله

أبو علي منصور بن العزيز بالله بن العزيز لدين الله بن المنصور بالله بن
الأنتم بامر الله بن المهدي عبيد الله مولده ثالث ربيع الأول سنة خمس وسعين
وثلاثمائة وبويع بالخلافة بعد وفاة أبيه سنة ست وثمانين وثلاثمائة وعشرة عشر
سنين وقيل إحدى عشرة أخذ له البيعة برجوان خدام أبيه وكان خصيا
أيض اللون وهو الذي دبر دولة الحاكم بامر الله وبلغ في النصيحة له
وقتل الحاكم بعد ذلك وبرجوان له بمصر حارة مشهورة إلى يومنا هذا
ينال لها حارة برجوان * وكان الحاكم متناقض الأخلاق يأمر بالشيع ثم
ينهى عنه وأخساره في ذلك شهيرة وكان سفاكا للدماء قتل عددا كثيرا من
أهل دولته ومات في ذي القعدة سنة إحدى عشرة وأربعمائة وعشرة سبع
وثلاثون سنة وأيام خلافته خمس وعشرون سنة * وقيل أن أخسه دبرت
في قتله لأمور ظهرت منه فموت سر اختله وكان ينفرد بنفسه ويركب جسارة
ويطوف في الأسواق وقيم الحسبة بنفسه * فاتفق ركب الحاكم إلى
جبل جلوان وكان قد كمن له فيه سن قتله هناك وانوا به إلى أخيه سرا فدفته
وكان بعض شيعته من المغاربة يرسمون أنه يعود فكأوا إذا راوا سحبة
في الجو سجدوا لها زعما منهم أنه في السمح * وقيل أنه أراد أن يدعي
اللاهوتية - تعالى الله - يقول الظالمون علوا كبيرا - وأخذت اخت البيعة
إلى ولده أبي حاشم علي أظهر لاعتزاز دين الله *

الخمس عن خلافة الطاهر لاعزاز دين الله

ابو هشم علي بن الحكم بأمر الله أبي علي منصور بن العزيز بالله أبي منصور نزار بن المعز لدين الله أبي نعيم معد بن المصور بالله أبي الطاهر اسمعيل بن القائم بأمر الله أبي القاسم محمد بن المهدي عبيد الله مولده في رمضان سنة خمس وتسعين وثمانمائة بويج له يوم عيد النحر سنة عشر وأربعمائة وكان جليل السيرة حسن السياسة مصفا للرياسة يحب الدعة والراحة * وفي أيامه طمع من طمع في أطراف بلاده ونصعصعت دولته ومات في منتصف شعبان سنة ست وعشرين وأربعمائة وأيام خلافته خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وأيام وبلغ عمره ثلاث وثلاثين سنة وقام بالأمر بعده ولده المستنصر بالله أبو نعيم *

الخبر عن خلافة المستنصر بالله

أبو نعيم معد بن الطاهر لاعزاز دين الله بن الحكم بأمر الله مولده بالبحرنة العربية سنة عشرين وأربعمائة بويج بعد وفاة أبيه في شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة وجرى في أيامه ما لم يجر في أيام أحد من أجداده منه العلاء الذي وقع في أيامه حتى أكل الناس بعضهم بعضا * ومنها أنه خطب له ببغداد سنة ولم تكن لغيره قبل وذلك سنة خمس وثلاثين * ومنها قيم الطليحي باليمن وخطب له على منابرهم * ومنها أنه لم تزل دعوتهم بالمغرب من أول أمرهم إلى أيامه قطعها المعز بن بديس الصنهاجي وسي في خيرة * وخطب له بالكوفة وواسط والموصل * ومنها أنه ولي وهو ابن سبع سنين وأقام في الخلافة سنين سنة وهذا شيء لم يبلغه أحد من أهل بيته ولا من بني العباس * وأقام العلاء في أيامه سبع سنين حتى توجهت أمه وبناؤه لبغداد من شدة الجوع وبيع الرغيف الواحد بخمسين دينارا وكان في هذه الشدة يركب وحك وحاشيته مترجلون وربما استعد دابة يركبها صاحب المظلة من عند كاتب الأشيخ ابن هبة الله وقسى شدائد واستوزر بدر الجمالي وحسنت أحواله فيما بعد وكانت وفاته في ثامن عشر ذي

الهجيرة ستة سبع ولثمانين وأربعمائة وخمسة ثمان وستون سنة وهو أطول
العبيديين مدة وأقدم بالأمر من بعده ولده المستعلي بالله *

الخسر من خلافة المستعلي بأمر الله

أبو القاسم أحمد بن المستنصر بالله بن الظاهر لأعرار دين الله بن الحكم
بأمر الله بن العزيز بالله بن المعز لدين الله بن المصور بالله أبي الطاهر بن
القائم بن المهدي عبيد الله مولده سيف المحرم سنة تسع وستين وأربعمائة
بلقاهرة ولي بالأمر بعد أبيه سنة سبع وثمانين وأربعمائة ولم من العمر
أحدى وعشرون سنة * وفي أيامه أخذ الأفرنج أنطاكية والحيرة والقدس
ورفضت دولتهم ولم يكن له مع الأفضل ابن أمير الجيوش حكم واقطعت
دعوتهم من بلاد الشام وغلب عليها الأتراك ومات في صفر سنة خمس
وسعين وبلغ عمره سبع وعشرين سنة وكملت خلافته فمضي سنين وأيام
واستخلف بعده ولده أبو علي *

الخسر من خلافة الأمر بأحكام الله

أبو علي منصور بن المستعلي بالله أبي القاسم أحمد بن المستنصر بالله
أبي نعيم معد بن الظاهر لأعزاز دين الله أبي هاشم علي بن الحكم بأمر الله
أبي علي منصور بن العزيز بالله أبي منصور فرار بن المعز لدين الله أبي
ميم معد بن المنصور بالله أبي الظاهر إسماعيل بن القائم بأمر الله أبي القاسم
محمد بن المهدي أبي محمد عبيد الله مولده في المحرم سنة تسعين وأربعمائة
ببيع له بالخلافة سبع عشر صفر سنة خمس وتسعين وهو ابن خمس سنين
ولم يقدر على الركوب وحده لصغر سنه ودبر دولته الأفضل ابن أمير
الجيوش * ولما اشتد الأمر بأحكام الله قتل أمير الجيوش المتقدم ذكوره
والأفضل هذا لقبه شاهشاه واسمه أبو القاسم بن أمير الجيوش بدر الجمالي
الارمني قتل سنة خمس عشرة وخمسمائة * والأمر هذا كان قبيح السيرة ظلم
الناس وأخذ أموالهم وسفك الدماء وأرتكب القبائح * وفي أيامه ملك
العدو كثيرا من بلاد مصر سنة أربع وعشرين وخمسمائة في صفر ولم

يكن أسرق منه نسبا في خلافة العبيديين لأنه العشر في الخلفاء على
سوق واحد ابا عن حد ونوهي قتيلا ايض وتولى الخلافة بعده ابن عمه
الحافظ لدين الله *

الخسبر عن خلافة الحافظ لدين الله

هو ابو الميمون عبد المجيد بن محمد بن المستنصر بالله بن الطاهر لاصواز
دين الله بن الحاكم بن العزيز بن امير بن المنصور بن القائم بن المهدي
مولده سنة سبع وستين واربعمئة وتولى يوم قتل ابن عمه في صفر سنة
اربع وعشرين وخسمائة وطلب على امره ابو علي احمد بن الافضل شاهنشاه
ابن امير الجيوش الجمالي وبقي الحافظ صورة معه من تحت حكمه وحبه
واما اخر الحال دس الحافظ على الوزير قتيله واحد من الخاصة فبدر الاجناد
الى الحافظ واخرجوه من السجن وبايعوه مرة اخرى * وكان الحافظ ملازمه
مرض القولنج فصنع له شيرازه الديلمي طبل القولنج وكان مركبا من المعادن
السبعة والكواكب المسعة في اشراقه فاذا ضرب به صاحب القولنج خرج
منه ريح متتابعة فيستريح * وهذا الطبل وجده صلاح الدين في خزائنه
عند تملكه الديار المصرية * ومات الحافظ في جمادى الاولى سنة اربع
واربعين وخسمائة فكانت خلافته عشرين سنة وله من العمر بضع
وسبعون سنة وتولى بعده ولده اسماعيل بوصية من ابيه وتلقب
بإطافر بالله *

الخسبر عن خلافة الطاهر بالله

ابو منصور اسماعيل بن الحافظ لدين الله ابي الميمون عبد المجيد بن
المستنصر بالله بن الطاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن
القائم بن المهدي عبيد الله مولده منتصف ربيع الاول سنة سبع وستين
وخسمائة ببيع بالامر بعد ابيه وقتل في نصف المحرم سنة تسع واربعين
لأشياء اضر به منها لاجل الاختصار وهي مشهورة في كتب التاريخ وببيع
ولده ابو القاسم يسمى ولقب بالفائر بنصره الله *

الخبر عن خلافة العائز بنصر الله

أبو العباس عيسى بن الطافر بالله بن الحافظ لدين الله بن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن أمير بن المنصور بن القائم بن المهدي عبيد الله بويج بالخلافة يوم قتل والده في المحرم سنة تسع وأربعين وخسمائة وله من العمر خمس سنين ولما أراد الوزير بيعته أدخل الحشد وقال هذا ابن مولاكم فبايعوه * وكان الوزير هو الذي قتل أبه فلما رآه الأجداد ضجوا بالبكاء في وجهه الدائر وكان على كتف الوزير فرع الطفل من ذلك وصار يعثر به الصرع والاضطراب إلى أن مات في رجب سنة خمس وخمسين وخسمائة وهو ابن عشر سنين فكانت خلافة خمس سنين رحمة الله تعالى عليه *

الخبر عن خلافة العاضد لدين الله

أبو محمد عبد الله العاضد بن يوسف بن الحافظ لدين الله بن المستنصر بالله بن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي عبيد الله مولده سنة ست وأربعين وخسمائة بويج بعبد وده الفائز بنصر الله في رجب سنة خمس وخمسين وخسمائة واستولى على وزارته الملك الصالح طلائع بن رزيك فكان العاضد كالحجور عليه * وكان راضياً خبيثاً * وفي أيامه دخل شاور بالغز من الشام وقتل طلائع ومات قتيلاً في أثناء ذلك شاور على يد أسد الدين شيركوه أرسله نور الدين إلى مصر وبعده تولى الوزارة ابن أخيه الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيوب بن شادي وتمكن من المملكة وبقي معه العاضد صورة إلى أن خلع * وخسب في حياته لني العباس والحليفة العباسي في ذلك الوقت كالأمام المستضيء بأمر الله في بغداد وذلك في حياة العاضد وكان مريضاً فلم يعلم بشيء من ذلك ومات يوم عشرين سنة تسع وستين وخسمائة وانقرضت دولتهم من سائر البلاد فسبحن من لا يعنى ملكه * قبل ابن خلكان سمعت من أهل الدور المصرية أن العبيديين

في اول امرهم قتلوا لعن الكتاب اكتب له القابا لصلح للاحلاف حتى
اذا مولى احد خليفته لقب بشي منها فكتب لهم ورقته فيها عدة القاب
واخبرهم العاصد فكان هذا العاصد في اخر حلفائهم * وكانت ايامهم مائتي
سنة وستين سنة منها في مصر مائة سنة وثمان سنين واثنان وخمسون سنة
بالمغرب وعدة خلفائهم اربعة عشر خليفة اولهم المهدي واخبرهم العاصد *
ومما اطلنا الكلام عليهم الا لارضا اخبارهم وانهم الفائدة وانما غرضنا ان
نذكر من ملك افريقية لا غير * واما كان اول ملكهم بافريقية وكان
ظهورهم بالخلافة منهم ورحلوا عنها للديار المصرية جذبتنا مسافة الاخبار
منهم الى نهايت ايامهم ولولا خيفة التطويل لاثينا من اخبارهم بما فيه الغرض
واصرهم مطولة في غير هذا * ومنهم من صحح نسبهم واثبتهم ومنهم
من دم فيهم ورفضهم ولا يعلم الغيب الا الله وبقيت لنا فذة من اخبارهم
نأتي بها في اخر الفصل الذي بعد هذا في محله ان شاء الله تعالى *

الباب الخامس

في الامراء الصنهاجية

هذا الباب نذكر فيه ملوك صنهاجة وان كانوا في الحقيقة عمالا لبني
صعيد فانهم بلغوا درجة الملوك وكانت لهم ضخامة وصيت وعالب اهل
نونس لا يتحقرن ولايتهم وان استغفر الله اقول ان ايامهم ودولتهم اقوى
من دولة بني حفص الا ان بني حفص خطب لهم بمرء المؤمنين ولم يخطب
لصنهاجة بهذا الاسم وزادت ايامهم على مائتي سنة واستقلوا بالامر في
افريقية حين سار المعولدين الله الى مصر فستعمل على عمله ابا الفتح
يوسف بلكين بن زيري بن مند الصنهاجي وصنهاجة قبيلة من البربر
وقيل صنهاجة فخذ من ولد عبد شمس بن وائل بن حيسر وان الملك
افريقس بن وائل بن حيسر وقيل افريقس بن ابرهة بن ذي القرنين لما ملك
حيرا وسرا المغرب وبنى مدينة افريقية حلف فيها من قبائل حير وزعمائهم

صنهاجة وقدمهم على البربر ليدبروا أمرهم ويخذلوا خراجهم وقيل صنهاجة
أبو صنهاجة بن حصين بن سب لصلبه وقيل هم فخذ من هوارة وهوارة فخذ
من حير وصنهاجة ينقسم على سبعين قبيلة منهم لثونة الذين ملكوا بلاد
المغرب وبياتي من أخبارهم شيء أن شاء الله تعالى وفي هذا القدر كفاية *
وأول اتصال زيري بالمنصور لما دخل المغرب في طلب أبي يزيد الخارجي
ودخل بلاد صنهاجة سنة خمس وثلاثين وثلثمائة هـ وافاه زيري بعساكرة
وأهل بيته ودخل في طاعته فخلع عليه ووصله بصلته ونصب له قارة وقلع
سيفا وعقد له على أهل بيته ومن اتصل به من أهل صنهاجة والبربر وعظم شأنه
وحضر مع المعز لدين الله عند دخوله للمغرب سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة
واستعمله على أشير وما والاها وكان حازما شجاعا شديدا الناس وحضر
مع جوهر لما دخل المغرب في سنة ست وأربعين وثلثمائة على فاس وجوهر
محاصر لها فكان زيري سببا لفتحها فزادت رتبته في الدولة ورأى جوهر
ولاية ليهرت فضمها إلى عمله واتسعت ولايته وكان بينه وبين جعفر
ابن علي المنعوت بالاندلسي وكان عاملا على المسيلة صنعوا في الفوس
بسبب الولايات * وجعفر هذا أبوه الذي بنى المسيلة وانضاف إلى جعفر
عمل الزاب من بلاد المغرب . وكان طائعا للدولة العبيدية ويخطب لهم في
بلادهم وكان يعد من الملوك * ولما عزم المعز لدين الله على التوجه إلى الديار
المصرية شاع بين الناس أن المعز يريد أن يستخلف يوسف بن زيري
على جميع بلاد إفريقية فعظم ذلك على جعفر بن الاندلسي واتفق أن المعز
أرسل إلى جعفر يأمره بالقدوم إليه وكرر ذلك مرارا فظهر جعفر أنه قصد
له فخرج من المسيلة وفر إلى زناتة فقبلوه وملكوه على أنفسهم فخلع طاعة المعز
فلم بلغ الخبر إلى زيري فبادر بالخروج إلى جعفر في عدد من صنهاجة
فالتقى معه وكان في وقعة عظيمة فكبأ بزيري فرسه فقتل ومات قتله
خلق عظيم . وبعث جعفر بن علي أخاه يحيى إلى الاندلس والخليفة بها
الحاكم الأموي يبشره بقتل زيري * ولم يلبث زناتة أن يوسف بن

زيري يطالبهم بدم أبيه اصمرت الغدر لجعفر وعزموا على امساكه فلما احس بذلك فر الى الاندلس باهله واولاده فقبله الحاكم واجرى عليه الوظائف السنية وبقي عنك في اهل مكان مدة ثم تقم عليه الحكم ونكبه ثم افرج عليه بعد ذلك وماد الى رتبته ولم يزل هنالك الى ايام الوزير ابن ابي عامر فقتله سنة سبع وستين وثلاثمائة وبعث براسه الى بلكين * وكان زيري المذكور حسن السياسة والتدبير في الرعية والتشديد على البرابر ما رأى الناس مثل ايامه في المغرب واقام على حسن السيرة ستا وعشرين سنة * ولما مات كما ذكرنا وبلغ الخبر الى وليك بلكين وهو باشير وكان هو المقدم عند معد يعظمه على جميع اخوته جمع اهل بيته وعبيك واختار من جنك سن احب وخرج طالبا لثرا ييه * فدرت زنائة وكانت له فيهم فتكات فقتلهم قتلا ذريعا وسبى نساءهم واطفالهم واجلاهم من البلاد * فبلغ الخبر الى معد فسرده فعل وارسل اليه يامره برد السبي والقعود عليه فقدم على المعز بعد ما استخلف على عمله سن يثق به ومهد قواعد بلاده ونفذت كتبه الى عماله * من يوسف بن زيري خليفة السلطان * ولم يترك في المغرب عند احد من البرابر فرسا ولا جلا ولم يترك الا سن يحرق ويحصد وقدم الى النصرانية وقد شاع بين الناس انه المستخلف في افر يقية فهادته على قدر مراتبهم وكثرة اموالهم وزادت مكانته * ولم يصل الى المعز جلس له في الايوان وادخل عليه ققبله احسن قبول وتحدث معه وشكرا فعاله وقلبك سيئه وخلع عليه خلعة من لباسه وقاديس يديه اربعين فرسا بسروج الذهب المنقلة واربعين نختا بالياب الفاخرة وخلع على جميع اصحابه واحكرهم غاية الاحكام * ومن هنا نذكر توليته وبنيه من بعدك * وما قدمنا لك النبأ الا توطئة لخبرهم وليعلم الناظر في هك الاوراق مبتدا امرهم الى ان ياتي على اخرهم ان شاء الله تعالى لا رب غيره ولا خير الا خيرة *



الخبر عن ولاية الامير بلكين

هو يوسف بن زيري الصنهاجي ابو الفتح بلكين فوض له الامر بافريقية والمغرب كافة م عدا طرابلس وصقلية لم يدخلها في عمله وذلك يوم الاربعاء لسبع بقين من ذي الحجة سنة احدى وستين وثلاثمائة عند رحيل المعز لدين الله الى المشرق وكتب له سجلا وامر الناس بالسمع له والطاعة وسار معه الى قابس وكل يوم يوصيه ويؤكد عليه ولما اراد وداعه قال له - يا يوسف ان نسيت ما اوصيتك به فلا تنس ثلثا لا ترفع الجبايا عن البادية ولا ترفع السيف عن البرابرة ولا تول احدا من اهل بيتك فانهم يرون انهم احق بهذا الامر منك واوصيتك خيرا باهل المحصرة - وودعه وانصرف راجعا الى المنصورية فدخلها يوم الخميس لاحدى عشرة خلعت من ربيع الاول سنة اثنتين وستين وثلاثمائة فنزل بقصر السلطان بصبرة وخرج اليه اهل القيروان فهنؤوا واطهروا السرور بقدمه واقام هناك شهرين وبعث العمال والولاة الى جميع البلد وتفذت اوامره في فريقية والمغرب * ولم يهد الامور بافريقية رحل الى المغرب في شعبان سنة ثلث وستين وثلاثمائة * وفيه عصى اهل تيهوت فنزل عليه وظفر باهلها فسي الذرية ونهب الاموال وبلغه الخبر عن زناثة انهم نزلوا على تلمسان وملكوها فرحل اليهم ففروا امامه وفتح تلمسان * وبعث اليه المعز كتابا يامره الا يتبعد عن افريقية ولا يتوغل في الدخول الى المغرب * وفي ايام امرنه قام بالمغرب زيري بن عطية الزناتي فملك فاس وسجلماسة وما جاورها وخطب فيهما لبني امية فسار اليهما بلكين بعساكر ضخمة ففتحهما وطرد عمال بني امية * ونارل مدينته سبتة وحاصرها ايما ثم رحل عنها راق الى البصرة فنهبها * فسللت البصرة التي بالمغرب هي التي يقل لها اصيلته في زماننا هذا * وبعث هدية الى مصر سنة خمس وستين وثلاثمائة فبلغه خبر موت المعز وولاية ولده العزيز فرد الهدية من طرابلس ستائف هدية اخرى وسيره باسم العرير فكانت اول هدية قدمت عليه *

فكتب العزيز تجديدا بولايته على المغرب وبعث له نسلا ودرهم من
السكة التي ضربت باسمه أي باسم العزيز بالله صاحب مصر * وبعث
بلكين إلى العزيز بالله يطلب منه - سر - واجدا بية - وطرابلس - وأن
يعيها إلى صلبه فأنعم عليه به وبعث بلكين إليها عماله وغزا بني غواط
فكانت بينهما حروب انتصر بلكين فيها وسبى منهم سبايا لم يدخل لأفريقية
اعظم منها وتوغل في المغرب حتى لم يبق له به منازع * وهرب زناة إمامه
حتى دخلوا الرمال في الصحراء وخالفته أهل سبتة فدافع منصور بن أبي
عامر عنها بان بعث إليه برأس جعفر بن لاندلسي الذي قتل أباه زيري
وتقدم ذكره وكانت مكاتيب معد الذي هو المعز بالله فصل إليه من مصر
إلى مدينته فاس * وفي سنة سبعين وثلاثمائة بعث ولده المنصور إلى القيروان
لتجهيز هدية إلى مصر فوصل إلى رقادة وأقام بها مدة وبعث بالهدية
وكانت أول هدية خرجت على يده وأول وصوله إلى القيروان لأنه لم يكن
دخلها قبل ذلك لأن ولادته كانت في أشير وأقامته بها ولم يدخل إلى
أفريقية إلا في هذه السنة ورجع إلى المغرب وفي سنة ثلث وسبعين وثلاثمائة
خرج ابن حزون وضرب على سجد مائة فنهبها فوصل الخبر إلى بلكين *
فرحل إليه بلكين فأصابه في طريقه قولنج فمات في مكان يقال له واركلان
لسبع بقين من ذي الحجة بعد ما أسند وصيته إلى ولده المنصور رحمه الله *

الخبر عن ولاية المنصور بن بلكين بن زيري

استقل بالامر بعد وفاة أبيه وكان ببلد أشير فآخذ البيعة عن الأجناد
وأطاعه الخاص والعام وخرجت الأوامر من أمرة وبعث إلى العمال ونفذت
كله وكان رجلا عاقلا مفيفا عن الدماء يحب الرفق بالأمور فجلت الناس
على محبته ومهد الأمور بتدبيره وجلب القلوب بأعطائه وتبذيرة وفدت
إليه العمال بالهدايا فقبلهم أحسن قبول وعظم بالعطايا وخرج من القيروان
التصاة والامناء ووجه الناس قدر ما تشي رجل لتنهيتهم بالملك وتعزيتهم في
أبيه فوصلوا إليه بشير فوجدوه خارج البلد على جبلها فسلموا عليه وقبلوا

يده ودعوا له ففرح بهم وانزلهم مثلاً حسناً * وفي ثاني يوم من وصولهم
جلس لهم مجلساً عظيماً ودخلوا عليه وهو في زي عجيب من ضخامة الملك
واقف حوله الصقليات والاجناد واظهر لهم من ابهة الولاية ما ابهر عقولهم
وقال لهم - يعز علي هرجتكم في هذا الزمن إلا ان سروري بمرئيتكم
احب الي من الدنيا وما فيها - وامر لهم بعشرة آلاف دينار ففرقت
فيهم وفي خامس يوم من وصولهم امر بهم فدخلوا عليه فلأطلهم وما قل لهم
- ان ابي وجدي كانا ياخذان الناس بالقهر وانا لا آخذ احداً إلا بالاحسن
ولا اشكر على هذا الملك إلا الله سبحانه وتعالى - ثم امر لهم بالانصراف
الى بلادهم واولى عبد الله الكاتب جميع افرقيته والطرف في جميع امورها على
ما كان عليه في ايام ابيه * وفي سنة اربع وسبعين وصل المنصور الى
رقادة لتلقاه اهل القيروان باجمعهم فسر بهم ووعدهم وعداً جيلاً واثم العمال
من كل بلد بالهدايا واهدى اليه عامله على القيروان ما لا يدخل تحت
حصر * وامر بتجهيز هدية الى مصر وهي اول هدية بعث بها الى نزار
من قبله بعد وفاة ابيه بلكس وكانت قيمتها الف الف دينار وصام
رمضان برقدة وامر ببناء مصلى للعيد فيها وخرج يوم العيد للصلاة في
زي صجيب بسرج مكلل بلدر واليقوت * وفي آخر ذي الحجة رجع
الى المغرب وصحبه عبد الله الكاتب خليفته على القيروان وخلق ولداً
يوسف بن عبد الله المذكور وسلم اليه اصل افرقيته قاطبة وفي هذه
السنة يعني سنة اربع وسبعين وثلثمائة ازداد للمنصور ولده باديس وكنيته
ابو مناد لاحدى عشرة خلون من ربيع الاول من السنة المذكورة * وفيها
بعث صبكوا مع اخيه بطوفت الى فاس وسجلامة لتغلب زيري بن عظمة
الزنائي عليها فالتقى العسكران فكانت بينهم مقتلة عظيمة وانهزم عسكر
المنصور وبلغ اخوه منهزماً الى اشير فلم يتعرض المنصور بعد ذلك الى بلد
زنتة * وفي سنة ست وسبعين بنى قصراً له بصيرة فبلغ الانفاى عليه
ثم نمائة الف دينار وخرس حوله الاشجار من كل ناحية * وفي هذه السنة

قتل عبد الله الكائب وولده يوسف وأعطى أعمال أفريقيا لمولاه يوسف
ابن أبي محمد وفيها دخلت عمال المنصور إلى بلد كتممة وجبوا منها الأموال
ولم تكن قبل ذلك تدخل إليها * وفسيح بعث نزار الخليفة بمصر
هدية إلى المنصور وفيها خالف عليه عمه أبو البهر بلند تيهرت فرخف
إليه المنصور بعسكرة ففر أمامه إلى المغرب فدخل المنصور تيهرت فحبسها
وطلب أهلها الأمان فأمّنهم ورجع إلى أشبر * وفي هذه السنة مات عامل
صقلية عبد الله بن محمد بن أبي الحسين وأوصى إلى ولده يوسف من
بعده وأثناء سجل من نزار خليفة مصر بالولاية فصاحت أحوال صقلية
في أيامه يعني أيام يوسف بن عبد الله * وفي سنة إحدى وثمانين
وثلاثمائة وصل المنصور من بلقيس إلى حصرة الذي بناه في صيرة وعيد فيه
عيد الأصحى وخرج للناس يوم العيد في زي عجيب من الركوب والملبس
ورفع عن أهل المدينة بقية خراج وكان مالا عظيما وعد ذلك من مناقبه *
وفي شهر ربيع الأول خشن ولده باديس وأهدت له العمال على قدر مراتبهم
وأنته هدية من عند ابن الخطيب عامله على زويلة فيه زرافة وطرف
من أثاث السودان وشيء مستكثر * وقدم إليه عامل طرابلس بهدية جليلة
فيها مائة حل من المال سوى الخيل ولطائف المشرق * وفي هذه السنة
وصل إليه سجل من المشرق بولاية ولده باديس من بعده فسر بذلك
وفيها عزل عامله عن الأربص وسير إليها حوالة قيصر فوجد في المخازن التي
للوالى المعزول ستمائة ألف قفيز من الطعام * وفي ذي القعدة خرج منزها
إلى سردانية وخرج إليه الشيوخ من أهل القيروان وسأله أن يعيد عندهم
فحاربهم إلى ذلك * وفي سنة ثلاث وثمانين خرج ولده ولي عهده باديس
إلى مدينة أشير ومعه جدته يعلان * وفي سنة أربع وثمانين رجع من
المغرب إلى المنصورية وكانت أول سفرة سافرها فخرج إليه أبوه وأهل الدولة
ورحبوا أهل القيروان فسلموا عليه وكان يوما مشهودا * وأنته من مصر هدية
سنية ومعها الفيل فركب المنصور بعسكرة وتلقاها * ولما كان يوم العيد

خرج باديس لصلاة العيد والفيل امامه وركب في مركب عظيم ولم يخرج معه ابوه ذلك اليوم * واقاما بافريقية ولم يرجعا الى المغرب * وفي سنة ست وثمانين وثلاثمائة توفي المنصور يوم الخميس لثلاث خلت من ربيع الاول ودفن في قصره الكبير الخارج من صبرة وكانت امارته نحو ثلث عشرة سنة وكان رحمه الله كريما جوادا صاوما حازما عاقلا عادلا بين الرعية وایامه طيبة * وفي هذه السنة في شهر رمضان كانت وفاة نزار خليفة مصر وتولى بعده ولده الحاكم بامر الله بعد وفاة المنصور بستة اشهر * ومن الملوك الصنهاجيين باديس بن المنصور بن يوسف بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي وكنيته ابو مناد تولى ملك افريقية بعد وفاة ابيه المنصور في ربيع الاول سنة ست وثمانين وثلاثمائة ورحل الى قصره بسردانية في رجاله وعبيده واثنته الوفود بالتعزية في ابيه وتهنئته بالملك * واستقامت له الامور واحتفل بتجهيز هدية يرسلها الى خليفة مصر فجاءه الخبر بوفاة في شهر رمضان كما ذكر فبعثت بحملته في رقادة الى ان سيرها باسم الحاكم * وفي سنة سبع وثمانين وثلاثمائة عقد لعنه حاد بن بلكين على اشير والمغرب وجعله عملا على تلك البلاد * وفي هذه السنة جاء تسجيل من الحاكم بامر الله الى باديس ولقبه بنصير الدولة يخبره بوفاة نزار والده ويعزيه في والده المنصور وبعث من اخذ البيعة من باديس واهل بيته من بني مناد * وقلد باديس امور افريقية لمحمد بن ابي العربي وخرج الى المهديّة متنزها فتصد سوسة فاقام بها ايام ولما وصل المهديّة لعبت المراكب بين يديه ورمى النفطون بالنفط واقام بها اياما ورجع الى صبرة * وفي يوم العيد سنة سبع وثمانين وثلاثمائة خرج في زي لم ير مثله لمن تقدمه من ابيائه وبين يديه الفيل وزرافتان وجل ابيض مساطع البياض * وارسل له الحاكم خليفة مصر هدية تشتمل على جوهر نفيس واثاث وطرף من بلاد المشرق فولد العفل فتلقاها باديس ودخلت بين يديه لصبرة * وجاءه الخبر ان زيري بن عطية الرناتي خرج بالمغرب وقصده الى بلد

اشير فجهز اليه جيشا عظيما وارسله مع محمد بن ابي العربي عامله على افرشيّة
والشقي بزيري بن عطية قريبا من نيهرت فكانت بينهما حروب انهزم
فيها عسكر باديس واحتوى زيري بن عطية على جميع الاثاث والاثقال
والمال والسلاح * فلما بلغ باديس خبر الهزيمة خرج بنفسه الى قتل
زيري بن عطية فخرج من رقدة بعساكرة وشيعة مشيخة البلد والفقهاء
واهل القيروان وجد في سيرة الى اشير وكان زيري محاصرا لها فلما بلغه خبر
باديس رحل عنه وتم باديس في طلبه الى ان ادخله المغرب وكرر راجعا
الى اشير * وفي هذه السفرة خالف عليه اعمامه وكانت بينهم وبينه
حروب انتصر فيها باديس بعد ما كان بينهم الفناء مائت فيها سبعة آلاف
من زناتة الذين كانوا مع اعمامه ورجع الى القيروان منصورا وبعث
برؤوس القتلى فطيف بها في النصرية والقيروان * وقسم في ايامه
لعنل الزناني وعاش في جميع اعمال باديس وكانت له مع فلفل وقعات
مديدة * وخرج عنه بعض الثوار بطرابلس فخرج بنفسه اليه واستنقذ
طرابلس وولى عليها من قبله * وكانت ايامه كثيرة الحروب والثوار عليه
من اعمامه ومن الرناتيين وكان منصورا عليهم في ايامه * وفي سنة ثلث
واربعمائة جاءته هدية من الحاكم صاحب مصر وسجلات له ولولده العز
فخرج باديس الى لقاءها وخرج ولده المعز ولم يكن خرج قبل ذلك ومعه
القصاة واكابر الدولة وترجل له وقرئت على الناس وفيه اضافة برقة الى
ما بيده من الاعمال فارسل عامله الى برقة * ولم تزل ايام باديس في
مكافحة الاعداء ورحل الى المغرب عدة مرار وكان مقداما جوادا يعطي
الطاء الضخم وكان محسنا لاصحابه ويعفو عن اساءتهم * وخرج الى
المغرب لقتل زناتة فادركه اجله على مدينة الحمديّة اواخر ثلثة من
ذي القعدة سنة ست واربعمائة فكنم الكبر دولته موته وتشاوروا بينهم
فاتفقوا عليهم على تولية ولده المعز وكان صغيرا اذ ذاك لم يبلغ عشر سنين
فجعلوا باديسا في تابوت ورجعوا به الى افرشيّة بعد ما حلت الاجناد

لولده المعز واثنادت له اجنادة بعد موته احسن انقياد واصلوه في تايوتهم
الى المهديّة وكان ولده المعز بها خرجت به جدته للثراة وجعلتها حرزا
لاموالها لما كانت ترى من الفس في دولته ولده باديس فستوطنت
المهديّة * وكان في ولايته بني زيري في مدينته اشير وانتقل المنصور بن
بلكين الى صبرة ثم ولده باديس كانت غالب اوقانه بصبرة الا ان ايامه
كانت اكثر حروبا * واول سن بوبع من بني مناد بمدينته المهديّة المعز
كما سنذكره ان شاء الله تعالى * ومن ملوك صنهاجة المعز بن باديس
ابن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي بوبع بالامرة يوم وفاة
ابيه اخذت له البيعة على الاجناد بمدينته المحمدية لثلاث خلعت من
ذي الحجة سنة ست واربع مائة وصرة اذ ذاك ثمان سنين وسبعة اشهر *
ولما وصل الخبر بموت باديس خرج عامل القيروان ومعه الفقهاء والشيوخ
من اهل البلد واكابر صنهاجة فوصلوا الى المهديّة وهزوا المعز في والده وهنوه
بالمك وكانت جدته تباشر لأمور وتصرف الاحوال من رايها فاحسنت
لاهل القيروان وامرتهم بالرجوع الى بلادهم وركب المعز بالطبول ونشرت
البنود على راسه وقبل الوفود باحسن قبول وظهرت عليه مخائل الملك وفرح
الناس بما راوا منه من العقل والنجابة وشمائل الكرم مع صغر السن وقابل
كل انسان بما يليق به * وفي اول المحرم وصل العسكر الذين كانوا مع
ابيه وانوا به محمولوا في ثيابوت فدفن وجددت له البيعة مع الاجناد
وركب المعز للقائهم وعرضت عليه اكابر الدولة وتعرف احوالهم واحسن
اليهم ورحل من المهديّة الى مدينة صبرة فحل بها ونزل بمصره وفرح الناس
بثبوتهم * ولمسا استقر بصبرة خرجت طائفة من القيروان وقتلوا جمعة
من الشيعة لانهم كانوا يتجاهرون بمذهبهم الخبيث فقتلت نساؤهم واولادهم
وكانت فتن بالقيروان من اجل النهب والقتل ولجا طائفة منهم بالجمع
في المهديّة فقتلوا فيه * وكان لا يرى بالقيروان احد منهم في الطريق
الا ضرب ضربا عنيفا وربما قتل واحرق واجتمع منهم قدر الف وخسمائة

رجل نحت قصر المنصورية واستغاثوا بالعز فامر بالكف عنهم * والمعر
هذا هو الذي طهر الله تعالى على يديه افرقيته من مذهب الشيعة وان
كان من عملهم الا انه كان لا يتمذهب بمذهبهم * وجعل الناس في ايامه
على مذهب الامم مالك رضي الله تعالى عنه وقطع مآذاه * وكانت
بفرقيته مذاهب الصفرية والشيعة والاباصية والنكارية والمعتزلة ومن
مذاهب اهل السنة الحنفية والمالكية فلم يسبق في ايامه الا مذهب الامام
مالك * والعز هذا لما اشتدت سلطنته خرج عن طاعة بني عبيد وخطب
لبنی العباس كما سيأتي * وخسرج عن طاعته معه جناد بالمغرب وحاصر
اشير فزحف اليه المعر بمساكر لا تحصى وكانت بينهما وقعات وحروب
انتصر بها المعز على عمه وءاخر الحل رجع الى الطاعة وبعث ولده بكتب
يسال فيه العفو عما سبق منه فعفا عنه * واجرى المعز على ابن عمه جاد في
اقتنته كل يوم ثلثة آلاف درهم وخمسة وعشرين قفيزا شعيرا لدوابه ودواب
اصحابه وخلع على اصحابه مائة خلعة واعطاه ثلثين فرسا بسروج الذهب
ومن الثياب المشققات ما لا يدخل تحت حصر وانفذه الى حصرة ابيه
وفرق ماله في جميع بلاد المغرب * وبسعث اليه الحاكم خليفة مصر
نجديدا بولايته ولقبه بشرف الدولة * وفي سنة ثمان واربعمئة بعث
اليه مولاة صندل وكان عاملا على باعاية هدية فيها ثلثمائة وخمسة وثلاثون
برذوخا بالسروج المحلاة وعبيدا وشيئا مستكبرا * واهدى له الحاكم
صاحب مصر سيف مكللا بالدر ليس له قيمة وكتب اليه تشريفا لم
يكتب مثله لاحد من اجداده قبالا * وتوفيت جدته سنة احدى عشرة
واربعمئة فكفنها بما قيمته مائة الف دينار وعمل لها تابوتا من العود
الهندي مرصعا بالجواهر وصفائح الذهب وسر التابوت بمسامير الذهب
وزنها الف مثقال وادرجت في مائة وعشرين ثوبا وذر عليها من المسك *
والكفور ما لا حد له وقلد التابوت بحدى وعشرين سحجة من نفيس
الحرير ودفن في مقبرة بصرى عظماء ما ذكرناه * وجعلت

الى المهدية فدفت بها وامر المعز بخمسين ناقته ومائة رأس من البقر
والف شاة فخرت وانتهبها الناس وفرق في مائتها على النساء عشرة آلاف
دينار * وصنع وليمة لعرسه سنة ثلث عشرة وأربعمائة لم يكن مثلها
لاحد في بلاد المغرب * ولما بدا بالحركة للعرس نصبت القباب خارج
المدينة ونشر ما هيا من الاثاث والذهب وحمل المهر على عشرة ابعال كل
بغل عليه عشرة آلاف دينار وحضر من الآلات الملاهي ما لا يوصف وقوم
حذاق التجار ما جل للعروسة فكان ازيد من الالف دينار * وبقيت
له مصانع وتصوير لم ير مثلها وصنع ايوانه الاعظم وبني الخورنق نشيها
بخورنق النعمان بن المنذر بالعراق * وايام ملكه اربت في الحبس
على ايام بني مند * وفي ايامه اشددت شوكة زناتة من قاحية طرابلس
وكانت له معهم حروب وله فيهم فساكات * قلت والزناطين هم الذين
يتني عليهم عدد من العمل ويذكرون كثيرا من نجلة اخبرهم عدد
يذكرون سيرة بني هلال وما جرى لهم مع خليفة الزناتي ولاهل طرابلس اهتمام
بسيرتهم حتى لا يذكر بينهم حديث الا بها وكذلك عند هوام اهل مصر له
صيت لاستماعه . والمعز كان اكرم اهل بيته بالمال وكان دينه يجتنب سفك
الدماء الا في حق وكان رفيق القلب حديد الذهب عارف بعدد صنائع من
الاحيان والتوقيعات وعلم لا جبر وله شعر جيد وهذه ملك الروم يهدية
جليلة وفتح جزيرة جربة * وفي سنة خمس وثلاثين وأربعمائة اظهر الدعوة
لبني العباس وورد عليه عهد من الامام القائم بامر الله العباسي وفي سنة
اربعين وأربعمائة قطع خطبة بني عبيد وقطع بؤنهم واحرقها بلنار * وفي
ايام المعز خرج غالب البلاد عن طاعته وكثرت عليه المحالفون وخالف
سوسة وقفصة وصفافس وباجنة وخرج جل البلاد الغربية وفي ايامه كان
ظهور لتوفت بلاد المغرب واستولوا على جميعها وسياتي بعض خبرهم ان شاء
الله تعالى * وفي ايامه جاءت العرب من المشرق وسكنوا بافريقية وسبب
دخول العرب الى افريقية ان المعز بن باديس لما قطع خطبة صاحب مصر

وهو المستنصر بالله كان يسب بني عبيد سرا إلى أن صرح به على المنابر
وكان يكاتب وزير المستنصر ويستميله ويعرض له بالتخريف عليهم وإنما
يكتب له تلويح لا نصريحا ويكتب إليه قطعة بخط يده وتمثل فيها
بيت من الشعر وهو

وفيك صاحبت قوما لا خلاق لهم لولاك ما كنت أدري أنهم خلقوا
فقال الوزير لبعض أصحابه ألا تعجبون من صبي بوبري مغربي يحب أن
يحدث شيئا عربيا وإنما أراد المعز أن يوقع بين الوزير وخليفته الشر
ولما حلق طاعة بني عبيد وجاءته الخلع من بغداد أشار الوزير على المستنصر
العبيدي بأرسل العرب فأرسل المستنصر إلى حرب الصعيد الذين بمصر
وأرسلهم إلى المغرب وأباح لهم من برقة إلى ما بعدها وأعانهم على ذلك بمال
وهم رباح وزينة ومدي بطون من بني عامر بن صعصعة فلما وصلوا إلى
أفريقية عثوا فيها كيف شاءوا وملئت أيديهم من النهب فتسامعت
بنوهم بذلك فطلبوا من الخليفة إلحاق بتن تقدمهم فنعهم من ذلك
إلا أن يعطوه شيئا من أموالهم فخذ منهم أضعاف ما أعطاه لبني عمهم
وسرحهم ولما وصلوا إلى المغرب كانت لهم وقعات مع زناتة بأقليم طرابلس
وكثر ضررهم وأفسدوا البلاد ولما قربوا من أفريقية خرج المعز في
جمع من منهاجته وزناتة فاجتمع له عسكر عظيم فالتقى معهم وكان
بينهم مصادف فخذلهم زناتة وانهمزت منهاجته حتى لم يبق معه إلا
عبيده وكان عدد العبيد عشرين ألفا وبنت المعز في تلك الحروب ثباتا لم
يثبت أمير هزم جيشه وعاخر الحال انهمز ورجع إلى المنصورية وأقبل
العرب حتى نزلوا بأزاء القيروان واقتتلوا بين وقادة القيروان ومات بين
الفرقيين خلق عظيم * ولما رأى المعز ما حل به ركن إلى الصلح ورفع
الحرب بين العرب وبينه وأباحهم دخول القيروان ليشتروا منها ما يحتاجون
إليه ووطن أنهم يرجعون إلى بلادهم فلم يغن عنه ذلك ومكثوا البلاد بأسرها
واقسموا بربابها وأفسدوا حواضرها وكان الخطب جليلا * فلما رأى المعز كثرة

صررهم وشجرة من دفع اذاحم رجل الى المهديّة وبها حشمه وكان ولده تميم واليا عليها وخرج في رمضان سنة تسع واربعين واربعمئة ونهبت العرب القيروان وكان ذلك سبب خرابها وجلاء اهلها عنها ولما وصل الى المهديّة تلقاه ولده تميم وتوجّل له وقبل يده وادخله البلد فسلم الامر الى ولده تميم في حياته فقام بعمور الدولة احسن قيام وتوفي المعز سنة ثلث وخمسين واربعمئة كانت ايام ولايته تسعا واربعين سنة وكان من الكرم على جانب عظيم قيل انه اهدى لبعض اصحابه في يوم واحد مائة الف وسبعين الف دينار الا ان ايامه كثرت فيها الفس وقام كل عامل ببلده وخرج عن طاعته والملك لله وحده * وممن الملوك الصنهاجية تميم بن المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين بن ريزي مولده بالمنصورية سنة اثنتين وعشرين واربعمئة وولاه ابو الهديّة سنة خمس واربعين واستبد بالملك يوم وفاة ابيه ودخل اليه الناس وهنوه بما صار اليه وكثرت في ايام تميم الثوار من كل فيه فقام عليه اهل تونس وخرجوا عن طاعته فارسل اليهم جيشا عظيما فحاصروها سنة وشهرين والقائم بتونس هو ابن خراسان فلما اشتد عليهم الحصار صالحوا عسكر تميم على ما رضي به تميم وارتحلوا عنها وخالف عليه بلد سوسة فحاصروها وفتحها فتوة وحسن دماهم وخرج عليه جو من فلول البرغواطي ببلد صفاقس فخرج اليه تميم في جمع من البربر والعرب مثل رغبة ورياح فكانت بينهم مصاف وانتصر تميم وانهزم البرغواطي * وفي ايامه طردت بنو رباح رغبة عن افريقية وباعت القيروان من النظر بن علاء الناس بن حاد وجاءت بنو قرة من فاحية برقة ونزلوا بازاء القيروان * وفي سنة سبع وستين واربعمئة اصطلح تميم مع النظر بن علاء الناس وزوجه ابنته وارسلها اليه في عسكر عظيم وبعث معها من الاموال والذخائر ما لا يوصف وولى ولده مقلدا على طرابلس وتم الصلح بينهما * وقام عليه مالك بن علي الصخري بجمع كبير من العرب ونزل المهديّة فقاومه تميم حتى رحل عنها خائبا الى القيروان فبعث اليه تميم بعسكر كثير محاصرة بها مدة فلما

علم مآلك ان لا طاقة له فر عن القيروان وحاصر تميم فقبس وصفاقس في وقت واحد وفي غيبته جاءت عمارة المهديّة من الجنوز والبلنسيان نحو ثلثمائة مركب فنهبوا المهديّة وزويلته واضرموا النار في البلد ولم يكن بها مدافع لهم لغلبة الجند عن المهديّة وكان عدد الروم ثلثين الف مقاتل فغصروا ورحلوا عنها * وفي ايام تميم كانت المجاعة العظمى بأفريقية والرباءة الذي لم يسمع بمثله وذلك سنة ثلث وثمانين وأربعمائة وغالب اوقاته كان مقاوما فيب لمن ثار عليه وقاسى حروبا مع العرب وبني عبدة وكان رحمه الله ذكيا مفوطا في الذكاء وينظم الشعر ويجيز سن مدحه وبحسب المداومة والاستماع ومن ندمائه ابن رشيق القيرواني وله فيه المدايح الطنانة وكان احلم بني مناد واعفهم عن الامور العظام وانقدهم للشعر وله اخبار عجيبه احربنا عنها خوف الاطالة * وفي ايامه استولى عدو الدين على جميع صقلية وكان ذلك سنة اربع وثمانين وأربعمائة اعادها الله للاسلام * وحيث انتهى بنا ساق الحديث الى صقلية وان كنا اثينا بطرف من ذكرها فيما تقدم وجب لان ان نذكر طرفا منها لزيادة الفائدة ولكن على سبيل الاحتصار وليكن المتأمل هنا على بصيرة من ان صقلية كانت تحت حكم افريقية برهة من الزمان * فاقول وبالله المستعان قد تقدم في اول الكتاب فتح الجزيرة على يد الشيخ البركة اسد بن الفرات من قبل ابراهيم بن الاغلب في خلافة امير المؤمنين عبد الله المأمون بن الرشيد وتداولتها العمال من قبل بني الاغلب الى اسم ابي عبيد ولما كان الخليفة العبيدي وهو المنصور بالله بن القائم بن المهدي متمكنا من البلاد العربية وثم له الحكم على سائر اعمالها عقد ولاية جزيرة صقلية للحسن بن علي ابن ابي الحسن الكلبي وذلك سنة ست وثلثين وثلثمائة واستمر الحسن بها حتى مات المنصور ونولى ولده المعز واقل الحسن الى افريقية واستخلف على صقلية ولده احمد في سنة اثنى واربعين وثلثمائة ووفد على المعز بمجماعة من اهل صقلية فبايعوا المعز وخلع عليهم واعاده الى مملعه * وفي

سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة بعث إليه كتاب يرمي بختن أطفال الجزيرة
وكسوتهم في اليوم الذي يختل فيه المعز ولده في مستهل ربيع لأول من السنة
المذكورة فابعدا لأمير أجد بختن أولاده وأخوته ثم الخدع والعام وجمع
عليهم ووصلهم من المعز مائة ألف درهم وخمسون جلا من الصلوات ففرقت
بين المختونين وكانت جلثهم خمسة عشر ألف طفل * وفي سنة السبعين
وخمسين بعث الأمير أجد بسبي طبرمين بعد ما فتحها وجلثه ألف وسبع مائة
ونيف وسبعون رأس * وفي سنة ثلث وخمسين وثلاثمائة بعث المعز أسطولا
عظيما وقدم عليه الحسن بن علي والد الأمير أجد فوصل إلى صقلية وكان
بينهم وبين الروم حرب شديدة انتصر فيها الحسن وقتل من المشركين
أزيد من عشرة آلاف وغنم مغنما عظيمة ومن جلثه سيف منقوش عليه -
طالما صربت به بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم - فبعث به
وبالسبي إلى المعز وتوفي الحسن سنة ثلث وخمسين وثلاثمائة وفيها استقدم
المعز لدين الله الأمير أجد من صقلية بماله وولده واستخلف يعش مولى
أبيه على الجزيرة ولما وصل أجد إلى إفريقية أرسل المعز علي بن الحسن
تائبا من أخيه أجد وبعث المعز الأمير أجد مقدما على أسطول إلى مصر
فلما وصل طرابلس اعتل بها ومات بها وبعث المعز إلى الأمير علي سجلا
بولايته بعد أخيه فمكث اثنتي عشرة سنة ومات في غزوته بالارض الكبيرة
بمكان يعرف بالشهيد عرف به لأن مقتله هناك * وتولى ولده جابر من
غير عهد من الخليفة وكان جابر سعي التدبير فعزل الخليفة وبعث مكانه
جعفر بن محمد بن الحسين وبقي واليا عليها حتى مات سنة خمس وسبعين
وثلاثمائة * وتولى أخوة عبد الله وتوفي سنة تسع وسبعين * وتولى ولده
أبو الفتح يوسف بن عبد الله وكان حسن السيرة وأصابه فالج فتولى
ولده جعفر في حياته واتاه سجل من الحاسك ولقبه تاج الدولة
وأحدث مظالم على أهل صقلية فخرجوا عن طاعته وحاصروه في القصر فخرج
إليهم أبو يوسف في محفة وشروط للناس عزله وسكنهم وقدم عليهم أخاه أجد

ولقبه زبيد الدولة وذلك سنة عشر وأربعمائة وبقي إلى سنة سبع وعشرين خرج عليه أهل الجزيرة فقتلوه وتولى أخوه الحسن ولقبه صمصام الدولة واضطربت الأحوال في أيامه وكثرت الثوار فأخرجوا صمصام الدولة وانفرد كل إنسان ببلد فانفرد القائد عبد الله بن منكوت بمارر وطرابني وغيوهم وابن الخواس بقصر بانة وجرثمة وغيرهما والقائد ابن التمنه بسرقرسة وقطانية وقامت بينهم الفتن فنهض ابن التمنه بالأفريج من مالطة وهون عليهم أمر المسلمين وكان أمير الصاري اسمه روجار فساروا مع ابن التمنه إلى البلاد التي بأيدي المسلمين فحاصروها واستولوا على مواضع كثيرة من الجزيرة فحينئذ فرق الجزيرة جماعة من العلماء واتوا إلى المعز يستنجدون فبعث أسطولا للجزيرة فلم يغن شيئا وذلك لاضطراب الجزيرة فلم يزل العدو يأخذ الجزيرة شيئا فشيئا ولم يثبت غير قصر بانة وجرثمة فحاصروها بالأفريج أشد حصار حتى أكلوا الميتة فسلم أهل جرثمة وبقيت بانة ثلاث سنين ثم ادعوا واستغلب روجار على سائر الجزيرة في سنة أربع وثمانين وأربعمائة ومات بعلة الخوانيق وعمره ثمانون سنة * وتولى بعده ولده فاربي عليه في الخزي وسلك طريقة ملوك المسلمين من الجتاب والحجاب واسكن الأفريج في الجزيرة مع المسلمين وأكرم المسلمين وقربهم ومنع من التعدي عليهم وكانت أساطيلهم مشحونة بالمسلمين والأفريج وأخذ كثيرا من بلاد الإسلام وهو الذي أخذ المهدية وسوسة وجرثمة وطرابلس وامتدت يده في البلاد وملك عدة جزائر في البحر وبلغت بعونه إلى المشرق وملك أنطاكية وكانت له فتكات لعنة الله عليه * وجزيرة صقلية من أجل الجزائر التي في البحر وبها مدن عظيمة وأخبر مدائنها مدينة بليرم وهي المدينة العظمى على ساحل البحر محذقة به الجبال وهي ثلاث أسطمة وبها المدينة القديمة المسماة بالخالصة كانت مستقر السلطان * وكانت الخالصة في أيام المسلمين دار الصناعة لإشياء المراكب ومكنت في أيدي المسلمين مائتي ونيف وسبعين سنة أعادها الله للإسلام * وما ذكرت هذه النبذة إلا لكونها فتحت على يد تمل إفريقية

ولم نزل نحت الحكم لى ان قدر الله بردها لاعداء الدين والسبب
المنهي للهلاك التماسد والقتل حسم الله هذه المأدة عنا لاننا في طرف منها
عسى الله ان يعافيه وبلطفه يداركننا * ولنرجع لى ما كنا فيه من بقية
اخبار تميم بن المعز قال ابن ايوب وتوفي تميم بن المعز صاحب افرقيته
سنة احدى وخمسمائة وعمره تسع وثمانون سنة وايم ولايته ست واربعون
سنة وعشرة اشهر وعشرون يوما وخلف مائة ولد ذكر وستين بنتا وتولى
ولده يحيى من بعده * وممن امراء صنهاجة الامير يحيى بن تميم
ابن المعز بن باديس بن المنصور بن يوسف بلكين بن زيوي بن مناد ثم له
الامر يوم وفاة ابيه وعمره حينئذ ثلث واربعون سنة فركب على العادة باكاب
الدولة وغير لباس الحزن وفرق في اللباس اموالا ووعدهم بالجميل ففرح
الناس به ولما استولفت له الامور عدل في رعيته وجرد مسكرا لى
قلعة اقليبيته ففتحها وكان ابوه لم يقدر عليها وبعث اسطولا لى بلاد
الروم فغنمت وكانت عمارته في البحر كل سنة مصورة وكان يبشر الامور
بنفسه عارفا بها وكان رحيم بالضعفاء مطالعا لكتب السير واجبر الزمان
عابا بالنجوم واحكامها وبصناعة الطب وينظم الشعر الجيد حسن الخلق
ودامت ولايته ثمان سنين وستة اشهر وتوفي وعمره اثنان وخمسون سنة
مات فجئة اول ذي الحجة سنة تسع وخمسمائة وخلف من الذكور
ثلثين ومن البنات عشرين وكانت ايامه ايام عدل الا ان ملكه دخلته القهقرة
والملك لله الواحد القهار * وممن امراء صنهاجة الامير علي بن
يحيى بن تميم ثم له الامر بعد ابيه باتفاق من جنده وكان في صفاقس
فارسلوا اليه خفية من اخوته فجاء لى المهديّة وقدم لى القصر فتولى
تجهيز ابيه ودفنه ودخل الناس عليه فهنّوه بالملك واستنم له الامر وابندا
دولته بتجهيز اسطول لى جربة فحاصره وفتحها ولم تحكس طامت لى
سلف من اجداده مع سعة ملكهم وكثرة جيوشهم وحاصر تونس وضيق عليها
فصالحها صاحبها احمد بن خروسان على ما اراد وبعث جيشا لى حصار

وسلات فصرى به وفتح منوة وكان أهله اذ ذاك اهل فساد وتلفق وصمى عليه رافع عامله على فابس وبعث الى رجاء صاحب صقلية فدخل تحت طاعته وطلب منه الاعانة على الامير علي بن يحيى واجتمعت لرافع جموع من العرب وقصد المهدية وحاصرها فمكر به الامير علي باستجلاب نفوس الاعراب ووعدهم واعطاهم فخذلوا رافعا فصر الى القيروان واقسمت العرب بينهم البلاد وفويت شوكة العرب في ايامه وكبرت بينه وبين صاحب صقلية الوحشة فبعث اليه يهدده بغزوة المهدية فيها الامير علي سراكب في البحر واستخدم لاجناد وكثر من الرجال وعمر المدينة واخذ اهبة الحرب وصمت بيها مراسلات بالتهديد من الجنيين واراد علي ان يستصر بامير المسلمين يوسف بن تاشفين لان الامير علي علم انه ليس له طاعة بصاحب صقلية فاحذر منه بغيته حياته إلا انه وقع بينهم الصلح في الظاهر دور الباطن * وفي ايام علي دخل محمد بن نورث الى المهدية وغير بها السكر وسياتي خبره ونوفي الامير علي سنة خمس عشرة وخمسائة من مرض اصابه وفوض الامر في حياته لولده الحسن وعمه اثنا عشرة سنة وبويع يوم وفاة والده والله يرث الارض ويكن عليها * ومضى امراء منهاجته الامير الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس ثم له الامر يوم وفاة والده وحكم بهدبير دولته القائد صندل مولاه وركب على عادته وطاف البلاد وفرح الناس به وفرق اموالا في العبيد والاجناد وخلق على اصحاب دولته واكابر اجناد * وفي ايام الحسن تحرك صاحب صقلية على اخذ المهدية ومثله نفسه ان يستاصل افرقيته فحشد من جميع البلاد وجع جيشا عظيما وبعث بسطول عظيم الى المهدية فلما احس الحسن بمجيئ اهل صقلية ارسل الى البلاد واستعد لهم استعدادا كبيرا واجتمعت له مائة الف رجل وعشرة الف من الخيل ونزلت طائفة من النصارى من الاحاسي وتحصنوا بقصر الدبماس فانذر المسلمون بهم فاخذوهم * وهكذا عدد المراكب الواردة من صقلية لثمانية مركب منها م هو مشحون بالسلاح والالات الحرب و

الخيل الف فرس وفرسان وكان غالب المراكب طشت قبل وصولها من
 مدّة هيجان البحر فلم يرجع منها إلّ صقلية إلّا قدر مائة مركب ولم ينج
 من الخيل إلّا فرسان * وفي أيام الحسن قصد صاحب بجاية أخذ المهدية
 لأنه سمع بالأمير الحسن أنه صالح الملك رجار الرومي صاحب صقلية
 ووثقت بينهما الهدنة وكان ذلك لأن الحسن أرسل إليه بهدية وصالحه
 مخافة من شره فتم الصلح وشرط اللعين عليه شروطا قبلها فكاتب أهل
 المهدية يحيى بن العزيز الحمادي صاحب بجاية وأطعموه بتسليم البلد
 فوثق بهم وبعث إليهم جيشا في البر ومراكب في البحر وبعث مقدم الجيش
 اللقيم مظرف فنازلها برا وبحرا وجاءته العربان من كل فج ولم يكن له
 أرب في القتل لأطباع أهل البلد إياه وطال الحصر على أهل المهدية وانصل
 الخبر بوجار صاحب صقلية فبعث أسطولا عظيما لنصرة الحسن وأمر المقدم
 على الأسطول أن يقف ضد أمر الحسن ونهيه فلما جاء أسطول اللعين
 وانتشر حول المهدية طاح م بيند صاحب بجاية وأراد النصراني أن يعكس
 مراكب أهل بجاية فمنعه الحسن وأمره بالكف عن القتال لأنه كره
 سلك دماء المسلمين وفرت مراكب بجاية بالخيبة ورحل الذين كانوا
 منازل المهدية من البربر بعد اقامتهم عليها سبعين يوما وذلك سنة تسع
 وعشرين وخمسمائة ورجع الأسطول إلى صقلية وكتب الحسن كتابا إلى
 الملك وجار يشكره على فعله وأنه داخل تحت أمره ونهيه فتأكدت بينهما
 المحالصة وعند ذلك استقامت أمور الحسن * وفي هذه السنة أرسل عدو الله
 رجار أسطولا إلى جزيرة جربة مشحونا برجال المسلمين من أهل صقلية ورجال
 من الأفرنجيين بعدد وقوة عظيمة ونازل جزيرة جربة وأخذها فتوة بالسيف
 وقتل رجالها وسبى حريمها وبعدهم في صقلية ورجع إليهم سالم ودخل
 تحت طاعة رجار وولى عليها عاملا من قبله وكتب لهم أماسا من مدّة
 وجعلهم خولا له ودانت له بلاد المهدية وجربة وخافتهم البلاد كلها وتشمخ
 اللعين يانثته والحسن في غالب أوقاته يدافعهم من نفسه بالتي هي أحسن

إلى أن كانت سنة ست وثلاثين وجسمائته ابتدأت بينهما الوحشة بسبب
 ما استسلمه الحسن من بعض وكلاء اللعين ومطالبة به * فسبغت مراكب
 إلى المهدية وأظهر شره فذاقعه بالحصى وأهدى إليه عدة أسرى فلم تكن
 عنه شيئاً وأرسل الحسن رسولا إلى الملك رجلا ولاطفه وشرط اللعين شروطاً
 على الحسن فقبلها ودخل تحت طاعته وجعله عاملاً من عماله وهداه هدية
 مكر * وفي سنة سبع وثلاثين وجسمائته نازل اللعين مدينة طرابلس
 فهموه ولم يتعلق منهم بشيء وفي هذه السنة بعث إلى جيجل فخذها
 عنوة وسفك دماء أهلها وسبى حريمها وأحرقها بالنار وهي من عمالته بني
 حاد من ولاية بجاية * وفيها ملك جزيرة قرقنة وسبى أهلها وباعهم في
 صقلية وتسلم ورجع لها دخل تحت طاعته وخافته جل البلاد الأفريقية *
 وفي سنة إحدى وأربعين وخمسمائة أرسل مائتي مراكب إلى طرابلس
 وفتحها عنوة وقتل وسبى وعفا عن الباقيين وأحسن إليهم وأمن من جاءها
 وأذنوا لطعته ولما ذاع خبر طرابلس حاقه جميع البلاد الأفريقية وكتب
 إليه صاحب قابس يتضرع إليه ويتلطف وسلم له ما تحت يده ورضي
 أن يكون عاملاً له فكتب له سجلاً بذلك وبعث له ما يشرف به من
 شريف النصارى وجبى أموال قابس من تحت طاعته * قلت أعود
 بالله من الخذلان وإلا كيف تعد هذه الطائفة من حزب المسلمين وإنما
 هي من حزب الشيطان لكن حب الدنيا والرياسة الجاهل إلى هذه الرذائل
 وحبك الشيء يعمي ويصمي * وفي هذه السنة كان القحط بفريقية حتى
 فر غالب الناس إلى صقلية * وفي سنة اثنين وأربعين وخمسمائة استعان
 معمر بن رشيد بالحسن صاحب المهدية وجمع من الأعراب على يوسف
 صاحب قابس وعاضده محرز بن زيد فحاصروا قابس وقتلوا يوسف
 عاملها واحتوى محرز بن زياد عليهم * وعمر القائد عيسى أخو يوسف
 إلى صقلية وأعلم النصارى أن الحسن ممن أمان على قتل يوسف فدنى
 اللعين من ذلك لكون كل منهما تحت طاعته فعول على فزو المهدية فحشد

جيشا عظيما وبعنه في مراكب مشحونة بالسلاح والاثاث الحرب فدمعوا
 المهديّة على حين غفلة فانذهل الناس عندهم واوا لاسطول ففرت الناس ولم
 يصكر لهم مدافع وفر المحسن دون قتال وجل اهلهم وسن ساعده وخلف
 ذخائره وبعض اهلهم وتوجه الى المعقله التي بمقربة من تونس ونزل عند
 محرز بن زياد فرحب به واكرم مثواه وام اهل البلد فتراجعوا عنده * وان
 المقدم على الاسطول لما دخل المهديّة امر بالكف عن القتل والنهب ونذى
 في الناس بالامان وسن لم مسكن رجع اليه وهدن اهل البلد واحسن
 لمن رجع واحتوى على ذخائر المحسن وعائثاته مالا يوصف ولقي بعض
 اولاده واهله وامهات اولاده بعني اولاد المحسن فاحسن اليهم وارسلهم لصلبة
 وعمره ذو الله المدينيتين زويلته والمهديّة ودفع للتجبر رجوس اموال واحسن
 لفتحاتهم وجعل قاضي مرضيه يحكم بين الناس ومهد قواعد البلدين وبعث
 في اثناء ذلك بجيشين احدهما لسوسة والاخر لصفاقس ام اهل سوسة
 فسلخوا لم البلد دون قتال فاحتوى عليها عدو الدين ونهبها واعاد لها اهلها
 واما اهل صفاقس فدافعوا عن انفسهم بقدر طاقتهم واخذوا العدو عنوة واخذ ما
 فيها ورد اليها اهلها واحسن اليهم واولى عليهم ولاية من قبلهم * وحاجتهم وفرد
 العرب واكابرهم فدحلوا في طاعتهم واستوثق لم الحكم على اكثر البلاد وجي
 خراج رعاياها برفق منه واحسان واستمال الناس وسر فيهم سيرة حسنة
 بالرفق بهم ونزل قلعة اقلبيّة فلم يقدر عليها لتجمع اكثو العرب فيها *
 ولسم نزل هذه البلاد بيد اللعين الى ايسام امير المؤمنين عبد المومن بن
 علي فاستنقذها من ايديهم سنة خمس وخمسين وخمسائة ورد الامير
 المحسن الى المهديّة كما سيأتي ان شاء الله تعالى * والامير المحسن هو اآخر
 الصنهاجيين من بني مباد * واول سن ملك افريقيّة بلكين عند رحيل المعز
 الى مصر كما سبق في اول الكتاب وان كان زيري ومناد ملكين فنهما لم
 يتصرفا في عمل افريقيّة * وعسدة سن ملك منهم افريقيّة ثمانية اآخرهم
 المحسن الا انه لم يبلغ م بلغ سن قبله لان ملك من تقدم من اجداده من

برقة إلى تلسان وما وراء ذلك * وقسمت البلاد بينهم بعد موت المنصور
ابن بكين فقام جاد بن بكين على ابن أخيه بديس وجرت بينهما عدة
وقائع * واحتوى جاد على البلاد الغربية وصارت بلد بجاية دار ملك
بني جاد كما أن بني زيري دار ملكهم أولا المصروية ثم انتقلوا إلى المهديّة
في زمن المعز عند دخول العرب وقد تقدم * ومدفنهم في بلد المشيخ بقصر
السدة وكان لهم نموس عظيم وعساكر عديدة وبلغوا رتبة السلاطين *
قللت وأنا استعفر الله أن بني حفص لم يبلغوا ما بلغوا وإن كان ذكرهم
عد الناس أكثر إلا النادر منهم وكون بني حفص خطب لهم بمير المؤمنين
ولم يخطب لبني مناد بامير المؤمنين وكانوا كلهم أهل نجدة وشجاعة
واحسان ومعروف * والحسن هذا الذي هو آخرهم كان قوي النفس
بجمع الفكر لا يتذرع لعظام الأمور ولا يتعصع لنوائب الدهور مستوقد
الذهن شجاع القلب كريم الغش حسن التوسعة يظم الشعر إلا أن أيام
ملكهم أخذت في الأدبر * وانقطعت كواكب سعودهم وانفثت عن
منزلهم الشمس والاقمار * وهذه الدنيا لا يدوم نعيمها * ولا يباس
سقيمها * وبهذا جرت عادة الله في خلقه إنما الدهر دول بعد دول لا يسالها
يفعل وهم يسألون * ولتختم هذا الباب بفائدة وهي أن عبيد الله المهدي
لما أراد بناء المهديّة ووضع أول حجر منها أمر أن يرمى بسهم من عند الحجر
إلى مذبة المغرب فانتهى إلى المصلى فقل المهدي إلى هاهنا يبلغ صاحب
الحمار يعني أبا يزيد الخرجي وأمر بقيس مسافة الرميّة فكانت مائتين
وثلاث وثلاثين ذراعاً * فقسال هذا عدد ما نقيم بيدينا والبناء سنة ثلث
وثلاثمائة وأخذت سنة ثلث وأربعين وخمسمائة فاتفق الحساب كما قال
تقريباً أو تكون سنين شمسية فالحالّة بينهما قريبة على ما أخبر به
وذلك أن الحسين بن علي رضي الله تعالى عنه قتل سنة إحدى وستين
ولم يكن لبني فاطمة بعده ملك إلى أيام ظهور بني عبيد واستقرارهم في
الخلافة لأنهم يجعلون ابتداء أمرهم ببناء المهديّة فالمدّة التي بين مقتل

الحسين وابتداء الملك مائتان واربعون سنة فتكون ايام دولتهم بقدر ذلك لان دولتهم انقضت باخذ المهدية وان بقيت بقية منهم بمصر في تلك المدة لان العاصد توفي سنة سبع وستين وجسمائة فن المهدي لم يخبر بدوام الملك لهم إلا بدوام المهدية واذا خرجت خرج الملك عنهم فكان كذلك لان المدة الزائدة كان فيها اضطراب فلا يعد * ومستحسن ذلك ان المعز لدين الله لم اراد ان يتوجه لمصر قبل لبلكين يا يوسف اعلم ان المهدية دار ملكك وصيانة ذريتك وملكك ملتصق بملكنا فمضى خرب ملك المهدية خرب ملكنا لان ملك المهدية خرب بموت علي والد الحسن فان الحسن لا يعدونه سلطانا لانخلائه من الملك وخروجه عن سلطنته كما انهم لا يعدون من الخلفاء من كان بعد الامر باحكام الله لان الامر هو العاشر من الخلفاء على نسق واحد اب عن جد ومن بعده خرجت لابن عمه وكذلك جعل بعض من يتعاطى هذا الحساب ان العشرة من الخلفاء الذين هم على نسق واحد يقابلونهم بعشرة من صنهاجة على نسق واحد اولهم مناد وما خرم الحسن وان اردت فاسقط الثلاثة الذين حكموا بالمغرب وعد من الذي اخذ مصر وهو المعز الى الامر باحكام الله تجد سبعة على نسق واحد يقابلهم بسبعة من صنهاجة اولهم بلكين لانه تقدم من قبل المعز على افرقيته * وكما ان المعز اول المصريين فيوسف اول من تملك في الافريقيين الى علي فيكون العدد سبعة سلاطين وسبعة خلفاء كلهم مستقل غير مغلوب عليه * وهذا علم لا يعلمه إلا الله وما ذكرت هذا الكلام إلا لان مثله لا يصدر إلا بالهام من الله او اخبار عن مصدق وان ثبت هذا الكلام من هؤلاء القوم فهم عندي من اهل بيت النبوة بلا شك والله حبيب من طعن في نسبهم بلا دليل ثبت * وهذه الاخبار تكون لهم من الكرامات ورايت كثيرا من التواريخ نثني عليهم بالمحسن الجميلة والعلوم الجليلة إلا ما قل منهم والبعض يخرجهم عن دائرة الاسلام لاطهارهم مذهب الشيعة والغلو فيه والمنتقص من اصحاب رسول الله صلى الله عليه

وسلم واهل البيت يحل قدرهم عن الرذائل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . انتهى خبر منهجته وتتلوه الدولة الحفصية *

الباب السادس

في الدولة الحفصية

فيه فصلان الاول في ذكر تنس نولى من الخلفاء بالمغرب ودانت له البلاد وتن بلغ درجة الملك ولم يبلغ درجة الخلافة وتن بلغ درجة الخلافة ولم يتسم به وتن بلغها وتسمى بها وتن لم يبلغها وتسمى بها وكيف اتصل الامر بيني حفص ليكون توطئة لاختبارهم * ويعلم المتامل مبشدا امهم اذا سرح طرفه متشعاع لاثارهم * والفصل الثاني في كيفية اتصالهم بالملك وبعض اشياء من اخبارهم وسيرتهم ومحاسنهم *

الفصل الاول

اعلم ايها المتامل اصلح الله احوال الجميع انه تقدم في ما نقلته وأوردته هنا ان افريقية لما فتحت في صدر الاسلام كانت دار الامارة بالقيروان ومن هناك نخرج العمل الى اخر المغرب ومنها فتحت الاندلسية وصقلية * ولما كانت سنة خمس وثمانين ومائة دخل عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن محمد الملك بن مروان بن الحكم لاوي الى الاندلس فارا من بني العباس لما سلبوهم ملكهم فستحوذ على بلاد الاندلس واستقل بها ودامت في ايدي بني امية وخرجت الاندلسية عن طاعة بني العباس فلم تكن لعمال افريقية عليها يد * وقال بن المورخين : يع امير المؤمنين هارون الرشيد باجتماع الامم ما عدا جزيرة الاندلس وذلك لبعدها والكم رحاائل بين المملكةين * وفي سنة ثمانين ومائة ظهرت بنو ادريس في المغرب وبلغهم خلق من البربر واستخلفوا هناك وتسموا بامراء المؤمنين ولكن لم يبلغوا درجة الخلافة ولما ظهرت بنو حفيد بالمغرب وقعدوا متعدد الخلافة

فازعوا الكلدان سنة في اعصاهم وانزلهم منزلة صمانهم واستحوذوا على اسكر م
 بايديهم الى ان ساروا الى بلاد المشرق وخلصوا صمنهجهت عمالا لهم
 وملكهم بلاد المغرب فظهرت زناتة بالمغرب وتمسكوا بدعوة المروانيين وكانت
 بينهم حروب وكنس الفريقين من تمسك بالدعوتين فلم لا يعلمهم الا
 الله تعالى ، وخرجت عساكر بني امية لبر العدو واحسنوا الى من تمسك
 بدعوتهم وميزوا بين عمل هاشم وامية الى اول المائة الخمسة ضعفت فيها
 الدولتان وقام بالمغرب عدة قوائم من المفسدين وقليل من المصلحين فقبض
 الله سبحانه وتعالى دولة الملقين صنف من الرمر من لينة ويقال لهم
 المرابطون فملكوا بلاد المغرب باسرها وكانت ايامهم مستقيمة الى ان قم
 عليهم ابن نورث المهدي . ولم يتسم احد من لينة باسم السلطان الا يوسف
 ابن تاشفين تسمى بامير المؤمنين وخطب له بهذا الاسم ولبنيه . من بعده
 وكان له سلطان بالمغرب وبلغ درحة الخلافة * ولما قم عليه المهدي
 تسمى بامير المؤمنين ولما مات اوصى بها لعبد المؤمن فورثها واورثها بنيه
 وتمت لهم الخلافة الى ان ظهرت بنو مرين وغلّبوا بني عبد المؤمن تسوا
 بمرء المؤمنين ايضا الى ان فزع الله ملكهم على يد الاشراف الذين قاموا عليهم
 قبل كالت من المحصرة . ولما ضعفت دولة بني عبد المؤمن بالمغرب وكر
 اضطرابها استقل بنو حفص بافريقية وتسوا بالخلفاء ولم يصل احد منهم
 الى رتبتها الا ما قل منهم وكانوا عمالا لبني عبد المؤمن في السابق واستقام
 امرهم بافريقية ودار ملكهم المحصرة العليا الى ان وصل اليهم م وصل لغيرهم
 واتي عليهم ما افي على غيرهم واستولت الدولة الخاقانية على بلادهم * وطردوا
 القوم من اوطانهم * وارحشهم بعد الايناس * وتلك الايام نداولها بين الناس *
 وحيت بلغنا الى هذا المقام * ووظانا الامر بالقول وجب علينا التمام *
 فقبول اول من خرج من الطاعة وفارق الجماعة بنو امية بالمغرب
 كنعلمهم بالمشرق * واول من قام بالاندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام
 ابن عبد الملك فنجاز اليه كل امري كان هناك وقصد قرطبة دار الامارة

وقتل يوسف بن عبد الله الفهري بعد وقائع واستولى على الجزيرة واطاعه
 لاندلس بأسرها وملكتها ثلثا وثلثين سنة وقضى بها شدائده إلى أن توفي
 ونولى بعده ولده هشام بن عبد الرحمن فملكها سبع سنين وتوفي وولي ابنه
 الحكم بن هشام فاقام واليا ستا وعشرين سنة ثم توفي وولي ابنه عبد الرحمن
 ابن الحكم وملكه احدى وثلثين سنة ثم توفي وولي ولده محمد بن عبد الرحمن
 فقام واليا اربع وثلثين سنة . وفي ايامه انتهى جيش المسلمين إلى مائة ألف
 فدرس منهم مشرورون ألفا بدروع الفضة وأنشأ في البحر سبعمائة غراب لم
 توفي وولي المنذر بن محمد فقام واليا خسا وعشرين سنة ثم توفي وولي عبد
 الرحمن وتلقب بالنصر لدين الله وجلس مجلس الخلافة وتسمى بأمر المؤمنين
 وكان من تقدمه بخطب لبني العباس ولما ظهرت بنو عبيد وخطب لهم
 بأمر المؤمنين اقتدوا بهم وأقام واليا خمسين سنة منها خمس وعشرون في غزو
 وحروب وبقية في الخلافة والراحة وبني الرهراء فكملة في خمس وعشرين
 سنة . وحصر لأمراء ما انفق عليها فوجدوه خمسة وثلثين مدا من الدراهم
 القاسية سوى ما سخر فيهم من الرعية وزوالهم وزوال اصحابهم واجناد
 ثم توفي وولي ولده الحكم ابن عبد الرحمن فكانت خلافته خمس عشرة سنة
 ثم توفي وولي ولده هشام بن الحكم وتلقب بالمؤيد وحجب له محمد بن ابي
 عامر وكان في غاية الذكاء واستمال الجند وسار في الناس سيرة حسنة وبعث
 لكل عمل من يثق به واحسن للتراب فكانوا معه على كلمة واحدة . وحجر عن
 هشام وجعل بيت مال ونقل إليه اموال الخلافة ولم يبق لهشام سوى الخطبة
 والسكة ويغذ الامور ويظهر للناس انها تصدر عن اذن الخليفة وسمت همة
 إلى ان قاد العساكر إلى الروم ونال منهم ما لم ينله غيره من قبله ولا من بعده
 وقادهم بنواصيهم وأنزلهم من صياصبيهم وجاءتهم من القسطنطينية ومن رومة
 الرسل والهدايا وطلبوا مسالمتهم وأنزل قوامس قسطنطية وجليفة منزلة عماله
 وقبلوا سجالهم ودخلوا تحت طاعته وأقام على هذه الحلة ثمانين وعشرين
 سنة وتوفي سنة ثلث وتسعين وثلثمائة وأخباره دونت فيها عدة

دواوين * وقسم بالامر بعده ابنه عبد الملك واقره ششم على ما كان عليه
 ابوه فاقسم سبع سنين ومات ولم عدة وقائع مع العدو وكان النصر له
 وسماه الخليفة المحجب المظفر وقسم بالامر بعده اخوه عبد الرحمن فعامل
 الاجناد والناس بالكذب وطلب من الخليفة ان يجعله ولي عهد ففعل ذلك
 فلما علم بنو امية قداما عليه وقتلوه وقتلوا هشاما الخليفة معه وقيل ان
 الخليفة اختفى ولم يظهر بعد * ولما سمع اهل الجزيرة ثار كل عامل ببلده فثار
 زيري بن زيري بتاحية غرناطة وعباد القاسمي باشبيلية واسماعيل بن ذي
 النون بطليطلة وابن هود بسرقسطة وابن لافطس ببطليوس وابن صمدح
 بالميرية وابن مجاهد بدانية . هؤلاء مشاهيرهم . وانتطع اسم الخلافة واشتعل
 الحرب بين الامراء وتفرقت كلمتهم وحارب بعضهم بعضا وكثرت الفتن
 وانبط العدو الدين في الجزيرة وبلغ منهم كل مبلغ ما بين قتل واسر وءاخر
 الامر القى صاحب قشتالة على اهل الجزيرة الجزية فادوها . وانما اهلكهم
 التحاسد واختلاف الكلمة وها نحن في طرف من ذلك حانا الله من هذه
 الفتن بكرمه ءامين . ولما ضعف الطالب والمطلوب من لاندلس وظهر الفتن
 ابن فردند قوي مزمر وطبعه في البلاد وصايق على اهلها وكان يغري بعضهم
 على بعض ويعين هذا على هذا ويستاصل اموالهم وهم مع ذلك منعكفون
 على لانهمك والمجاربة . وتسمى كل واحد منهم بغير اسمه كالمقتدر والمعتصد
 والشركل والموتس وغير ذلك . وكان ابن عباد ارسل الى الفتن رسولا للهامة
 فلاطفه الرسول بالكلام واخذ يعتذر عن صاحبه فقال له الفتن لعنه الله
 — كيف يحق لي ان ابقي هؤلاء الحمقا يعني رؤساء الاندلس وكل واحد
 منهم تسمى باسم خليفته وهو لا يدفع عن نفسه ضرا ولا نفعا — * قلت
 رحم الله ابن رشيق حيث قال *

مبا يبخني في ارض اندلس سماع مقتدر فيها ومعتصد

القاب ساطنة في غير مملكة كاهر يحكي انتفاخا صورة لاسد

ولم يزلوا في شرهم الى ان تمم شملهم * ويحسكي ان بعض رؤساء

الاندلس اهدى للفنش هدية قيمتها مائة الف دينار فاعوضه عنها فردا
فكان يفتخر بذلك الفرد اعادنا الله من الخذلان * واول مدينته اخذها عدو
الدين طليطلة سنة ثمان وسبعين وأربعمائة * ولما ملك طليطلة تسمى
لعه الله بالانبراطور ومعناه كالخليفة عند المسلمين واقسم لا يدع إلا من
يدخل تحت طاعته * ولما رأى روضاء الاندلس أن لا طاقة لهم بمداخنته
بعثوا إلى امير المؤمنين يوسف بن تاشفين ودخلوا تحت طاعته فنصرهم على
عدوهم وجلا عنهم ما كانوا فيه وسيأتي أن شاء الله تعالى * وممن
الملوك الذين كانوا بالمغرب وهم الفواطم الذين يقال لهم الادارسة قاموا
بالمغرب وامتدت دولتهم ولكن لم يبلغوا درجة الخلافة * فولهم ادريس بن
عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
بسريع بمدينة ولى في رمضان سنة اثنتين وسعين ومائة وامتقام له
الامر وكثرت جوعه وذلك في خلافة هارون الرشيد فيقال انه بعث إلى
عامله بالقيروان ابراهيم بن الاغلب فبعث إلى ادريس بن اغتالمة ومات
مسموما وكانت أيامه خمس سنين ومئة أشهر * وبسريع ولده ادريس
ابن ادريس وكان خلفه في بطن امه ولما كبر استقل بالامر وكانت له
عدة غزوات وهو الذي بنى مدينة فاس واسسها وصارت دار ملك الادارسة
وتوفي سنة ثلث عشرة ومائتين وعمره ثلثون سنة * وتولى ابنه محمد بن
ادريس بن ادريس بعد وفاة ابيه وقسم البلاد بين اخوته وتوفي في ربيع
الاول سنة احدى وعشرين وكانت أيامه ثمانية اعوام * وقسم
بالامر بعده الامير علي بن محمد بن ادريس بن ادريس وسنه يوم بربع
تسعة اعوام بوصيته من ابيه لما يعرف فيه من الذكاء فسار بسيرة ابيه
وجده في اقامة الحق وتوفي في رجب سنة اربع وثلاثين ومائتين فكانت
أيامه ثلث عشرة سنة * وعمره لاخيه يحيى بن محمد بن ادريس
فسار بسيرة اجداده وكثرت العبارة في أيامه وقصده الفاس من الافاق
وبنى في أيامه جامع القرويين بفاس ومات من كمد اصابعه على حادثة

جرت له بطول شرحها * وقام بالامر بعده الامير علي بن عمر بن ادريس
بعد وفاة ابن عمه وقام عليه عبد الرزاق الخارجي فاقتتل معه فبصر
عبد الرزاق عليه وفر علي المذكور امامه وملك عبد الرزاق مدينة فاس
فكتب اهل البلد الى يحيى بن القاسم بن ادريس فقتل عبد الرزاق
واستقل بملك فاس وتم له الامر الى ان خرج لبعض اعدائه فمات *
وتسلسل ابن عمه يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس وكان اطيهم
ذكورا واعواما سلطانا وعدلا وكريما حازما بطلا ذا صلاح ودين ولم يزل على
ملكه الى ايام مصالة قائد الشيعة سنة خمس وثلاثمائة فحاصره بفاس بعد
المدافعة وصالحه عن مثل وبيع لعبيد الله الشيعي * وفي سنة تسع
وثلاثمائة عاد مصالة للمغرب فسعى يحيى لمصالة فارتقى بالمحديدي وغذبه
وسبي امواله ونفاه الى مدينة اصيل واستولى على فاس ربحان الكناسي
ثلاثة اعوام وقام عليه الحسن بن محمد بن القاسم بن ادريس بن ادريس
سنة عشر وثلاثمائة ومات في قتاله ابن ابي العافية لما تغلب على مدينة
فاس وخطب لبني مروان ولما قدم ميسور الفتي قائد الشيعة فر ابن ابي
العافية وتبعه ميسور بن معه وكانت بينهما حروب الى ان قتل ابن
ابي العافية ورجعت بنو ادريس الى غالب بلادهم ما عدا فاس وتمسكوا
بدعوة الشيعة * وتولى القاسم بن محمد بن القاسم بن ادريس الملقب بكنون
وتوفي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة * وتولى ولده احمد بن القاسم كنون
وكان صالما فقيها وكان مائلا الى بني مروان فقطع دعوة العبيديين ودخل
لانندلس بقصد الجهاد فمات هناك سنة ثلث واربعين وثلاثمائة * وتولى
احوه الحسن بن كنون وهو آخر الادارسة ولا زال الامر لبني مروان الى
ايام جوهر لما دخل المغرب فبايع الحسن لبني عبيد * ولما رجع جوهر الى
افريقية نكث ورجع الهروانيين الى ايام بلقين عاد الى بني عبيد واخرا
سلب ملكهم ومات شريدا وبم انقرضت دولة الادارسة من المغرب *
وابم ملكهم تقرب من عاتق سنة وبلادهم من سوس لافصى الى وهران وقاعدة

ملكهم مدينة فس وكانوا يكابدون ملكتي هاشم وامية * وتسمى كنه
 بعدهم يقرن وزناتة من بلاد المغرب وخطب بها للروانيين والله اعلم
 بذلك * واما الذين تم لهم كلام وبلغوا مبلغ الخلفاء هم الذين يقال لهم
 المرابطون والمسلمون قبيلة من البربر يقال لها المتونة ولتونة فخذ من صنهاجة
 ولد صد شمس بن وائل بن حير حلفهم افریتش لما دخل المغرب فاستوطنوا
 افریقیة وصنهاجة وكنامته من دهاة البربر والبربر قبائل لا تحصي واكثرهم
 صحراويون وبلادهم في القبلة مسيرة ستة اشهر طولا واربعة اشهر عرضا ولا
 يعرفون حرث ولا زرع ولا فواكه وعيشتهم اللحم واللبن يقوم احدهم طول حياته
 لا ياكل طعاما واكثرهم على السنة والجماعة * قلت والله اعلم هم الذين يقال
 لهم التواوكت في هذا الزمان ويجاهدون السودان * واول من تملك منهم
 بالصحراء تيولان ابن تيكلان ملك الصحراء باسرها ودانت له ملوك
 السودان وادوا له الجزية وكان يركب في مائة الف نجيب وكان في
 ايام عبد الرحمن الداخل ودامت ايامه وعاش ازيد من الثمانين وتوفي
 سنة اثنيتين وعشرين ومائتين * وتسولى حفيدة الافرين بن نصير بن
 فلويدون فاقام بامر صنهاجة وتوفي سنة سبع وثمانين فكانت ايامه خمسا
 وستين سنة * وقسم من بعده بامر صنهاجة نعيم بن لاثير الى سنة
 ست وثلاثمائة فقام عليه اشياخ صنهاجة فقتلوه وتمزق شملهم ولم يجتمعوا
 على احد نحو مائة سنة وعشرين سنة الى ان قام فيهم ابو عبد الله محمد بن
 تيفات الهنوني فاجتمعوا عليه وقدموه وكان من اهل الدين والفضل والصلاح
 والحج فاقام ثلثة اصوام واستشهد بغارة وهم قبيلة من السودان على دين
 اليهودية وقدموا بعده صهري يحيى بن ابراهيم الكدالي فاقام على رياسته الى سنة
 سبع وعشرين واربعمائة فارتحل الى الحج واستخلف مكانه ولده ابراهيم
 ابن يحيى على قبائل صنهاجة يدبر حروبهم مع اعدائهم ولما قصى يحيى
 حجه قفل الى المغرب فاجتاز بالقيروان فلقى فيها الشيخ الولي اب عمران
 موسى ابن ابي حجاج الفسي بدرس العلم فجلس اليه وسمع منه فرأاه ابو

عمران سجد للخير فسأله عن حاله وعن بلاده فأخبره عنها وعن أهلها . فقال
وما ينتقلون من المذاهب فقال انهم قوم غلب عليهم الجهل فسأله هل يعرف
شيء من الكتاب والسنة فلم يجد منبده شيئا إلا انه حريص على التعلم صادق
النيت فقال له الشيخ وما يمنعك من ذلك فقال يا سيدي غلب منا الجهل
وليس ههنا من يرشدنا ولو وجدنا من يعلمنا السنة والقرآن لسارعنا اليه
فان اردت الثواب فابعث معي من طلبتك من يعلمنا ولكم كاجر فاستدب
الشيخ طلبته فلم يجد فيهم احدا فقال الشيخ اني اعرف رجلا بسند نفيس
من الصامدة تقيا صالحا لثيني هنا واخذ مني علوما كثيرة اسمه وهج بن زلوا
العظمي اكذب اليك كتابا اليه يبعث معك احدا من طلبته فكتب له الشيخ
كتابا فسار يحيى بن ابراهيم الى الشيخ وهج ونذوله كتاب ابي عمران فاستدب
لذلك رجلا من طلبته يعرف بعبد الله بن ياسين الجزولي * وكان من
هذاق الطلبة ومن أهل الدين والعلم والصلاح فخرج مع يحيى الى بلاده فلما
وصلوا تلقاهم قبائل كدالة وفرحوا بهم . ولما نزل ابن ياسين وحل بساحتهم
راى المنكرات فاشية وان الرجل منهم يتزوج ما شاء من النساء فانكر عليهم
ذلك . وصار يعلمهم الكتاب والسنة وينهاهم عن المنكرات فلما شدد عليهم
نبرعوا منه ونافروا ومع ذلك لم يجد عندهم من الدين إلا الشهادتين . فلما
راى عبد الله بن ياسين اعراضهم وتبعهم اهواءهم اراد ان يرتحل عنهم . فقل
له يحيى يا سيدي انما جئت بك لخاصة نفسي وما علي من هل من قومي
ولكن ان كنت تريد لآخره فهذه ههنا جزيرة في البحر اذا حصر الماء عنها
دخلنا اليها على الاقدام فيها الحلال المحض من الشجر والسمك فدخل اليها
وتعبد فيها الى الموت فقال له نعم فدخلاها ودخل معها سبعة انفار من
كدالة وبنوا بها رابطة فاقام معه اصحابه يتعبدون فتسامع الناس بهم
وبخبرهم وانهم يطلبون الجنة والنجاة من النار فكثروا وادبوا عليهم واخذ عبد
الله يعلمهم القرآن وشرائع الاسلام ويرغبهم في ثواب الله لى ان تمكن من
قلوبهم فسموا بالمرايطين للازمهم رابطة ابن ياسين فلما اجتمع عنده الف

رجل قام فيهم خطيبا ووعظهم وحذرهم عذاب الله وقال لهم لان يجب عليكم قتال من خالفكم فقالوا له مرنا بما شئت فقل لهم اخرجوا لتبائنكم وادعهم الى التوبة فمن استجبوا والّا فقاتلوهم فخرج بهم الى قبايلهم وانذرهم وحذرهم سبعة ايام فلم يرجعوا عن فيهم فقاتلوهم واول من قاتلوا منهم كدالة فقتل منهم خلق كثير واسلم الباقون ثم لمتونة واخذ يغزوهم قبيلة بعد قبيلة الى ان هدام الله واجتمعوا على الكتاب والسنة وما يجب عليهم وقسم في القتلى على المرابطين وجعل بيت مال على مقتضى الكتاب والسنة فتسامع به اهل الصحراء وانتشر عدله في بلاد السودان * وتوفي الامير يحيى بن ابراهيم الكدالي فقدم عبد الله بن ياسين يحيى بن عمر اللثوني ليقوم بحروبهم وابن ياسين هو الامير على الحقيقة يامر وينهى ولما قدم ابن ياسين يحيى وكان من اهل الدين والصلاح امره بجهاد العدو * ولما كانت سنة سبع واربعين واربعمئة بعث فقهاء سجلماسة ودرعة الى ابن ياسين يشككون اليه جور عاملهم فغراهم فوجد عاملها قد استعد له فكانت بينهما حروب انتصر فيها المرابطون وغنموا غنما عظيمة وقسمت الغنائم واخذ ابن ياسين الخمس ومهد البلاد وجعل عليها عاملا وابطل المكوس وغير المنكرات ورجع الى الصحراء * ومات الامير يحيى فقدم عليه عبد الله بن ياسين اخا الامير يحيى وهو الامير ابو بكر بن عمر اللثوني وكان صالحا متورعا فغزا بلاد المصامدة والسودان ففتح بلادا كثيرة * وبعث عبد الله بن ياسين العمال الى ما تحت يده وامرهم بالكتاب والسنة وغزا بالمرابطين مجوس بني غواطة وهم قبايل كثيرة على مذهب صالح من طريف لما ادعى النبوة في زمن هشام بن عبد الملك وشرع لهم دين وشرائع سقيمة لعنه الله تركناها خيفة التطويل فقتل بين الفريقين خلق كثير واستشهد عبد الله بن ياسين في تلك الحروب رحمه الله تعالى سنة احدى وخسين واربعمئة * وكان رحمه تعالى شديدا الورع لم ياكل من لحومهم وانما ياكل لحم الطير وكان دينيا حرا رحمه الله تعالى * واستقل بالامر ابو بكر بن عمر اللثوني وتصادى

في غزوات بني غوطته فقتلهم واستصلحهم ففروا بسن يديهم للصحرَاء
 وتبعهم إلى أن احتوى عليهم وأسلفوا أسلما جيدا * وكان أبو بكر ديننا
 لا يستحل دماء المسلمين فخرج إلى الصحراء لقتال من بها من كفار
 السودان واستخلف على المغرب عنه يوسف بن تاشفين فخرج أبو بكر
 للصحراء وبقي يوسف بن تاشفين بنصف الجيش يهدد البلاد واستقامت
 أموره وذلك سنة ثلث وخسين وأربعمائة وفتح غالب بلاد المغرب وكثرت
 جيوشه وتوفي الأمير أبو بكر في الصحراء شهيدا سنة ثمانين وأربعمائة *
 واستبد الأمير يوسف بملك المغرب كله لا ينازعه منزع ودانت له البلاد
 وكان على جانب عظيم من الدين ولباسه الصوف ولم يلبث إلى زخرف
 الدنيا ولم يأكل إلا الشعير والبن لابل ولحومها مع ما أعطاه الله من الملك
 ومملك جزيرة لاندلس والسودان والمغرب إلى جزائر بني مرزقة ولم يجر
 في بلاده مدة حياته مكس ولا مأواه خارج عن الشرع وخطب له على
 ألف وتسعمائة منبر وبني مدينته مراكنش وجعلها مستقرا للكل * ولما شاع
 ذكوره في الوجود بعث إليه أهل لاندلس لنصرتهم لأن عدو الدين تغلب
 على أهل الجزيرة وكان رسولهم المعتمد بن صاد فلقبه في أحواز طنججة فشكا
 إليه بحال أهل الجزيرة وما عليها من الخوف والذل فومده بالمسير إليهم
 وبسمعت إلى جميع أماله يرغبهم في الجهاد ويستفزهم معه فاجتمع له
 خلق عظيم ودخل إلى لاندلس بجيوش الرابطين بقصد الجهاد سنة تسع
 وسبعين وأربعمائة وكانت له بها الواقعة المشهورة باللاقية * وكان عدد
 سكر الفتنس لعنه الله فيم نقل ثمانين ألف فارس ومائتي ألف راجل فلم
 ينجم منهم إلا الفتنس ومعهم أربعمائة منقلون بالجراح ولم يدخل إلى بلد
 قسنالة إلا في خمسين فارسا وبعث يوسف إلى جميع البلاد بهذا الفتح وكان
 يوم الجمعة ثاني عشر رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة وفيه يقول من قصيدة
 أم نعلم الروم إذ جاءت مصممة يوم العروبة أن اليوم للعرب
 والعرب تسمي يوم الجمعة العروبة وانصرف راجعا إلى العدو ودخل إلى

لاندلس مرة أخرى في سنة احدى وثمانين واربعمائة فلقاه ابن عماد
 بنو دابة تجمّل لليرة فعبث في بلاد الكفرة وحرق وخرب ورجع إلى
 العدو فاقام إلى سنة ثلث وثمانين واربعمائة ثم دخل لاندلس ايضاً
 برسم الجهاد فلم يلقه احد من رؤسائه لاندلس وهما بغدرة فظن يوم وكان
 عهدهم ان لا يغدر بهم * فلما احس بكرهم استفتى ملأءهم فكلهم اخاء
 بطلهم اي خلع امراء لاندلس وقالوا ليوسف نحن خصماؤك عند الله لان
 هؤلاء لا نجوز طاعتهم لما ارتكبوه من الفجور وانتهاك المحارم وصيغوا غالب
 البلاد فتغير عليهم يوسف وتخلعهم واحدا بعد واحد واخذ ابن عماد اسيراً
 وسجنه في اقفال إلى ان مات في السجن ويحكى ان يوم موته نودي
 عليه الصلاة على الغريب * وروي ان بعض بناته تغزل بالاجر في بيوت
 بعض خدامهم وابن ابنه يصرم النار في حانوت صانع بعد ما سكن ملكا
 على اشبيلية وقرطبة ودام ملكهم بها نحو ثمانين سنة فسبحان من لا يزول
 ملكه لا يسال عما يفعل وهم يسالون * ولما استولى المغرب والاندلس ليوسف
 ابن تاشفين تسمى بامير المسلمين وضرب الدرهم والدينار باسمه ونقش
 في الدينار - لا اله الا الله محمد رسول الله - وتحت ذلك - امير المسلمين
 يوسف بن تاشفين - وفي الوجه الاخر - ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن
 يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين لا امير عبد الله امير المؤمنين العباسي
 ولا زال يبحث جيوشه إلى لاندلس متفقدا لاجوالها إلى ان مات سنة
 خمسائة وسمائة سنة رجه الله تعالى * واستمحل بالامر بعده ابنه
 امير المؤمنين علي بن يوسف بن تاشفين ببيع بمراكش يوم وفاة ابيه
 اول المحرم سنة خمسائة وتسمى بامير المؤمنين وملك جميع بلاد المغرب من
 بجاية الى السوس الاقصى وبلاد القبلة من سجلماسة إلى جبل الذهب
 من بلاد السودان وجميع بلاد لاندلس وملك ما لم يملكه ابيه وخطب له
 على الف منبر وثلاثمائة منبر * واقام العدل وتولى الجهاد وسار سيرة ابيه
 وهدية وفوض احكام البلاد الى القضاة ودخل لاندلس سنة ثلث وخمسمائة

فأقام شهرا على طليطلة * وكان في عسكره مائة ألف فارس ففتح عدة
قلاع ونكس فيها الروم وفعل بهم العجائب ورجع إلى المغرب * ودخل
إلى لاندلس مرة ثانية بجيش لا تحصي فنزل على قرطبة ونقذ أحوالها
ودلى ابن رشد القضاة وغزا عرب لاندلس فشر أمام الروم وتحصنوا
بقلاعهم وقتل وأمر منهم خلقا كثيرا لا يحصى ورجع إلى العدو سنة
أربع عشرة وخمسة * وفي هذه السنة ظهر لامام المهدي محمد بن
تومرت ونزل مراکش وكسر عدة جيوش لعللي بن يوسف * ومسن
هذه السنة أخذ امر المرابطين في التهتير ودامت أيام علي بن يوسف في
حروب مع جيش المهدي إلى أن توفي سنة سبع وثلاثين وخمسة *
وتولى بعده ابنه تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين بوع بعد وفاة
والده وجيز الجيش لقتال عبد الوص وكابد في دولته أهوالا شاقة ولم
يصف له الدهر بسوء لأن دولته عبد الوص في الأقبال ودولته أخذت في
الادبار ولم تكن له أخبار يذكر بها كمثل من تقدمه من أهل بيته إلى أن
توفي رحمه الله وهو في مكافحة أعدائه * وهذه الدولة الهتونية ويقال لها
دولة المرابطين ودولة الملثمين أيضا كانت من أجل الدول بالمغرب وملكت
من البلاد ما ذكرنا وما لم نذكره خشية الإطالة وحسبت دولا كانت قبلها
بالمغرب مثل مغراوة وبني يفرن ملوك فاس ودولة القيام بالاندلس ويقال
لهم ملوك الطوائف كتابين عباد وأعماله وأحسن أيامهم أيام يوسف بن
تاشفين * ونأهيك أن أمام عصره وهو الشيخ الأكمل صاحب العلوم النفيسة
أبو حامد الغزالي كان عزم على دخول المغرب في أيام يوسف بن تاشفين
فلما وصل لاسكندرية بلغه موت أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فرجع
إلى المشرق هذا لما يسمع الشيخ عنه من الصلاح رحم الله الجميع * أمين *
وقسيل أنه خرب ملك لموت بدعاء الشيخ الغزالي وذلك في أيام علي
ابن يوسف دخل كتاب أحياء علوم الدين للغزالي إلى المغرب وظهر عند
الناس وراوا فيه تشديدا فهجروه وانكروا علماء بتولته لأنهم كانوا غير عالمين

بعدم لا صول فبلغوا في الانكار فيه الى ان افعلوا بحرقه وتمزيقه خييب
 وجدوه ونطلبوه عند الناس فمن افكرة حلقوه بالايمان المغلطة كالطلاق وغيره
 وليس باغ الشيخ الغزالي ذلك دما عليهم بان قال مرق الله مقلهم وكان
 اذ ذلك في مجلسه محمد بن تومرت فقال على يدي يا سيدي فقال وعلى
 يديك فكان كذلك وانقرضت دولتهم كعادة الدهر ما عز دولة إلا
 واعقبها بالقهر والملك لله وحده لا اله غيره ولا معبود سواه * وممن
 الدول التي كانت بالمغرب الدولة الموحديّة والخلافة المومنيّة واصل مبدؤها
 الامام المهدي واوّلها عبد المؤمن بن علي وبنيه الى ان بلغت لبني
 حفص وانا اذكر طرفا من ذلك بعون الله سبحانه وتعالى * ذكر
 المورخون ان المهدي اسمه محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن
 خالد بن مسلم بن عدنان بن شعبن بن صفوان بن جابر بن يحيى بن
 عطاء بن رباح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن
 ابي طالب كرم الله وجهه * وقيل هو دعي في هذا النسب ذكره ابن
 مطروح وقال هو رجل من الصامدة والله تعالى اعلم * واول امره كان
 متشككا مشتغلا بطلب العلم فرحل الى المشرق ولازم ابا حامد الغزالي
 ثلث سنين وحصل عليه علما عظيما * وكان ابو حامد اذا رأى ابن تومرت
 يقول لا بد لهذا البربري من دولة فذكر بعض الطلبة لابن تومرت مقالته
 الشيخ واخبره ان ذلك عند الشيخ في كتاب له فلزم ابن تومرت ابا حامد الى
 ان اطلعه على ذلك فتغل الى المغرب سنة عشر وخمسة فها اجتاز ببلد إلا
 وغير فيه المنكر ويظهر الزهد في الدنيا والامر بالمعروف والنهي عن المنكر
 ويدرس العلم الى ان وصل الى افريقية والى المغرب وكان اوحد عصره في
 علم الكلام فلما بلغ الى بجاية وقيل تلمسان لقيه عبد المؤمن بن علي فانضاف
 الى خدمته واطلعه ابن تومرت على ما في مراده فبايعه على موازنته في الرخاء
 والشدة فلما وصل الى فاس قام يدرس العلم في بعض مساجدها الى سنة
 اربع عشرة وخمسة فارتحل عنها الى مراکش فقصده مسجدا يروي اليه

وصار يمشي في الأسواق ويغير المنكر ويكسر الزامير فبلغ ذلك لعلي بن يوسف
فامر باحضاره فرأى نقشه فسأله عن فعله فقال له - ايها الملك انما انا
رجل فقير وشيئ منكر وانث اولي بذلك لقدوتك عليه - ووعظه وحذره - فلما
سمع الامير علي مقالته جمع له الفقهاء واشياخ المتوفة وامرهم بمناظرته فبكت
الجميع وكان الغالب عليهم علم الحديث وليس لهم علم بالاصول والمجادل
فلما ابكتهم لبسوا عليه وقالوا هذا رجل خارجي فامره الامير بالخروج من المدينة
فخرج الى الجبالة وبني خيمة بين القبور وقعد فيها واتته الطلبة يقرءون
عليه وكثرت تلاميذه وامتلأت قلوبهم بمحبته واعلم الخواص منهم بما
يريد واخذ يطعن في دولة المرابطين وانهم كفرة مجسمون وانهم هو الامام
المهدي المنتظر فباعه على ذلك الف وخسمائة رجل فبلغ خبره الى امير
المسلمين علي بن يوسف فبعث اليه وقال له - اتق الله في نفسك الم انهك
من هذا الجمع - فقال له - ايها الامير انا امتثلت امرك وسكنت بين القبور
فلا تسمع لاقوال المسلمين - فاعلم له في القول واشهره ولم يخرج من عنده قال
له وزيره - هذا الرجل لم يرد بك الا شرا اقبله والا فخلده في السجن وان
ابقيت منه لسمعك طيلا يسمع به في الخافقين واظن هذا هو صاحب
الدرهم المربع - فبدأ الامير المسلمين فيه وارسل خلفه من يوثقه فسمع بعض
تلاميذه فاتي حتى قرب من المهدي ونادى برفع صوته - يا موسى ان الله
ياتمرون بك ليقتلوك - ففطن المهدي وخرج على وجهه الى ان وصل
تينمال في شهر شوال سنة اربع عشرة وخسمائة فالحق به اصحابه العشرة
عبد المؤمن بن علي - وابو محمد البشير - وابو حفص عمر بن يحيى
الهندستاني وهو جد الخنصيين الذين ملكوا تونس فيما بعد - وابو حفص
عمر بن علي - وسليمان بن خلوف - وابراهيم بن اسماعيل الهرجي -
وابو محمد عبد الواحد - وموسى بن ثمار - وابو يحيى بن مكيت -
هؤلاء هم السابقون لدعوته فبايعوه على الرخاء والشدة واقاموا بتينمال الى
رحب سنة خمس عشرة وخسمائة فاجتمع عليه خلق كثير ولما رأى

ذلك أظهر امره وبأيعوه بيعة رضى * وأول تن بيعه أصحابه العشرة
ثم بايعه أصحاب نينمال وسائر القبائل فارسل من أصحابه إلى البلاد
القاصية ودعوا الناس لبيعه وذكروا لهم فضائله فدخل الناس في طاعه
واتوه من كل فج عميق وأعلمهم أنه هو الأمام المهدي المنتظر وجعل لهم
توحيداً بلسان البربر وسعى الذين دخلوا في طاعه الموحدين * ولا زال
يخضعهم بكبره إلى أن تمكن من قلوبهم فاجتمع عنده أزيد من عشرين ألف
فخطب بهم وندبهم لجهاد متونة فبايعوه على الموت فانكتب حهم عشرة
آلاف وبعثهم إلى مدينة أعمدة فأنصل الخبير بامير المسلمين فبعث اليهم
جيش فهزمه أصحاب المهدي واتبعوه بالسيف إلى أن أدخلهم مراکش
وأنو بغنائهم فقسمت بين الموحدين . وانتشر خبر المهدي في جميع بلاد
المغرب والاندلس ونمادى في قتل من خالفه وجهاز جيشاً آخر فحاصروا
مراكش ثلثة أعوام وأرحل عنه وذلك من سنة ست عشرة إلى سنة تسع
عشرة * ولما رجع إلى تينمال استراح بها وخرج إلى أعمدة وسائر من خالفه
إلى أن دانت له البلاد وبعث إلى مراكش جيشاً آخر وقدم عليهم عبد
المومن بن علي وأبى محمد البشير وجعل عبد المومن أمام الصلاة فالتقى
بهم جيش امير المسلمين علي بن يوسف فهزموه إلى أن أدخلوه مراکش
وغلاق الأبواب في وجوههم فحاصروه ثلثة أيام . ورجعوا إلى تينمال فخرج
المهدي إلى لغائهم وفرح بهم وعرفهم بما يكون لهم من النصر والفتح ومدة
ملكهم وأعلمهم أنه يموت في تلك السنة ثم بدأ به مرضه الذي مات فيه
وقدم عبد المومن للصلاة وتوفي في شهر رمضان سنة أربع وعشرين وخمسائة
هذا ماخص خبر المهدي ولو تتبعنا خبره لطال الكلام وإنما أتينا بهذا القدر
ليتمهد لآمره إلى دولة بني حفص . وللناس في أخبار المهدي مدة دواوين بين
مكترين ومختصرين ومقلين . والمهدي من مهد الملك الأخيرة وبأه بائمه
وشرة وكان حصوراً فيما قيل عنه وفخذهاء ملصقين إلى ركبته ولا مركب
على الدابة إلا متعزماً والله أعلم بحقيقة امره واستخلف بعده عبد المومن .

الخسبر عن خلافة عبد المومن بن علي الكوفي الرناني

هو ابو محمد عبد المومن بن علي الكوفي الرناني كان ابوه نجارا يعمل النوافح
وعبد المومن تطلب العلم من صغره ولازم المسجد لى ان ابصل بالمهدي
فصممه اليه لما اراد الله سبحانه به * بويج بعد وفاة المهدي بيعة خاصة
بايعه عشرة من اصحاب المهدي لما يعرفون من سجيته وتقدير المهدي
له في حياته * وبسويج البيعة العامة سنة ست وعشرين وخسمائة
ولم يتخلف عنه احد * وفي ايامه انقطعت دولة لمونة من المغرب واول
فتحهم بلاد تدلا خرج اليها من تينمال في ثلثين الفا من الموحدين ففتحها
وسبى ثم غزا درعة ففتحها وبلاد فزان وغيانة ولا زال يفتح بلدا بلدا وقبيلة
قبيلة ولم نزل الحرب بينه وبين علي بن يوسف الى ان مات علي وتولى
بعده ولده تاشفين فقامت بينهما الحرب وجرت بينهما وقائع عديدة وسار
عبد المومن الى تلمسان فسبقه تاشفين اليها فالتى عبد المومن اليها وحاصره
بها وخلف جيشا عنها ورحل الى وهران فخرج تاشفين يخلعه ليدرك
وهران فمات تاشفين في تلك الخطرة وفتح وهران واخذ تلمسان سنة اربعين
وخسمائة * وبعث الى لاندلس جيش ففتحوا ما هنالك وبيعه اهل
لاندلس وملك مدينة فاس * وفي سنة احدى واربعين وخسمائة ملك
طنجة وفيها ملك مدينة مراكش * وفي سنة اثنتين واربعين وفد اليه اهل
اشبيلية بالبيعة وفيهم ابو بكر بن العربي فسأله عبد المومن هل راي المهدي
عند الشيخ ابي حامد الغزالي قال لا لقيته ولكن سمعت به فقال له فب
كان ابو حامد يقول فيه قل كان يقول لابد لهذا البربري ان يكون له
شان * وفي سنة ثلث واربعين وخسمائة دخل عبد المومن سجلماسة
واتن اهلها ورجع الى مراكش ثم غزا بني غواطة فهزموه ثم كانت الكرة عليهم
فاجل عليهم السيف حتى لم يسق منهم الا من لم يبلغ الحلم وقام عليه
اهل نسبته وخلعوا طمسته وذلك براي القصي عياض وبايعوا لابن غانية
فتحرك عبد المومن وقاتل اصحاب ابن غانية وهزمهم فلما علم اهل سبتة

كاتبوا عبد المومن وطلبوا منه الالمن فسامنهم وعفا عنهم ومن القاصي جيلهم
وامره بسكنى مراکش وفيها فتحت مكناسة بعد محاصرتها سبعة اشوام
ودخلها بالسيف * وفيها فتحت قرطبة واخذها من يد المتوفى ومدينة
جيان * وفي سنة اربع واربعين وخسمائة اخذ مدينة * وفيها فتحت
مدينة بجاية ملك بني جاد بعد محاصرتها وسزل صاحبها بالامان فانه
ونقله باهله الى مراکش * فسلط الذي اخذت منه بجاية
اسمه يحيى بن العزيز والذين ملكوا بجاية اولهم جاد بن يوسف بلكين
الذي تقدم ذكره عند ذكر صنهاجة وجاد هذا قلم على ابن اخيه باديس
وكانت بينهم ملاحم واستقل بعد ذلك بالبلاد الغربية واتخذ بجاية دار
ملك فبقيت في يد بنيهم الى زمن عبد المومن واولهم جاد كما ذكرنا ثم
ابنه القائد بن جاد ثم ابنه لآخر محمد بن جاد ثم بلكين بن محمد بن جاد
ثم الناصر بن علاء الساس بن جاد ثم ولده المنصور بن الناصر ثم ولده
باديس بن المنصور بن الناصر ثم اخوه العزيز بن المنصور ثم ولده يحيى
ابن العزيز وهو اخر ملوك بني جاد وانقرضت دولتهم وملك عبد المومن
جميع ما بايديهم مثل بونة وجزائر بني مرغنة وهي مدينة الجزائر
اليوم وقسطينة وغيرها ورجع الى مراکش * وفي سنة احدى
وخسين وخمسمائة بايع له اهل عنماطة * وفي سنة ثلث وخسين
وخمسمائة تحرك امير المومنين عبد المومن بن علي من مدينة مراکش
وقصد افريقية بامم لا نحصى فوصل الراب وبلاد افريقية فقتل بن
عصى واتن بن استسن الى ان وصل مدينة تونس فحاصرها ثلثة ايام
وارتحل عنها وترك جيشا يحصرونها وسر الى القيروان ففتحها وفتح سوسة
وصفاقس وارتحل الى المهدية فحاصرها سبعة اشهر وضايق عليها برا وبحرا
ونصب عليها المجانيق وجعل قناتها نوبا ليلا ونهارا حتى فتحها
وقتل خلقا كثيرا من النصارى الذين كانوا فيها ورد اليها صاحبها
الحسن بن علي بن يحيى بن تميم الصنهاجي الذي اخذت منه المهدية

ويحكى لما ان قر منها قصد ابن عمه ابن جند فلم يلقى عنده مراده وهم
بالتقص عليه ففر منه الى الجزائر واستوطنها الى ان مات عبد المؤمن لما قصد
بلاد المغرب فاقبل به الحسن وبايعه وسار معه الى ان اخذ المهدية فرده
اليها وخطب له بها * وفتح مدينة تونس وخطب له بها وفتح
جميع بلاد افريقية من برقة الى تلمسان ولم يبق له منازع وفرق عدله
وقضاة * وقبيل فتح المهدية كان سنة خمس وخسين والله اعلم . وفيها
امر عبد المؤمن بن علي بتكسير بلاد افريقية من برقة الى السوس لاقصى
قولا وعرضا بالفراخ والاميال واسقط الثلث من التكسير في مقابلة الجبال
والانهار والسباح وما بقي قسط عليه الخراج والزمن كل قبيلة قسطها من
الزرع والورق * وهو اول من احدث ذلك بالمغرب وارتحل عن
افريقية الى المغرب واخذ من كل قبيلة من عرب افريقية الفا وادخلهم
الى المغرب بعيالهم * وفي سنة ست وخسين وخسمائة جاز عبد المؤمن
من طنجة الى لاندلس مشرفا على احوال البلاد ورجع الى مراكش * وفي
سنة سبع وخسين وخسمائة امر بانشاء الاساطيل في جميع بلاده واراد غزو
بلاد الروم برا وبحرا فاجتمع له قريب من سبعمائة قطعة وامر بضرب
السهام في جميع عمله فكان يضرب له منها في كل يوم عشرة قناطير *
واستجلب لاجناد والطوعة من سائر عمله يستفروهم للجهاد فاجتمع له
ما لم يجتمع لغيره من بلاد افريقية والمغرب والقبائل واجتمع له من
الموحدين وقبائل زناتة ومن العرب ازيد من ثلثمائة الف فارس ومن جيوش
الطبيعة ثمانون الف فارس ومائة الف راجل فصاقت بهم الارض * ولما
استوفت له الجنود وتطاولت اليه الوفود ابتداء المرض الذي توفي منه
في جاني الاخرة سنة ثمان وخسين وخسمائة وعشرة ثلث وستون سنة
وقبيل اربع وستون وايام خلافته ثلث وثلثون سنة وخمسة اشهر
فصالح الحى الدائم الذي لا يموت ودفن بآزاء المهدى في تينمال *
وكان رحمه الله فقيها فصيحا عالما بالجدل والامول حافظا لمحدث النسي

صلى الله عليه وسلم مشاركاً في علوم كثيرة الدينية والدنيوية وعلم البيان
واللغة والأدب والتاريخ وعلم القراءات نافذ الرأي ذا حزم وسياسة وشجاعة
واقدام ميمون النقيبة لم يقصد بلداً إلّا وفّقه * وكان سخياً كريماً للأخلاق
محبا لأهل العلم مقرباً لهم ولم يشعر جيداً واعتدحه بعض الشعراء ولظنه من
بلد بنزرت بقصيدة أولها :

ما هز عطفه بين البيض والأسل مثل الخليفة عبد الرحمن بن علي
فلم أنشد بين يديه هذا البيت أشار إليه بالسكوت وأمر له بألف
دينار * ولما عاد إليه من الغد أنشده البيت المذكور فسكته وأمر له
بألف دينار * ولم يزل ينشده كلما دخل عليه ويأمر له بألف إلى أن
أوصله بأربعين ألفاً . فحسده بعض الشعراء وقال له - لك متى وما ياتلك
من تغيير أخلاق أمير المؤمنين وقد أوصلك بما فيه غاؤك - فارتحل من
قوره إلى بلده ، وسأل عنه عبد المؤمن فأجبر برحيله فقل - لا حول ولا قوة
إلّا بالله لقد ظن بت غير ما أردناه ولو طال مقامه لزدناه على ذلك - فقل
له - لم لم تسمع تمام القصيدة - فقال عبد المؤمن - وما صني أن يقول
بعد قوله ما هز عطفه (البيت) رحم الله هذه النفوس الكابية والأخلاق
الموصية ماتوا وذكرهم لم يمت سبحانه الحي الدائم الذي لا يموت *
الخبر عن خلافة يوسف

ابن عبد المؤمن بن علي الكومي الزناتى
ببيع في الحادي عشر من جمادى الآخرة سنة ثمان وخسين وخمسمائة
بعد وفاة أبيه وكان عقلاً صالحاً مترفقاً في سفك الدماء حسن السياسة
أخذ منهج أبيه وسار بسيرته واستنصر من الجيش ومهد البلاد وصخم
الملك * وكان ملكه من خاصية إفريقية إلى السوس الأقصى إلى بلاد القبط
وبلاد لاندلس تجبى إليه حراجها دون عكس ولا جور فكثرت الأموال
وأمنت الطرق وكان يتشدد أحوال مملكته لا يتكل على أحد من وزرائه *
وجاز إلى لاندلس سنة ست وستين متفقداً لأحوالها وأقام بها أربعة

اعوام وصشرة اشهر ورجع الى مراكش سنة احدى وسبعين * ودخل افريقية سنة خمس وسبعين لقيام ابن زيوري بثبثة فنزل على قلعة وملكها وطلب صاحبها ابن زيوري وعاد الى مراكش * وفي سنة تسع وسبعين جاز الجواز الثاني الى لاندلس ونزل على شتتين قريبي لاندلس فحصرها حصارا قويا واستشهد هناك فحمل الى تينمال ودفن هنالك بجانب قبر ابيه * وتوفي سنة ثمانين وخمسائة وعشرة سبع وأربعون سنة واقامته في الملك احدى وعشرون سنة واشهر وقام بالامر عدة ولده يعقوب *

الخسر من خلافة امير المؤمنين يعقوب

هو المنصور بالله بن امير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بن علي كان يعسوب هذا اجل ملوك الموحدين ذا رأي وحزم ودين محبا للعلماء ويحصر جائزهم ويزور الصالحين ويترك بهم علما بالحديث واللغة مشاركا في علوم كثيرة مواظبا على الجهاد وهو اول من كتب العلامة بيده من ملوك الموحدين وعلامته * الحمد لله وحده * وكانت ايامه زينة الدهر والامن في جميع عمله حتى ان الظعينة تخرج من برقة الى اخر المغرب ولا يتعرض لها احد وبني المساجد في سائر عمله والمارستانات الموصى واجرى لهم الارزاق * وخلفت عليه مدينه قصبة فوصل اليها سنة ثلث وثمانين وفتحها * وغسرا عرب افريقية فبرزهم واستباح اموالهم ونقلهم الى المغرب ورجع الى مراكش دار ملكه * وفي سنة خمس وثمانين حار الى لاندلس فنزل اشترين واشبونة فتكا فيهما وسبي من النساء والذرية ثلثة عشر ألفا ورجع الى العدو ونزل مدينه فاس فاتته الاخبار ان الميورقي قام بافريقية فدخل من فاس ودخل افريقية ونزل على نونس فوجد الاحوال ساكنة والميورقي فر امامه الى الصحراء حين سمع بقدم امير المؤمنين يعقوب المنصور * فسلت ذكر ابن الشماخ رحمه الله الميورقي ولم يستوفه من حقه وها ان اذكرة هنا لاتنمى الفائدة : هو علي بن اسحاق بن جوية الصنهاجي صاحب ميوقفة ومنورقة وباسية ثلث جزر في البحر

توفي أبوه اسحاق سنة ثمانين وخمسة مائة وخمسة وثلثين ، فعلي هذا ويحيى
 أخوه خرجا الى افريقية وصنعا العجائب به وأخوهما محمد خدم دولة الموحدين
 وأخوهما عبد الله وهو أصغرهم مملك ميورقة وعصى الناصر بن المنصور
 فتحرك اليه لما دخل افريقية سنة اثننتين وستمئة * وحاصر الناصر
 ميورقة فمات عبد الله بن اسحاق في تلك الحروب فحمل رأسه الى مراكش
 وفعلت جثته على سور ميورقة ولم تزل ميورقة في يد المسلمين الى سنة
 سبع وعشرين وستمئة احدها عدو الدين كما اخذ ميرها اعادها الله للاسلام
 بمهنة وكرمه * وأما علي فإنه عاث بافريقية عند اشتغال امير المؤمنين يعقوب
 المنصور ببلاد الاندلس فلما سمع به تحرك اليه في هذه السنة ففر امامه
 ورجع امير المؤمنين الى المغرب رجع الميورقي الى افريقية وملك المهدية
 وتونس وعساف عماله على تونس والنزاهة مائة الف دينار ولم يزل متماديا
 على حاله في الفساد حتى تحرك اليه الناصر بن المنصور وحكاست له
 وقعات وحروب وسياني بقية خيرة عند ذكر مصر * وكان الميورقي
 شجاعا مقداما وتوفي سنة ثلث وثلثين وستمئة في زمن بني حفص ذكره .
 غير ابن الشمع * ولما فر الميورقي الى الصحراء رجع امير المؤمنين يعقوب
 المنصور الى المغرب بعد ما سكن احوال افريقية ودخل تلمسان واصابه
 مرض ورحل عنها ودخل فسا فاقام به حتى عوفي ورجع الى مراكش
 فاقام بها الى سنة احدى وتسعين وخمسة مائة فيها اتصلت به الاخبار ان
 الفتن عاث في بلاد المسلمين ولم يصده احد وانتم الفرصة في غيبته
 ومرضه أي غيبة الخليفة المنصور وفعل بالمسلمين الاوابد واستحوذ على اكثر
 معاقلهم فانتدب المنصور جيوشه من الموحدين والاعزاز والطوعة والمنزقة
 وقصد الجواز الى الاندلس فارسل اليه النصارى كتابا يقول فيه - من
 ملك النصرانية الى امير الخنفية ام بعد فان كسنت عجزت عن الحركة
 علينا وتناقلت عن الوصول اليها فابعث الي مراكب من عندك اجوز فيها
 بجيشي اليك فان هزمتني فهديتة جاءت الى بين يديك وانت امير

المومنين وان كنت ابي عليك كنت ابا صاحب المئين والسلام -
 فلما قراه اخذته الغيرة لاسلامية ورمى بالكذب الى ولده ولي هذه *
 فاجاب على ظهر الكتاب بوقوع يده * ارجع اليهم فلناتينهم بجنود لا قبل
 لهم بها ولنخرجهم منها اذلة وهم صاغرون * فسر المنصور بهذا الجواب
 ودخل لاندلس سنة احدى وتسعين وخمسمائة * وكانت له على الروم
 نصر عظيمة قتل فيها منهم ما لا يحصى وكان الفتح لعنه الله انضم
 اليه من جميع الاجناس حتى قبل كان معه ثلثمائة الف ما بين راجل
 وفارس هزمهم الله ونصر المسلمين ودخلوا حصن لاراك الذي سميت به
 الواقعة واخذوا منه * لا يعلم قدرة الا الله ومن لاسارى اربعة وعشرين
 الف فكن عليهم امير المومنين يعقوب المنصور واطلقهم * واستشهد من
 المسلمين من كتبت له السعادة والذي سبقت له الحسنى وزيدة * ومات
 فيها الشيخ يحيى بن ابي حصن جد الخفاصة وكان من اكبر قواده وزعمائه
 وكانت تحته اخت الخليفة المنصور بالله وكانت هذه الغزوة العظمى
 تاسع شعبان من السنة المذكورة وهي اعظم غزوة على ايدي الموحدين . وقسم
 الغنائم وكتب بالفتح الى جميع البلاد واقام باشبيلية الى سنة اثنتين
 وتسعين وخمسمائة خرج الى غزوة الثانية وفتح قلعة رباح ووادي
 الحجارة ومقاتل كثيرة * وحاصر طليطلة واحرق رباطاتها ونصب عليها
 الجانيق ثم ارتحل منها الى سلنكة فدخلها بالنسيف وقتل رجالها ونساءها
 ورجع الى حضرة ملكه مراکش واخذ البيعة لولده محمد الملقب بالناصر
 واجلسه في حياته مجلس الخلافة * ولمسا استوثق الامر لولده دخل
 المنصور الى قصرة فلزمه وبدا فيه المرض الذي مات به في الثاني
 والعشرين من ربيع الاول سنة خمس وتسعين وخمسمائة بتصبه مراکش *
 وقسيل انه تقشف وزهد في الدني وارتحل الى المشرق ومات هناك
 رُتل للشام مقرر هذا الخبر عند عامتهم والله اعلم * وكس رحمه الله اجل
 ملوك الموحدين وابعدهم صيتا واحسنهم في جميع الامور له الهمة العالية

والسيرة المحسنة والدين المشين والرأي الصائب * ويحسكي اندمجت
لنفس عمله لينظر له رجلاً لتأديب اولاده فبعث العامل له برجلين وكتب
معهم كتاباً يقول فيه - قد بعثت اليك رجلين احدهما بحر في علمه والاخر
بر في دينه - فلما امتحنهما لم يرصياه فوقع على ظهر كتاب العامل - ظهر
الفساد في البر والبحر - رحمه الله وتغنى عنه بمنه وكرمه والبقاء لله لا
رب غيره ولا معبود سواه *

الحسير عن خلافة امير المؤمنين محمد الناصر

هو ابن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي بويج
في حياة والده وحدث له البيعة يوم الجمعة صبيحة الليلة التي توفي
فيها والده وتم له الامر وتعاطى تدبير الامور بيده وخرج الى مدينة فاس
وبنى اسوارها وقصبتها ، وجسأته الاخبار ان الميورقي قلب على اكثر بلاد
افريقية واخذ المهدية وضيق على اهل تونس والرمهم مائة الف دينار وقد
مر عانفا فرحل من مراكش سنة ثمان وتسعين ولمسا وصل الى جزائر
بني مزغنة امر بانشاء اساطيل واخذ في تجهيز العساكر الى ميورقة ففتحها
وقتل صاحبها عبد الله بن اسحاق وفر اخوه يحيى ودخل الصحراء *
ووصل الناصر الى افريقية فاطاعه كل من عصى عليه ما عدا المهدية
لان العامل بها من قبل الميورقي وكان شهما شاحب دهاة فحاصره بها
ونصب عليها المجانيق فلما رأى العامل ان لا طاقة له بمقتال الناصر ركن
الى الصلح فصالحه ورضا عنه وكان فتحها سنة احدى وستمائة * وفي
سنة اثنتين وستمائة اراد الناصر الرجوع الى المغرب فحلف على افريقية
الشيخ ابا محمد عبد الواحد بن ابي بكر بن ابي حفص ومن يوشد استقرت
قدم بني حفص بافريقية وجعل الشيخ ابو محمد عبد الواحد تونس دار الامارة
الى يومنا هذا جعلها الله مدينة اسلام الى يوم الدين * امين * ومن هنا نشرع
في ذكر بني حفص لان هذه الحوادث التي ذكرناها انما هي تمهيد لما سيأتي
من اخبار الحضرة العلية وليعلم الناظر في هذا المصروع ضخامة الملاد

الافريقية ولكن نائي سبقت اخبار الخلفاء لانعام العائدة ونرجع للذي
 قصدناه عائدتين ولا بد للذي من الصلة والعائد * ولما تمكن الشيخ
 عبد الواحد من البلاد رحل النصر الى المعرب فوصل الى مراكش سنة
 خمس وستمائة * وفي سنة ست جاءت الاحبار من الاندلس الى الفتح
 ملك بيوتة ونظاب عليها فكتب النصر الى سائر عمله واستقر الناس
 للجهاد وخرج من مراكش سنة سبع وستمائة فوصل اشبيلية واهترت بلاد
 الاندلس لحيرة . فدخل الرب في قلب عدو الله فطلب الصالح وبعث
 رساله يطلب من امير المؤمنين ان يصل بين يديه ويحكمه في نفسه
 وماله * فاذن له في الوصول الى حضرته وكتب الى جميع عماله ان تن
 اجتاز به الفتح بصفه ذلك ويمسك من عسكرة الف فارس وما وصل
 مدينة قرمونة الا ومعه الف فارس فمسكت هنالك فقال لعاملها - كيف
 يكون مسيري وجدي - فقتل - فسير في ذمام امير المؤمنين - فسار في
 خدمه ومعه زوجته وقدم بين يديه هديته واحضر معه الكتيب الذي
 كان بعثه النبي صلى الله عليه وسلم لبني الاصفه وبقي محفوظا عندهم الى
 تلك المدة واطمنه الى الان موجودا * ولقد رآه بعض ارسال بني حفص
 في ايام دولتهم واخبر بانه قراه وهو بقى عندهم ويعترفون بركته * ولما
 وصل الفتح الى الناصر اكرمه واعطاه صاحبا تاما وكتب له بذلك - ما
 دامت دولة الموحدين - حوصرفه الى بلاده . وارتحل النصر الى قشتالية
 فحصرها ستة اشهر ودخل الشتاء وقتل الميرة وغلث الاسعار فانهز عدو
 الله الفرصة وجع من كل النصرانية جيشا وكبس به عسكر المسلمين على
 حين غلثة ففر عسكر الاندلس اولا وعادت الكسرة على المسلمين فهزموا
 واتبعهم عدو الله وفادى ان لا اسارى الا القتل فلم ينسج من المسلمين الا
 القليل وكاد النصر ان يقع بيديهم لولا لطف الله به * ومن هذه الكسرة
 لم ترفع للمسلمين بالاندلس راية الى زمان يعقوب المريني وهذه الواقعة
 يسميها اهل السير بالعقاب * ولما رجع الناصر الى العدة ودخل مراكش

أخذ البيعة لولده يوسف وتلقب بالمنصور وانعصف الناصر على ذلك
إلى أن توفي سنة ثمان وستمائة ومن هنا أخذت دولة الموحدين في
الانحلال وقام بالامر بعده ولده يوسف *

الخبر عن خلافة أمير المؤمنين يوسف المنصور

هو ابن محمد الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن
علي قام بالامر بعد أبيه فقرب الأراذل وأبعد مشائخ الموحدين فكانت لا
تنفذ أوامره وأخذت دولة الموحدين في الأدبار وظهرت دولة بني مرين
في أواخر سنة ثمان وستمائة وبعث المنصور جيشا لقتالهم فكان
الظهور لبني مرين واستباحوا عسكر الموحدين * وكان يميل إلى الراحة
فكانت لا تنفذ أوامره عند عماله وكان مغري بنتاج البقر فدخل ذات
يوم بين الثور فقصدت إليه بقرة شرودة فحسرت به في بطنه فمات من
ساعته وكانت أيام ملكه عشر سنين وأربعة أشهر وذلك سنة عشرين
وستمائة والملك لله وحده * ولما مات انفق أشيخ الموحدين على مبايعته
أبي محمد عبد الواحد *

الخبر عن خلافة أمير المؤمنين أبي محمد عبد الواحد

هو ابن يوسف بن عبد المؤمن بن علي بويح ثالث عشر ذي الحجة
سنة عشرين وستمائة وهو في سن الشيخوخة وكان صالحا متورعا فاستقام
له الأمر شهرين ثم اضطربت أحواله وقام عليه أبو محمد العادل وكان
في مرسية فمخذا البيعة لنفسه وكتب إلى أخيه أبي العلي وكان بأشبيلية
يدعوه إلى بيعته فاجابه وبعث إلى أشيخ الموحدين الذين بمراكش والعدوة
فاستمالهم بعد ما وعدهم بجزيل العطاء فانفقوا على مبايعته ودخلوا على الخليفة
عبد الواحد فطالبوه بخلع نفسه وتهديده بالقتل فاجابهم فادخلوا عليه
القاضي والشهود فشهدهم على خلعهم وأنه بايع لأبي محمد العادل * وبعد
أيام دخلوا عليه فخنقوه وأنهبوا قصوره وكان أول مخلوع من بني عبد المؤمن
وانفتح باب الفس بين الموحدين وصاروا كالأمم بالعراف * وكانت

أيام خلافته ثمانية أشهر وتسعة أيام * وقسم بالامر بعده أبو محمد عبد الله
ولقبه العادل بأحكام الله *

الخبر عن خلافة أمير المؤمنين عبد الله

هو ابن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المومن بن علي بويج
هوسية في صفر سنة إحدى وعشرين وستمائة وتم له الامر في شعبان بعد
خروج عبد الواحد ورجع من لاندلس الى حضرة مراکش وفوض امر
لاندلس الى اخيه أبي العلاء الملقب فيما بعد بالمأمون فأقام على طاعة
أخيه على سنة أربع وعشرين وستمائة فنكث بيعته العادل ودعا الناس
لمبايعته فأجابوه وقلقب بالمأمون وكتب الى أشياخ الموحدين بمراكش
واستمالهم فأجابوه فدخلوا على العادل وختوة بعمامته حتى مات في شوال
سنة أربع وعشرين وستمائة وكانت خلافته ثلث سنين وشهرين وكتبوا
يختهم على المأمون أبي العلاء أدريس وبعثوا بها على البريد ثم ندموا وخافوا
منه لما يعرفون من شهادته فرجعوا ولبثوا يحيى بن الناصر *

الخبر عن خلافة أمير المؤمنين يحيى

هو ابن محمد الناصر بن المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المومن
ابن علي لقبه المعتصم بالله بويج في الثاني والعشرين من شوال سنة
أربع وعشرين وستمائة وامتنع من مبايعته كثير من الناس لمبايعتهم المأمون
ووقع لذلك فتن في البلاد واضطربت الأحوال وكثرت المحن وفشت
الأسعار وكثر الخوف واتصل الخبر ان المأمون بويج له بالاندلس وأنه
يملأ البحر على مدينة ستة * فلما علم يحيى بذلك ورأى اختلاف
الموحدين عليه بمراكش فرس على جبل درن ثم رجع الى مراکش فأقام
سبعة أيام ثم هرب فأتيا وكانت بينه وبين المأمون حروب انهزم فيها
يحيى ولم يزل يهرب الى أن مات سنة ثلث وثلثين في أيام الرشيد
وسباني خيرة وجدد الموحدون البيعة للمأمون * آخر جادى الاخيرة سنة
ست وعشرين وستمائة *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين النامون

هو ابو العلاء ادريس بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي كان فصيح اللسان ضابطا للحديث الشريف حسن الصوت والطلاقة عالما بالعربية واللغة والاداب وايام الناس سالكا في امور الدين والدين وكان حارما شجاعا وهو اول من ادخل الصاري الى مراكش استمر بهم ودخل معه اثنا عشر الى نصراني * ولسا حل بمراكش بعد المنبر وخطب الناس وسب مهديهم وقبح مذهبه ومذهب من تبعه وسحا اسمه من الدراهم ومن الخطبة وقتل لا ندعوه بالهدي واشياء يطول شرحها وكتب بذلك الى كلافاتي وقتل اشياخ الموحدين لاجل نكبتهم البيعة ولم يبق منهم احد وكان جلته القتل اربعة آلاف وستمائة وكتب لعماله بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقام عليه احوه بالاندلس وكثرت عليه المحن ونوالت عليه الهموم فمات رحمه الله * وكانت ايام خلافته ثلث سنين وستة اشهر وفي ايامه استولت الروم على جزيرة صيرقة وبويع ولده عبد الواحد وتلقب بالرشيد *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين الرشيد

هو عبد الواحد بن ادريس بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي بويع اول المحرم سنة ثلثين وستمائة وسمرة اربع عشرة سنة فاقام بمراكش الى سنة ثلث وثلثين فقتل جلته من اشياخ الخطا فقاموا عليه وحاربوه فانصهر عليهم بعد ما نهبوا مراكش وعرب ورجع الى حصرته ولم يزل في شتات الى ان وافاه حمله غريبا في صهرية يوم الخميس التاسع جدي الاخرة سنة اربعين وستمائة وايام خلافته حسة اعوام وخمسة اشهر وايام وكان في زمانه وباء وفلاء مشرا بحيث انه بلغ قفيز القمح ثمانين دينارا * وفي ايامه استبد ابو زكرياء يحيى بالامارة في مدينته تونس وام يتسم بامير المؤمنين وتعلبت بنو مرين على اكثر بلاد المغرب وقام بالامر بعده ابو الحسن اسعيد *

الخسبر عن خلافة امير المؤمنين المعتضد

هو ابو الحسن علي بن ادريس المامون بن يعقوب المنصور بن يوسف ابن عبد المؤمن بن علي نسمى بالمعتضد بالله ولقب بالسعيد بويج يوم وفاة اخيه الرشيد بمراكش عاشر جادى لآخر سنة اربعين وستمائة * وفي ايامه كثر جمع بني مرين وارسل اليهم الجيوش فكانت الدائرة لبني مرين وخرج سنة ثلث واربعين بنفسه في جمع عظيم واخذ البيعة على الامير يحيى بن عبد الحق المريني وجاءه الخبر في هذه السنة بان المعتضد تسمى بامير المؤمنين احتقارا لدولته فارفع للخروج بنفسه والتقى ببني مرين وكانت بينهما وقعت وحارب ابن زيان القائم بلسان وفر امامه الى بعض القلاع فتبعه السعيد وحاصره بها ثلثة ايام وخرج السعيد في الهجرة يتجسس عن احوال القلاع وكيف الحيلة في اخذها فكتب له ثلثة نفر على حين غفلة فقتلوه اجمعهم وقتل وزيرة معه ونهب ابن زيان جميع ما كان في محله وجلت جثته فدفنت خارج لسان وكانت وفاته يوم الثلاثاء اخر صفر سنة ست واربعين وستمائة وبويج بمراكش المرتضى *

الخسبر عن خلافة امير المؤمنين المرتضى

هو ابو حفص عمر بن الامير اسحاق بن امير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بن علي بويج بعد موت السعيد فقد له البيعة برباط الفتح وارتحل الى مراکش واخذ البيعة عن اهلها واستقام له الامر من مدينة سلا الى مدينة السوس وكان يدعي الزهد والورع ويحب السماع وكانت ايامه ايام حياء ورخاء مفرط ما سمع بمثله * وخرج سنة ثلث وخمسين في ثمانين الفاً لقتل بني مرين فلما قرب من مدينة فاس وكان خوف بني مرين خامر قلوبهم انطلق فرس لبعض العسكر فحرق صاحبه في النار فظنوا ان العدو قد ذهبهم فانهم العسكر لا يلوي احد من احد واصل الخبر بالامير يحيى بن عبد الحق فخرج واحتوى على جميع محله وسار المرتضى الى مراکش في نفر يسير فاقام بها الى ان دخل عليه

أبو دبوس قتلته أواخر المحرم سنة خمس وستين وستمائة فكانت أيام
خلافة تسع عشرة سنة إلا أيام وتولى بعده الواثق أبو دبوس *
الخبر من خلافة أمير المؤمنين أبي دبوس

هو إدريس بن الرشيد أبي حفص بن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن
علي كان شجاعاً مقداماً وسبب تملكه مراکش كان المرتضى فقم
عليه أشياء فحاف منه وهرب إلى أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق
المريني متصراً به فالفاه بمدينة فاس فأكرم مثواه وأعانته بالمال والرجال
والتفق معه أن يعطي لبني عبد الحق النصف فيما يغلب عليه من البلاد
فلما تمكن من مراکش ودخلها على حين غفلة وفر أمامه المرتضى واستقل
بالامر كتب إليه الأمير يعقوب يهنيه ويطلب منه الشروط الذي بينهما
فقال للرسول - قل لأبي عبد الرحمن يغتنم الفرصة ويقنع بما في يديه
وإلا أتته بجنود لا قبل له بها - فلما وصل الخبر إلى يعقوب المريني
شن عن بلاده العارات وجهز له الجيوش * وفي سنة سبع وستين خرج
أمير المسلمين يعقوب المريني بنفسه فالتقى معه أبو دبوس ببلاد دكالة
فكانت بينهما حروب قتل فيها أبو دبوس وجميع براسه إلى يعقوب بن
عبد الحق فبعثه إلى مدينة فاس وطيف به هنالك وانتهب ممتلكاته *
وكان قتلته أواخر ذي الحجة سنة سبع وستين وستمائة وبه انقضت
دولة بني عبد المؤمن * وكان ابتداء أمرهم من المهدي بن تومرت سنة
خمس عشرة وخمسمائة وانقضت بابي دبوس سنة سبع وستين وستمائة *
وملوك بني عبد المؤمن أربع عشرة خليفة - وانتقلت بلاد المغرب إلى
حكم بني مرين - والاندلس إلى الثوار من الطوائف - وأفريقية إلى
بني حفص - والله يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين :

الموصل الثاني

فيمن تولى من بني حفص في البلاد الأفریقیة
وهذا إذا ذكر بعض سيرتهم وأعمدة في ذلك على ما نقله ابن السمع

ولاكن نأثي به سخمصرا ليلأ تذهب ديباجهم ويظن التامل اني غرت
عليه ونزلت ساحته وربما نأثي بما ليس فيه واذكرة وانبه عليه ان شاء
الله تعالى وبه المستعان وعليه التكلان ، فاقول وبالله التوفيق : -
اول سن نملك من بني حفص المولى ابو محمد عبد الواحد بن ابي بكر
ابن الشيخ ابي حفص عمر بن يحيى بن محمد بن وانودين بن عليته بن
احمد بن والال بن ادريس بن خالد بن اليسع بن الياس بن عمر بن
وافتن بن محمد بن نجبة بن كعب بن محمد بن مسلم بن عبد الله بن عمر
ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه كذا قيد نسبه ابن الشمع * قلت
هذا النسب عارق في انساب البربر والعرب كانت تدف عن الترويج
منهم وخصوصا قريشا والله اعلم بحقيقة ذلك ، ولاجل هذا السب الشريف
خطب لهم بامير المؤمنين والناس صدقون في انسابهم والشيخ ابو حفص
من قبيلته هتاتته من قائل المصامدة هتاتته اكشرا جعا وهم القائمون
بدعوة المهدي بن تومر والسابقون اليها وابو حفص احد العشرة الذين
بايعوا المهدي وقد سبق خبره * ولما دخل الناصر بن المنصور افريقية
عند تغلب بن غانية عليه وهزمه الناصر وطرده واسترجع المهدي ورجع الى
تونس واقام بها حولا واراد الرجوع الى المغرب اراد ان يولي بافريقية سن
يقوم مقدمه فوقع اختياره على المولى عبد الواحد فولاة عليها بعد تمنع وشروط
شرطها عليه ووفى له الناصر بها فرفعت رايته بين الموحدين ورحل الناصر
الى المغرب وه رقبه المولى عبد الواحد من هجرة ورجع الى حاضرة تونس
فتعد مقعد لامارة بقميتها وذلك يوم السبت عاشر شوال سنة ثلث وستائة
وكان رحمه الله تعالى عالما فاضلا ذكيا ، طابا شجعا محسنا وهو الذي اخترع
زمن النصر في بتونس للوفور وكسب يجلس يوم السبت للطر في مسائل
الناس ومدمحه بعض الفضلاء بخصيدة تدل على فضله ومها :

ومدا على المداح ان يمدحوا به وفيك حصال ليس تحصر بالعد
نهارك في ندير ما يصلح الوري وليك مقسوم على الذكر والورد

ودخل عليه الامام ابو محمد عبد السلام البرجيني من تلامذة الامام المنزوي وكان تحت جبة منه فقال له المولى عبد الواحد - كيف حالك يا فقيه - فقال - في عبادة - فقال له المولى عبد الواحد - تعرضها ان شاء الله بلشكر - قال ابن بخيل كاتب المولى عبد الواحد - لم نفهم ما اراد فسالت المولى عن ذلك فقال - اراد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم - انتظروا الفرج بالصبر عبادة - وهذا يدل على ذكائهم رحمة الله عليهم وتوفي يوم الخميس اول المحرم عام ثمانية عشر وستمائة وايام دولته اربع عشرة سنة وثلاثة اشهر * ودفن بالقصبة وقبره يزار ويبرك به وبالقرب من تربته مغارة كان يتعبد فيها * فتمسكت وتربته الى يومنا هذا مشهورة داخل القصبة ولما توفي رحمه الله قدم ولده المولى ابو زيد ثم طلع الى المغرب هو واخوته ثم وصل الى تونس ابو محمد عبد الله بن المولى عبد الواحد من قبل العادل بن البصور ومعه اخوه ابو زكرياء يحيى سنة ثمان صفر * وقدم المولى ابو زكرياء على مدينة قابس من قبل اخيه ابي محمد عبد الله ثم وقع بينهما اختلاف فخرج المولى عبد الله الى قتال اخيه ابي زكرياء فخالف عليه الموحدون وابوا قتال اخيه فرجع لتونس واستقر بها ثم بعد ذلك تحرك ابو زكرياء الى تونس فملكها ووجه اخاه في البحر الى مدينة اشبيلية من بلاد الاندلس واستقر قدم المولى ابي زكرياء في الامارة *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين يحيى

هو المولى ابو زكرياء يحيى بن المولى ابي محمد عبد الواحد بن ابي بكر بن المولى ابي حفص عمر الهشاتي ولد بمراكش سنة تسع وتسعين وستمائة ويوم بالقيروان في رجب سنة خمس وعشرين وستمائة وجددت له ابنيهم يوم وصوله لتونس في الرابع والعشرين من رجب المذكور * وفي سنة اربع وثلثين بوبع البيعة الثانية وذكر اسمه في الخطبة ولم يتسم بامير المؤمنين واقتصر على الامير وعرض له بعض الشعراء بقوله من قصيدة بحرصه فيها وهو قوله :

الاصم بلامير المؤمنين فانت بها احق العالمين
 فزجرت ولم يقبل وذلك في ايام الرشيد بن المأمون بن يعقوب المنصور عند
 اضطراب المغرب فاستبد ابو زكرياء بافريقية * وفي سنة خمس وثلاثين
 وستمائة وصلت اليه بيعة زيان بن مرديش صاحب شاطبة ورسوله
 ابو عبد الله محمد الابر وانشد قصيدته السيئة الفريدة التي منها *
 ادرك بخيلك خيل الله اندلسا ان السبيل الى منجاةها دوسا
 وفي سنة تسع وثلاثين تحركت الى مدينة تلمسان ففتحها وكان معه من
 الجيش اربع وستون الف فارس * وفي سنة اربعين وصلت اليه بيعة
 سبعة وبيعة المرية * وفي سنة ثلث واربعين وصلت اليه بيعة اشيلية
 والمرية وغرناطة ووصل وفدهم لتوس وقوتت بيعتهم على النس وكان رجة
 الله عليه من الصالحين والعلماء العاملين ختم على الشيخ الرعيني السوسي
 كتاب المستصفا للغزالي وغيره من الكتب المفيدة وناظر في النحو على ابن
 مصفور وكان فقيها اديبا وكان معدودا في العلماء والشعراء وكان مختصرا
 في لباسه ومركوبه وكان يلبس جبة الصوف وحرام الصوف * ونقل
 من ابن القصار ان المولى ابا زكرياء استدعى بعض وزرائه من باب
 الصوف بعد انفصال مجلسه والعادة عنده ان تن استدعاء من ذلك المكان
 انما يستدعيه للعقوبة قل الوزير فلما استدعيت ادخل بي بابا بابا الى
 ان انتهيت الى باب قبة الخليفة فوجدته جالسا على كرسي من خشب
 وبه ابرة وهو يرقع ثوبه فسلمت عليه فامرني بالجلوس واذا بحسام قد
 اتى بمائدة مغطاة فلما رفع عن المائدة فذا بها طعام واحد ورغيف خبز عير
 فقي فاكل واكملت معه فلما فرغ قال لي انصرف بسلام فخرجت ووقعت
 عندي حيرة فخبرت بذلك بعض اصدقائي لي فقال وما صنعت قلت
 لا شيء الا اني لما دخلت عليه نظرتني شرا فقل لي دخلت عليه في
 ثيابك هذه قلت نعم قل لي من هذا اثنى عليك تراه اخبرك ان حكومتك
 الموقرة واكله الخش من الطعام فان انت انتهيت عن فعلك ولباسك

النياح الرفيعة ولإلا لا تلوتن إلا نفسك * قسست رحم الله هذه الروح
الزكية . وهو الذي بنى الجامع بالقصبة وبني صومعته العجيبة وهي
باقية إلى يومنا هذا ولها شكل عجيب واسمه منقوش عليه وكانت قبل اليوم
بارزة ينظر إليها المآريها ويقرا ما هو مكتوب عليه وقد حيل بينها ببناء
ستر احشوها ولم يبق منهن إلا مقدار نصفها وانستر رونقها على السطح وكان
بناؤها منته تسع وعشرين وستمائة وبني مصلى العيدين * قسست
هو الذي يقل له جامع السلطان من ناحية المراكص وكذلك بني المدرسة
التي بطرف سوق الشماعين * قسست سوق الشماعين يعمل فيه
السباط في يومنا هذا وبني سوق العطارين وحضر مدينة تونس وجعت
دولته من رواساء العلماء والشعراء وأهل الصلاح مما لم يجتمع لغيره وجمع
بعده وسياسته أموالا لا تحصى إلا بالبيت والبيت عبارة عن الف
الف وحلف سبعة عشر بيتا من المال ومن الكتب سنة ولثين ألف مجلد
وفي سنة سبع وأربعين تحرك إلى الغرب فمات هناك ودفن بجامع
بونة ونقل بعد إلى قسطينة وكانت وفاته أواخر جمادى الآخرة وهو ابن
نسع وأربعين سنة ودولته السنتان وعشرون سنة وترك من الأولاد الذكور
أربعة وهم محمد المستنصر وأبو اسحاق وأبو بكر وأبو حفص عمر * ويقال
ان في هذه السنة توفي الملك الصالح ابن أيوب صاحب مصر وكان دين
عظيما والملك المنصور بن رسول صاحب اليمن والامبرطور صاحب صقلية
عظيم النصرانية والنفس لأحول عظيم النصرانية بالاندلس فكانوا يرون
ان هذا ملك الدنيا ماتوا في سنة واحدة فسبحان من لا يزول ملكه *
الخسر عن خلافة الأمير المولى أبي عبد الله محمد

هو ابن المولى أبي زكرياء بن المولى أبي محمد عبد الواحد بن أبي
بكر بن المولى أبي حفص عمر جوبع صبيحة الليلة التي توفي فيها والده
يوم الجمعة التاسع والعشرين من جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وستمائة
وعمره السنتان وعشرون سنة أم ولد اسمها عطف وهي التي أموت ببناء

جامع التوفيق والمدرسة التوفيقية * قسنت المدرسة التوفيقية اندرست
 * انارها وكانت قبله راوية الشيخ الزليجي * وفي سنة ثمان واربعين
 نصبت المقصورة بجامع الموحدين وفيها بنيت السقاية التي شرقي جامع
 الزيتون وفيها جعلت الشكلة لليهود وبولغ في مذلهم * وفي سنة احدى
 وخسين بنيت قبة المجلس وبنيت المشي الى راس الطابية * وفي
 سنة ثنتين وخسين وصلت بيعة بني مري من مدينة فاس ودعي له على
 منابرها * وفي سنة سبع وخسين وصلت بيعة مكتة بنشاء عبد الحق
 ابن سبعين وقرئت على الناس فعند ذلك تسمى بامير المؤمنين ولقب
 بالمستنصر بالله وكان قبل ذلك يدعى بالامير فقط ونصب للنساء في الاحكام
 الشرعية اباعبد الله محمد بن ابراهيم المهدوي المعروف بابن الخباز من
 اهل العلم والورع وكان المستنصر يقول - ما يسألني الله عن امور الامة بعد
 ان قدمت عليهم ابن الخباز * وفي عام ستة وستين اكمل المستنصر بناء
 الحناية التي كان يجري عليها الماء الى مدينة قرطاجنة في الرستن الاول
 فاصلح ما فسد منها واحياها واجرى عليها الماء من عيون زغوان وجعل قطعة
 من الماء الى سقاية جامع الزيتون وبقي الماء الى جنة ابي فهر * قلت
 هي التي يعبر عنها في زماننا بلطوم ولم يبق من ذلك الا القسقية وبقيت
 خرائب والله يرث الارض ومن عليا وهو خير الوارثين * وفي هذه السنة
 تهركت الى بني رباح ومسلت جماعة من رواسئهم وضربت اعناقهم وبعث
 الى تونس برؤوسهم على الرماح * وفي سنة ثمان وستين وستة مائة في ذي
 القعدة نازل الافرنسيس مدينة تونس بجموع وافرة فرسانا ورجالا وكانت
 بينهم وبين المسلمين حروب مات فيها خلق كثير من الفريقين ومدة
 اقامتهم اربعة اشهر وصلة ايام * وفي عاشر المحرم سنة تسع وستين مات
 ظاهيتهم قيل ان السلطان بعث اليه بسيف مسمم وقيل مات حتى
 انفه * وارسل الله وباء على جيشه فمات عدد كثير وطلبوا الصلح
 فصالحهم السلطان على الانصراف من غير تعرض لجهة من جهات المسلمين

على أن يدفع لهم اثنتي عشرة قنطار ومائة قنطار وعشرة قناطير من القمح
والهدنة خمسة عشر عاماً فتم الصلح * وكان رحمه الله لم يخلص
للقائمين وإنما يمددهم بالجيوش وسبب غزول الفرنسيين تونس قيل أنه
ذكر يوماً بحضرة المستنصر فخرج من جانبه وقل هو الذي أسره هؤلاء
وأطلقوه يشير إلى الأنثى الذين كانوا بين يديه وكان يستخدم منهم جماعة
فبلغت هذه المذلة الفرنسيين فحقدوا لها وعزم على غزو تونس * ولما
علم المستنصر بذلك طلب منه المهادنة فامتنع وأعطى الرسول وعزم على أخذ
تونس فجعل الله هلاكهم بهم ومن غريب الاتفاق لما نزل تونس قال أحمد
أدبائها الشعراء :

يا فرنسيس هذه الخدعة مصر فتبها لما إليه تفسير

لكن فيها دار ابن لغمان قبر وطواشيك منكر ونكير

فصدقت لأقدار قوله ومات بارض العلة وقبر بها وهذه كلابيات يشير
فيها بالملح إلى ما سبق له : ربح مصر سنة سبع وأربعين وسنة ثمان مئة
مدينة ذريط وملكها ومدة إقامته بها تسعة أشهر ودخلت في ركن السلطان الكامل
ابن أيوب فأمكنه الله منه فاحذره وجاءته من قواميسه وحمل على جعل
ووجهه إلى خلف وطيف به وسجن في دار ابن لغمان ووكل به طواشي
اسمه صبيح فقتل نفسه بقنطير من الذهب وحلف أن لا يطأ أرض المسلمين
فلما رجع إلى بلاده عزم على العودة إلى الديار المصرية ومكث العزود بنفسه
الحديثة فلما علم به صاحب مصر كتب له رقعة من إنشاء كمال الدين بن
مطروح وبعضها مع رسوله وفيها قصيدة بليغة فلما ورد الرسول على الفرنسيين
استجاسه فأنهى أن يجلس وأنشده وهو قائم بين يديه *

قل للفرنسيس إذا حلتسه مثل صدق من مقول نصيح

أنيت مصر تبغي ملكها تظن أن الدين بطل ربح

منها :

وقل لهم إن ارمعوا عودة لاخذ ثار أو لفعل قبسح

دار ابن لقمان على حالها والقيد باق والطواشي صبيح
وهي طوبلة ذكرها القريري وذكر ابن الشماخ عدة ابيات منها والقصيدة
في غير ما موضع مشهورة * فسلما سمع المقالة ذلت نفسه على العودة الى
مصر واراد ان ياخذ ثارة من تونس فدمره الله تعالى وكان نزوله على تونس
سببا لا تثنى الاموال التي تركها المولى ابو زكرياء والتي جمعها ولده المستنصر
ففرقت على الاجناد والوفود والاعراب وتوفي المستنصر بالله في الحادي عشر
من ذي الحجة سنة خمس وسبعين وستمائة وعمره خمسون سنة فكمات
خلافة ثمانية وعشرين عاما وخمسة اشهر واحد عشر يوما رحمة الله عليه
وتولى بعده ولده المولى ابو زكرياء يحيى ولقب بلواش وخلع فيما بعد *
الخبر عن خلافة الامير المولى ابي زكرياء يحيى الواثق

هو ابن المستنصر بالله امير المؤمنين ابن المولى امير المؤمنين ابي
زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن ابي بكر بن عمر يبيع صبغة اليوم
الذي توفي فيه والده * ولما ولي سرح المسجونين وامر برفع المظالم واحراق
ازمة التودات وبالنظر في بناء جامع الزيتونة وغيره من المساجد واحسن الى
الجهد وكان غير ناعم ببناء الملك وطلب على امرة ابن العافقي وكان
ابن العافقي كثير لا عجاب مشروط في التعسف والكبر مشغلا بلباء وءالات
الملاهي واقتناء الكائنات ولا يحسن شيئا من سياسة الملك والرياسة فادى
ذلك الى فساد الملك فخرج عليه عمره ابو اسحاق ابراهيم وكان مقيما
بالاندلس لما فر في زمن اخيه المستنصر خيفة على نفسه واقام بها زمانا
وكان اخوه المستنصر بهدي صاحب لاندلس لامساك اخيه عنده فلما
مات اخوه وتولى ولده ابو زكرياء ولم يكن له ولا لكن بين يديه معرفة
بالامور حاز المولى ابو اسحاق الى المغرب وقصد افريقية فملكها واتي الى
تونس في غرة ربيع الثاني وصافق على المولى ابي زكرياء فخضع نفسه
لعمه وسلم له الامر فكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة اشهر وعشرين يوما
وخرج من القصبية وسكن بدار الغوري بسوق الكتبيين الى ان مات

في هفون سنة تسع وسبعين بعد ما احتقل ومات مسجونا رحمه الله عليه *
 الخمسبر عن خلافة امير المؤمنين ابي اسحاق ابراهيم
 هسرو ابن المولى ابي زكرياء يحيى بن المولى عبد الواحد بن ابي
 بكر بن ابي حفص عمر بويغ بتونس غرة ربيع الاخير سنة ثمان وسبعين
 وستمائة وكان ملكا شجاعا وفيه غلطة ويغيب عن مجاسد لانسه ودانت
 له افريقية * وفي سنة ثمانين وستمائة بعث ولده المولى عبد الواحد
 لجباية الوطن واخذ مال هواره فلما بلغ القيروان بالغه ان مرغم بن صابر
 الرباحي معه قاتم يدعي انه الفضل بن الواثق فكتب الى ابيه
 بذلك * وفي سنة احدى وثمانين عظم امر الدي ومالك قابس واحتوى
 على اكثر البلاد فاخرج الخليفة اليه جيشا من تونس امر ابيه ولده ابا
 زكرياء فنزل القيروان ونزل الدي فمودة فانسل غالب العسكر الى الدي
 ولم يبق مع المولى زكرياء الا قليل فرجع الى تونس واخبر ابيه فخرج
 ابيه الخليفة بنفسه في شوال من السنة المذكورة بجيش عظيم واخرج
 من الدروع والسيوف ما حل على تسعين بغلا ونزل بالحمدية فلم يغن
 شيء من ذلك وفر عنه اكثر عسكره الى الدي ونهب جميع ما كان معه
 هناك فرجع الى تونس واخرج نساءه واولاده ورحل الى المغرب * ولما
 وصل بجاية لقيد ولده ابو فارس وكان عادلا فتحلج الخليفة نفسه لولده ابي
 فارس وتلقب بالمعتمد وتجهز النساء الدي وتركه والده ببجاية واشفى
 المعتمد والدي بوطاة فاعته سان فحانت اعمار المعتمد فاخذ وقيل ونهبت
 امواله * ولما سمع ابو الخير خرج هربا وادركه اجل نجاية فخذوه
 واتوا به الى الدي فقتله في تسع عشر ربيع الاول سنة الثنتين وثمانين
 وستمائة فكانت مدته ثلثة اعوام وستة اشهر وستة وعشرين يوما ولما ولده
 المولى ابو زكرياء الى بلاد المغرب والدي هذا هو احمد بن مرزوق بن ابي
 صرة المسيلي مولده بها ونشا ببجاية وسكن بحرفة الخياطة حامل
 الذكر الا انه كان يتطور وخالط السحرة ويزعم انه يحيل المعادن الى

الذهب بالصناعة وتغلب في البلاد إلى أن وصل إلى طرابلس وصحب
نصيرا مولى الواقف ابن المستنصر فلما رآه تبين له في شبه من مولاة فاخذ
نصير يبكي ويقبل قدميه فقل له الديني ما خبرك فقص عليه خبر مولاة
فقال له صدقتي وأنا ما أخذ بشيء مولاة فاقبل نصير على امرأة العرب
واخبرهم بأن ابن مولاة فصدقوه وأثروا بسببهم وزعم أنه الفضل بن الواقف
ابن المستنصر فكان من امرأة ابن خطب له على منابر إفريقية وكان
سفكا للدماء خسيما فاجرا كذابا ولم تكن له منقبة خير أنه رفع النزول
عن أهل تونس وبقي جامعا خارج باب البحر للخطبة * ولما تمادى
في جورته وكذبه مثته الدس ومثقه جده وطهر المولى ابو حفص بن المولى أبي
زكرياء وكان مختفيا في البادية وألف عليه الناس فجاء لتونس وحاصر
الديني وانكشف سره فأيقن بالهلاك وفر بنفسه إلى دار فران أندلسي
قرب حمام زرقون فدلته عليه امرأة فاحيط به وضرب أسواط فاعترف
بتدائسه ونسبه وشهد عليه الناس بحضور القاضي ثم طيف به على حمار
ثم قطع رأسه فكانت مدنته بتونس سنة ونصفا غير ثلثة أيام وذلك
أواخر ربيع الأخير سنة ثمان وثمانين وستمائة *

الخسر عن خلافة أمير المؤمنين المولى أبي حفص عمر

هو ابن المولى أبي زكرياء يحيى بن المولى عبد الواحد بن أبي بكر
ابن الشيخ ابن حفص عمر سبيع يوم الاثنين الرابع والعشرين من شهر
ربيع الأخير من السنة المذكورة وكان ملكا قافلا كريما لم يتحدث منه
عقوبة لحد وكان له اعتد في العالمين وخصوصا في الشيخ المولى الصالح
ابن محمد المرجاني ويعظم العلماء والصالحاء وسره ولم ير على أكمل الحالات
إلى آخر عمره وأبى أيام عدل وامر وحبا * ولما أصابه المرض الذي توفي
منه عهد إلى ولده عبد الله فلم يرعه أسياح المرحوم أصغر سنة فاستشر
ولي الله الشيخ المرجاني فاشير عليه بتولية أبي عبد الله محمد بن عبيدة
فقبل إشارة الشيخ وأنفذ بعهدده إليه وتوفي آخر ذي الحجة سنة أربع

وتسعين وستمائة فكانت خلافته احدى عشر عاماً وثمانية أشهر واربعة من
العبر الستين وخمسون سنة وقام بالامر بعدة المولى ابو عبيدة *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين المولى ابي عبد الله محمد ابي عبيدة
هو ابن المولى ابي زكرياء يحيى بن المستنصر بالله بن المولى ابي
زكرياء بن المولى عبد الواحد بن ابي بكر بن الشيخ ابي حفص عمر
يبيع عاشر دي الحجة سنة اربع وتسعين وستمائة وسبب تسميته بابي
عبيدة لما قتل والده واحوته هربت احدى جواريه وقد اشتملت منه على
حمل وانت ربنا الشيخ المرجاني فوجدته هناك وعق عنه الشيخ واطعم
الفقراء عبيدة الحظيرة وسماه محمداً وكناه يحيى عبيدة فبقيت له دعة مع
الشيخ وكانت ايامه ايام هدنة وعافية وسلم لا حرب غرست فيها الغراسات
وبنيت الابراج وامتدت الامل كل ذلك ببركة الشيخ المرجاني وللقب
بالمستنصر بالله وكنانته خلافته اربع عشرة سنة وثمانية أشهر وستة عشر
يوماً ولازمه مرض الاستسقاء فمات منه في عاشر ربيع الاخير سنة تسع
وسبعمائة ولم يحلف ابناء قاومى له ابي يحيى ابي بكر *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين ابي يحيى ابي بكر الشيبه
هو ابن الامير عبد الرحمن بن الامير ابي بكر بن المولى ابي زكرياء يحيى
ابن الخليفة المستنصر بالله بن المولى ابي زكرياء يحيى بن المولى عبد
الواحد بن ابي بكر بن الشيخ ابي حفص عمر يبيع يوم وفاة المولى ابي
عبيدة لانه كان تحت كاهه فقام به يومه ايام ونحرت اليه المولى ابو البقاء
خالد من بلد قسطنطين فخرج المولى ابو بكر بمجلسه والناس مع ابي التاء
خالد داهونم جدهم ورجع هو عارب الى القصبته ووقف باسبخته وظهر
ان الاجاد باجته فلم يجتمع له احدى فوق ساعة وانصرف فالحق وقبض
عليه فقتل ولذلك سمى شهيداً فكانت مدته ستة عشر يوماً *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين المولى ابي البناء خالد
هو ابن المولى ابي زكرياء يحيى بن المولى ابي اسحاق ابراهيم

ابن المولى ابي زكرياء يحيى بن المستنصر بالله بن المولى ابي زكرياء يحيى بن المولى عبد الواحد بن ابي بكر بن الشيخ ابي حفص عمر كان عاملاً في بلد الغناب وقسطينة بعد وفاة والده ابي زكرياء وكان يضع تاج الملك على راسه ويركب بغلة عالية * ولما حل بتونس انعكف على لذاته ولهوه وترك سياسة الملك فقدم عليه ابو يحيى زكرياء ابن اللحياني وقفل من المشرق * ولما حل بطرابلس ورأى اضطراب افريقية طلب الملك فربيع بطرابلس وانضم اليه اولاد ابي الليث فبعثهم في مقدمته مع شيخ دولته محمد المزدوري فوصل لتونس اول جادى لاولى سنة احدى عشرة وسبع مائة فاجتمع القاضي ابن عبد الربيع بالسلطان ابي الهيثم خالد وحرصه على الدفع عن سلطنته فصوره اللقياء واعتذر بالمرض واشهد على نفسه بالانحلال عن الامر فدخل ابو عبد الله المزدوري القصبية واخذ البيعة عن المولى خالد ومن معه من الاجناد وقتل بعد ذلك ربيع المولى ابو يحيى ابن اللحياني وكانت ولايته عامين وستة اشهر *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين المولى ابي يحيى ابن اللحياني

هو زكرياء ابن الامير ابي العباس احمد بن الشيخ ابي عبد الله محمد اللحياني ابن المولى عبد الواحد بن ابي بكر بن الشيخ ابي حفص عمر اخذ له البيعة حين دولته المزدوري واقبل هو بعد ذلك ثاني رجب من السنة المذكورة يعني سنة احدى عشرة ونزل الحمديّة وجددت له البيعة هناك ودخل لرأس الطائفة ومرض الجند واسقط من لم يكن ثابتاً وكانت له مشاركة في العلم والادب وقد طعن في السن وكبر ولس الامر وجربها وتحرك عليه المولى ابو يحيى ابو بكر من الغور الغربية فعلم ان ليس له طاقة على لقائه واضطربت عليه البلاد جميع الاموال والذخائر وباع كل ما في القصر والكتب التي جمعها ابو زكرياء بيعت في الوراقين وجمع نحو عشرين قنطاراً من الذهب سوى الفضة والدر وغير ذلك وخرج حلة قابس ثم الى طرابلس وكانت مدته الى ان بويح ولده ابو هرون

سنة اعراف وثلاثة اشهر ونصف وقدم بعده المولى ابو صربة وكان الامير ابو عبد
الله محمد ابن السجستاني عرف بابي صربة مسجوناً عند قاضي الوقت المهدية
فاطلق وتبى للملك المولى ابي بكر وكان حجة بن عمر بن ابي الليل من بطانة
ابن السجستاني واحوه مع ابي بكر فدرس اليه ان يحفل بالعسكر فاخذل
عسكر السلطان ابي بكر ورجع الى قسطنطينة ودخل ابو صربة لتونس
سنة سبع عشرة وسبع مائة في منتصف شعبان وبويع بالحصرة وتلقب
بالمستنصر ولم نطل ايامه واعاد عليه الكثرة المولى ابو بكر فهرب ابو صربة
الى المهدية وتحصن بها وبلغ خبره الى ابيه بطرابلس فبعث اساطيل الى
المهدية فحتمل ماله واهله وسافر الى مصر وذلك في ايام الملك محمد بن قلاوون
فاكرمهم وكانت مدة ابي صربة ثمانية اشهر وثلاثة ايام واستولى على
تونس المولى ابو يحيى ابو بكر *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين المولى ابي يحيى ابي بكر
هو ابن المولى ابي زكرياء بن المولى ابي اسحاق ابراهيم بن المولى ابي
زكرياء بن المولى ابي عبد الله محمد المستنصر بن المولى ابي زكرياء بن
المولى عبد الواحد بن ابي بكر بن الشيخ ابي حفص عمر بويع في الثامن
عشر من ربيع الاول سنة عشر وسبع مائة وكان رحمه الله شجاعاً جليل الصورة
كامل القامة محبوباً عند الخاص والعام ولا يولي قاصياً حتى يشهد فيه بالخير
وكان قاصيه ابن عبد السلام وقد تعرض له في بعض احكامه القائد ابن
الحكيم فاعطى القاصي بابه وامتنع من الحكم فانتبه له السلطان وقال
له نطالبك بين يدي الله ان توجه لاحد على ولدي حق وتركته وكان
يحب الشرفاء ويكرمهم وكان جده ابو اسحاق ابيهم في زمان الموحدين *
ولما تولى المولى ابو بكر حوزهم الرباع وملكهم اياها فقتلهم فيها
وكانت له وقعة مع بني عبد الحميد وسافر عن تونس عدة مرات وهم
العرب وفك رقاب اشيئهم ودانت له البلاد وتلقب بالملك على الله * وفي
يامه فتح قائد ابن الحكيم المهدية وكانت في طاعة السجستاني وولده

من بعده فتحت سنة تسع وثلاثين * وبقي سنة ثلث وأربعين نزل العرب
على تونس ولم يتخلف منهم احد وانماوا سعة ايام ثم ارتحلوا وخرج السلطان
في اثرهم وهزمهم هزيمة شنيعة على رقادة ورجع الى حصرتة وجلب له ابن
تافراجين وقص على قائده محمد بن الحكيم وعذبه بالسياط واخذ جميع امواله *
وقسيل ان الذهب الذي اخذ منه وزنه خمسون قطارا سوى الفضة
والجوهر والياقوت ومائة وستين حبة من الربع وقتلهم بعد ذلك وكان
بتونس في مدنه اريد من سبع مائة حانوت للطيرة وكان يصنع بتونس
كل يوم اربعة آلاف قفيرة من القمح الى تبال والى نطحين والى تغربل
والى تلعجن وزعت البلاد في ايامه وطالت ايامه الى سنة سبع وأربعين
فدخل دياره هلال شهر رجب على مادة فصاة المحصرة وهو في رياسته بابي
فهر فلما قراه قال - لا اله الا الله دخل رجب - وكررها مرارا ثم قام
وتطهر واخص الصويرة واخترت معه انه يموت في رجب ثم ركب
واخترق الاسواق ودخل الشعب ولم تظهر به زيادة ثم حكت بكنته
فخرجت له حبة صغيرة اخذته منها الحمى ثم توفي ثاني يوم الشهر وكان
عين ولده اب العباس لا خلافة وكان ببلاد الجريد وبقيت اولاده في الاعمال
ولم يبق بين يديه الا ولده ابو حفص عمر فجلس بعده للخلافة *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين المولى ابي حفص عمر

هو ابن المولى ابي يحيى ابن بكر بن المولى ابي زكرياء بن المولى
ابن اسحاق ابراهيم بن المولى ابي زكرياء بن المولى ابي عبد الله محمد
المستنصر بن المولى ابن زكرياء بن المولى عبد الواحد بن ابي بكر بن
الشيخ ابي حفص عمر الفندقي بوقع يوم موت والده ثاني رجب وام باثنت
عشر ايامه لاختيه اب العباس وذلك بامارة ابن تافراجين فلما بلغ الخبر
لابن العباس حزن حزن رديا في المحصورة ونزل اليه عبد المستنصر
في ليلته مع اخيه ووردت اليه نسق اجمعان فخص ابن تافراجين
ورجع الى تونس واخذ دخائره ومصر الى المغرب وكر السلطان عمر الى

تونس وبعد هرب الى باجة ودخل ابو العباس البلاد والقيام بها سبعة ايام وبعد
سبعة ايام رجع المولى عمر من باجة ودخل المحصورة عند الفجر فخرج ابو
العباس هارب على وجهه لا يدري اين يذهب وقامت العامة على من بها
من العرب فلم يفلت الا القليل منهم وابو حفص عمر زاد خطبة مابعت
في جامع سيدي يحيى السليمانى وكان يثقل من علامته خراب تونس
مبع خطب تكون بها * قسست اليوم بها ثلث عشرة خطبة والعلم
عند الله * واقام المولى عمر الى ان تحرك عليه ابو الحسن المريني فهرب
من تونس فدبركم طلب المريني عند قابس فقتل هناك وكانت ايامه
بتونس عشرة اشهر وثلاثة عشر يوما ومات سنة ثمان واربعين وسبع مائة
وانتقل الامر الى بني مرين *

الخبر عن خلافة الامير ابي الحسن المريني

هو علي بن الامير ابي سعيد عثمان بن الامير ابي يوسف يعقوب بن
عبد الحق المريني وتذكر نبذة من نسهم لريادة الفائدة . بنو مرين فخذ من
زنانة واليسابون مختلفون في نسبهم ولكن يجمع نسبهم في قيس غيلان
ونكحوا في البربر * وكان قبايل البربر يجاورون العرب في مساكنهم
وتفرقوا في زمن داود عليه السلام لما قتل ملكهم جالوت ففرقوا ايدي سبا
واثوا المغرب * فمنهم من سكن الجبال . ومنهم من سكن الهاد . ومنهم
من تم على حاله ولازم البراري على عادة العرب * وبنو مرين كانوا يسكنون
بلاد القبلة من راب افريقية وينتقلون من مكان الى مكان وجل اموالهم
الابل والخيول وطعيمهم اللحم والتمر ودخلوا بلاد المغرب سنة عشر وست مائة مثل
مدخلت لموت فوجدوا البلاد خالية وملوك الموحدية اختلقت اراهم
فشوا الغارات وقطعوا الطريق فبعث اليهم المنتصر من بني عبد المؤمن
جيشا فجزموه واخذوا ما فيه واستحل امرهم وهاجم الناس ولا زال امر بني
مرين ينمو الى ان ملكوا بلاد المغرب والاندلس وكان ملكهم بمدينة تلمسان
واول من تملك منهم الامير ابو محمد عبد الحق بن خالد بن يحيى بن ابي

بكر بن جانة بن محمد الزناتي المريثي ويحيى بن خالد شهد غزوة لاراك مع يعقوب المنصور واستشهد هناك وعبد الحق كان من أهل الصلاح والخير يسرد الصوم كثير الذكر والتسبيح ولا يأكل إلا الحلال من لحوم ابله وغنمه وقدمته موبن على تديروها ومساعدة القدر وتوارث الملك من بعده بنوا الاربع - ابو سعيد عثمان - وابو معروف محمد بن عبد الحق - وابو بكر بن عبد الحق - ويعقوب بن عبد الحق * ويعقوب هذا دخل لاندلس نحو عشر مرات ونكا المشركين وفعل بهم العجائب وجاهد في الله حق جهادة وله في ذلك اخبار عجيبة اختصرناه خوف الاطالة وكانوا سلاطين المغرب ونسبوا بامراء المسلمين كما كانت لتونة وقرضوا دولة بني عبد المومن من المغرب وخطبوا لبني حفص في اول الامر ثم استقلوا بالملك الى ان اخذ الملك منهم الشرفاء وملكوا مدينة فاس ومراكش ولم يبق منهم احد في يومنا هذا * ولـسنرجع الى خبر ابي الحسن وتملكه السلاطون الافريقية والسبب فيه ان ابن تافراجين لما فر الى المغرب وفد على ابي الحسن المريثي واستخذه على ملك افريقية فتصركت من العرب واجتمعت عليه الاعراب واخذ بجاية وقسمطينة وانزل صلمه فيهما وملك افريقية وصار رسوم الموحدين ودخل تونس بجيش لا تحصي وشرع في بناء مدينة فوق سيحوم سبها المنصورة لسكنى جيشه فان المدينة لم تسعهم * وقـليل بايعه بنونس خمسون سلطانا في يوم واحد من بني عبد الواحد والاندلس وغيرهما * ولـسما تملك البلاد منع العرب من اطميتهم ومنعهم الاطاعت فتضربوا عليه وشنوا العارات في جميع البلاد فخرج اليهم والتقى معهم قرب القيروان فانخذل مسكرة وفر هو الى القيروان هاربا فاخذوا محاسنه بها فيها وحاصروه بالقيروان ومعه ابن تافراجين وذلك سنة تسع واربعين وكانت العرب تميل الى ابن تافراجين فطلبوه من السلطان لينتقوا معه على الصلح فلما خرج اليهم قلده حجة سلطانهم المسمى بـابي دهرس واسمه احمد بن عثمان بن ابي دهرس من بني عبد المومن كان مستترا في بلد توزر فدلهم

عليه بن عرفة فتصبوه للخلافة وتوجه أبو دؤوس وابن قافراجين لتونس
وحاصروا قصبتها ورموا عليها بالمنجنيق من ربح العلم سعد وكان بالقصبة
ولاد السلطان وماله ورجاله * وفي أساء ذلك داخل السلطان أبو الحسن
بعض العرب من أولاد مهليل أن يفرجوا عنه من الحصار على مل اشتراطه
عليه فوعى لهم به واسروا به إلى سوسة وركب منه في البحر وقدم إلى
تونس * ولما سمع أبو تفرجين ركب البحر وفر إلى الإسكندرية
في ربيع سنة تسع وأربعين فلما مقده أصحابه تشتت جمعهم ورحلوا عن
تونس فخرج أولياء السلطان من القصبة وملكوا تونس وأقبل السلطان أبو
الحسن في ربيع الأخير من السنة المذكورة وانقضت عليه افرقية واشتد
الغلاء حتى بيع قمير القمح بنمانية دنير * فسلبت لا حول ولا قوة إلا
بالله كيف عد أهل تونس هذا القدر عندهم غلاء ولو شادوا ما عيشوا
لعدوه من الخس لاذا شاهدناه أضعاف ذلك * وكسر الروم ما انتهى
عدد الاموات الى شح كل يوم وفيه مات القاضي ابن عبد السلام والفقيه
العابد سيدي يحيى السليمانى ونحرك المولى أبو العباس لاحد تونس *
وبعد انباء ذلك باع السلطان ابا الحسن المرنى أن ابنه ابد عثمان استقل
بملك المغرب لانه سمع بوفااته بالقيروان وقت حصاره بها وشهد له
بذلك جماعة فقام نفسه في سلطنة المغرب * ولما سمع به حيا بعث الجميع
صائله ان يصدوا ابيه عند نوجه وخرج أبو الحسن من تونس وركب
البحر ونوجه للمغرب وخلق بتونس ولده الفصل سلك ان ازعمه منها أبو
العباس المفضي فالحق بالمغرب وخسر أكثر من هذا تركته للاختصار *
وسكانت مدة السلطان أبي الحسن بافرقية الى ان خرج منه ولده الفصل
آخر دي القعدة سنة خمس وسبع مائة عامين وستة أشهر وخمسة عشر يوما
ورجع ملك افرقية إلى بني حفص وملكها المولى أبو العباس *
الحسبر من خلافة لاميرو المولى أبي العباس الفصل
هو ابن المولى أبي يحيى أبي بكر بن المولى أبي زكرياء بن ابراهيم

ابن أبي زكرياء يحيى بن محمد المستنصر بن أبي زكرياء يحيى بن عبد
الواحد بن أبي بكر ابن الشيخ أبي حفص عمر الهنتاتي بوبع أول ذي
الحجة سنة خمس وسبع مائة * وأسس ملك تونس ركن إلى الراحة
واللهو وأهوت العرب على دولته وكان صاحبهم أحمد بن عتوا قد شاركهم
العرب في الديوان ورجية الطعام والماشية وأخذوا البرطيل على تولية الشهود
وزوج أبو العباس الفضل اخته لأبي الليل بن حرة رجاء أن يطول ملكه
ولم يسبقه أحد لذلك ويأبى الله إلا ما يريد * ورحسح الحاجب ابن
تافراجين من المشرق هو والشيخ عمر بن حرة فاتفق ابن حرة مع أخوته
على إدخال ابن تافراجين لتونس * وبعثوا إلى أبي العباس الفضل فقال
لا سبيل إلى إدخاله فبعثوا إليه صل إليه فتحدث معه فخرج مع جماعة
لهم فقبضوا عليه وعلى أصحابه الذين معه وجردوا وأخذت دوابهم ودخل
ابن تافراجين لتونس وأخرج المولى أبا إسحاق إبراهيم مجلس
الخليفة وقتل المولى أبو العباس وأخرج جادى لأولى سنة إحدى وخمسين
وسبع مائة فكانت مدته خمسة أشهر وأربعة عشر يوما *

الخمسبر عن خلافة الأمير أبي إسحاق إبراهيم المستنصر

هو ابن المولى أبي يحيى أبي بكر بن عبد الرحمن بن أبي يحيى
زكرياء بن محمد المستنصر بن أبي زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن
أبي بكر بن أبي حفص عمر جلس مجلس الخلافة بعد أخيه * واستوزر
ابن تافراجين فقدم بتدبير دولته وعلمت همة ابن تافراجين إلى أن سلم
عليه بسلام الملوكة واستخلص قواعد البلد من أيدي العرب وهي بلاد
قرطاجنة والقيروان وسوسة وباجة وتبرسق والأربس وجعلها بأيدي خدامه
واستبد بالمجايبي الداخلة والخارجة وشرع في بناء السور الذي يحيط
بأرباع تونس وحبس عليه نصف خراج الأرض ونصف كراء المعاصر التي
بدخله لأصلاح ما يفتقر منه * وفي سنة خمس وخمسين أخذ السلطان
أبو عنان المريني بجاية من أيدي الموحدين * وفي سنة ست وخمسين

أخذت الصاري طرابلس وجعلوا ما فيها وسكنوها خمسة أشهر * وفي سنة
ثمان وخسين أخذ السلطان أبو عنان قسطينة وفي * آخر شعبان وصل
أسطول أبي عنان لتونس فطاردهم ابن تافراجين وهزمهم ثم وصل الخبر بأن
محملة أبي عنان واصله ففر ابن تافراجين الى المهدية فدخل أهل الأسطول
وملكوا تونس وكتب البيعة لأبي عنان وهو بقسطينة وخطب له بأفريقية
ما عدا المهدية وسوسة وتوزر وبقي الأمر على هذا شهرين * ولما أراد
أبو عنان التوجه لتونس لجأ إلى عليه جيشه فرجع إلى المغرب فقامت
نفرة في عسكرة الذي بتونس فاجروا إلى أجنانهم وتركوا ما كان معهم
ورجع ابن تافراجين من المهدية وجمدت البيعة لأبي إسحاق فدخل
المحصنة في ذي القعدة سنة ثمان وخسين وسبع مائة * وفي سنة ستين
أخذت الصاري الحمامات * وفي شوال سنة إحدى وستين توجه السلطان
أبو إسحاق إبراهيم وملك بحاية من أيدي المرينيين * وفي سنة ست
وستين قروي صدق المولى أبي إسحاق على ابنة ابن تافراجين بـ
ابن مرزوق قراه علامة الوجود الشيخ ابن عرفة * وعدد الصداق اثنا
عشر ألف دينار وتسعون خادما وتوفي ابن تافراجين عقب ذلك * وفي
رجب سنة سبع وستين جهد الكتابة التي بلارورد في قبة جامع الزيتونة *
وفي سنة سبعين وسبع مائة توفي المولى أبو إسحاق في الثاني عشر
لرجب فجاءت فكانت مدته ثمانية عشر عاما واحدا عشر شهرا وخمسة عشر
يوما ونصب ولده من بعده وهو يحيى لم يمهز الحلم *

الخبر عن خلافة الأمير أبي الهيثم خالد بن المستنصر

هو ابن المولى أبي إسحاق إبراهيم بن أبي يحيى أبي بكر بن أبي
زكرياء يحيى ابن المولى إبراهيم بن أبي زكرياء يحيى بن المستنصر بن
يحيى بن عبد الواحد بن أبي بكر ابن الشيخ أبي حفص عمر جلس
بعد موت أبيه وحسب له أحد اليه لقي * فلم يترك أحد للأمير خالد
شيئا فانتهب أموال الناس وأهان لاشراف فغضب على الس ذلك واختل

الامر فالحق منصور بن حرة بالمولى ابي العباس وحضر على ملك افريقية
وكان بقسطينة فقبض ابو العباس على تونس ونلقته وجوه افريقية
بالطاعة وانتهى الى الحاضرة وحاصره اياما ففر الامير خالد واصحابه من
باب الجزيرة وانطلق الجند في اتباعهم فقبض على الامير خالد واعتقل ثم
وجه به وبخيه في البحر فعصفت بهما الريح فغرقا وكانت مدته بتونس
سنة وتسعة اشهر *

الخبر عن خلافة الامير ابي العباس احمد بن المستنصر
هو ابن الامير ابي عبد الله محمد بن ابي يحيى ابي بكر بن ابي زكريا
يحيى بن المولى ابراهيم بن المولى يحيى بن المستنصر بن يحيى بن عبد
الواحد بن ابي بكر بن ابي حفص عمر بويق بتونس ذني عشر ربيع
الاخير سنة اثنتين وسبعين وسبع مائة * وكان رحمه الله شجاعا دينا عادلا
صفوحا جال في بلاد المغرب ووصل مع السلطان ابي سلم المريني الى
وزار الشيخ ابامدين وعهد الله عنده ان لا يكاي س عمل معه سوا الا
بخير * ولم ملك افريقية رفع انواع الفساد وكفح العرب على الشعب وانتزع
ما بايدهم من الامصار وانمي اليه ان محمد ابن تفرحين داخل العرب في
الفساد فقبض عليه واعتقله بقسطينة الى ان مات بها ثم لم يزل يحاول
امر العرب الى ان قطع دابرهم وافتتح بلاد فغصه واحد شويح بن العبد
واستولى على اموالهم وفتح توزر واحتوى على ذخائر شيخها ابن يملول *
ومن حسنات المولى ابي العباس احمد اقامته القراءة في الاسبوع بالتصويرة
خربي جامع الزيتونة واقف على ذلك وقفا موبدا والسقاية التي يطحاه
الشيخ سيدي مردوم نفع الله به داخل باب قرطاجنة واقف عليها
اوقف جليلة واسارة البرج الذي هو شرقي قرطاجنة للاخضر اس ورفع التصف
عن قراها عند خروج السلطان لذلك المكان وبسوة تلوه الكبير بزنقة ابن
عبد السلام قبالة باب البهور جربي الجامع الاعظم ليصوم به رمضان كل
سنة واخباره اكثر من هذا ذكرها ابن الشماخ والطال في مدحه وحق له

ذلك * فسلط هذا الملك هو المدوح العلامة بدر الدين ابن الدمايني
 رحم الله تعالى الجميع مدحه بقصيدة بديعة اتي فيها بجميع انواع البديع
 ولا بدع ان طلع بدر التمام من ذلك الجانب الرفيع وبعث بها من ثغر
 الاسكندرية الى الحضرة العلية ولكن ما استوفى له حق من حقوق
 السالكين لهذه الطريقة واحار به جائزة اذا ذكرت بين اهلها قالوا هذه
 سحار لا حقيقة * وذكر الرركشي مولاهم في شرحه لهذه القصيدة ونشر
 در معنيه وان كانت هي الدرة الفريدة ان المدوح ارسل لما دحا صدد
 ابيته دنائير فاهتمرها ابن الدمايني فقل له الرسول ان مولانا جعل هذا
 القدر جائزة لك في كل سنة * وهذا من طرف الرسول انظر ايها المتامل
 الى كساد سوق كادب ونفاذ في الصدر الاول في ايام بني العباس حيث
 انابوا عن المدح بالوف درهم على البيت الواحد وسروا بن ابي حفصة
 من اخذ هذا الدر في ايام الرشيد وهلم جرا الامر من بعده ولكن بعض
 الشعراء من بعض ولا يحسن اليوم في زمان او مدح اعلم بنظم الدر
 لم يحرك احد بخرف * وهذه القصيدة مدح بها لما افتتح مدينة قابس
 وذلك انها خرجت في الركن السابق من ملوك صنهاجة واستقل بها
 بنو حاتم من الهلاليين الى ان اخذها الموحدون من بني عبد الواس ثم
 ابرها قرائش الارمني الملقب بشرف الدولة مملوك الملك المطهر صاحب
 مصر وكن بينه وبين الميسوري صاحب المهدية مهادنة واستخلصها
 مملوك بني حفص في اول الدولة ثم عصت عن امير المؤمنين ابي العباس
 احمد فاستنجد بعد حصار وجهود واهل الدمايني الى فتحها بثول في
 قصيدته :

ومن نوره ابدا السناء لقابس فلاح لها نور على الحق يسفر
 وفي ايده اقل عبد الله الترحم وكان قسيسا من اقسمة النصارى فاسلم
 على يديه وهو صاحب كتاب تحفة الاربيب في الرد على اهل الصليب
 ذكره في هذا الكتاب واني عليه خيرا * وفي ايامه جاءت الجنود

والفرانسييس في ثمانين قطعة ونازلوا الهدية واقاموا عليها نحو شهرين ، وبعث اليها ابو العباس جيشا فكانت بينهما وعات وارتحلوا منها خائبين وتوفي رحمه الله ثلاث شعبان سنة ست وتسعين وسبع مائة وسنة سبع وستون سنة ومئة ولايتهم بتونس اربع وعشرون سنة واربعة اشهر رحمة الله عليه * وهو الذي شيد رسوم بني حفص بعد اندراسها واقطع منار بني حفص في الخلافة ودعم اساسهم وكملت في ايام ولده السعيد ابي فارس ودرس عمر لاعراب وعمر المدارس *

الخسر عن خلافة الامير ابي فارس عبد العزيز

هو ابن المولى ابي العباس احمد بن ابي عبد الله محمد بن ابي يحيى ابي بكر بن ابي زكرياء يحيى بن ابراهيم بن ابي زكرياء بن المستنصر بن يحيى بن عبد الواحد بن ابي بكر ابن الشيخ ابي حفص صر الهنتاني رحمه الله ببيع رابع شعبان بعد وفاة والده واقام بلامر اتم قيام وتب لا احوال واعطى الاموال واصالح البلاد وقمع اهل الفساد وكان شجاعا حزميا ثانيا معتقدا في الصالحين موقرا للعلماء كثير الصدقات فظن ذكيا مصيحا حبا للاحير واعلم * فمن فضله عموم صلاته لاهل الحرمين وعلماء المشرق بوجه لهم بذلك محبة الركب الحجازي على الدوام ووطنى لاهل الاندلس في كل عام من الطعام وغيره امانة لهم على جهاد عدو الدين * ومن حسناته خزانة الكسب المستعملة على انهاء الدواوين وجعل لها مقصورة بمجنت الملال من الجمع الاعظم واقفها على طلبة العلم ينتفعون بالنظر والكتب بشرط ان لا يخرج منها شيء من محله وجعل لها قومة يقومون بها في نفصها ومناولتها للطلبة وردا لمكانهم ووقت لها وقتا محدودا في كل يوم وكن ملازما لمرآة العلم بين يديه سفرا وحضرا * وقسمال في تحفة الاريب وابطل امك كانت بتونس مهبط سوق الرهامة وكن مجباه ثلثة آلاف دينار * وجبها رحمة الطعام خمسة آلاف دينار * ورحمة المشية عشرة آلاف * وفندق الزيتون خمسة آلاف * وفندق الخضرة

ثلاثة آلاف * والقطارين مائة وخمسين دينارا * وفندق الآدام خمسين
دينارا * وفندق الفحم ألف دينار * وفندق الملح ألف وخمسمائة * ومجبا
لأعمدة ألف دينار * ودار الشغل ثلثة آلاف دينار * وسوق القنشين
مئتي دينار * والصفارين مئتي دينار * وأبطل القيان ونفى الخنشين من
البلد * وأقام العدل في جميع رعاياه بكتاب السنة وانصف المظلوم من
الظالم * وجاءته الوفود من المشرق والمغرب * وغزا صقلية وغنم فيها مغانم
كبيرا * وغزا طرابلس وقابس والحامة وقفصة وتوزر ونفطرة وبسكرة وقسمطينة
وبجاية والصحراء * وكما انت العرب غالبة على من قبله فاهدنهم والزمهم
الركاة والعشر * وقال صاحب القرباس في اخبار ملوك فاس انه ارسل حدية
الى ابي يعقوب المريني وهو بنفسه والناصر بن قلاوون بعث لابي فارس
بهدية حافلة في تلك السنة * هذا لعظيم ذكره في ذلك الوقت * وفي ايامه
عظم شأن المولد الشريف * فليست رحم الله هذه الروح الركية لبل هذا
يقول امير المؤمنين * لاني استعيت على دولة البغاة من الفسدين * ورايت
ابن حجة الحموي ذكر في كتاب قهوة الانشاء له رسالة طنفة من اسدائه
جوابا عن مكاتبة للسلطان المويدي واثني عليه في تلك الرسالة بما يستحقه *
وقال ابن السمعان وافتتح مدينة تلمسان ووصل الى قريب مدينة فاس *
وقال الشيخ الرصاع رايته في حدود السليين والمانمات ببلد تلمسان * وكان
قاضي عسكري ابو عبد الله محمد السمعان ومعه عسكري ابو عبد الله محمد الحسن *
وقرا البيعة القاضي المذكور بجمع تلمسان * وحضر لثرائها علماء الوقت
منهم ابن مرزوق وابو القاسم العقباني وابن الامام وابن النجار وجنات من
العلماء * ونسقت من خط السيد بركات الشريف رحمة الله عليه
قال غرا ابو فارس مدينة فاس لما شكوا اهلها اليه بظلم اجد المريني فغراه
فخرجت اخذت المريني الى ابي فارس فقالت له انك ميت وانهم
ميثون فعفا عنه واعاده الى بلده وامره بالعدل * قال ابن السمعان وفي
سنة خمس وبلين ومائتين ثلث المصاريق بجزيرة جربة وكان السلطان

يولد الجريد فتلاوه الى ان رحلوا منها خائبين * ومن حسناته قطع
القبالة التي كانت تخرج باب البحر وبني مكانها زاوية للصلاة وللعلم * قال
الترجمان وكان فندقا للمعاصي والخمر بجية عشرة آلاف دينار * وكان
ولده ابو عبد الله محمد ولي هذه موصوفا بالخير والعنف والديانة وهو الذي
انشا الزاوية التي يستقيم وجعل فيها جامعا للخطبة ورباطا لطلبة العلم
وسمى للقيمين والواردين * وتوفي سنة ثلث وثلثين ودفن بترربة بقرب
من دار الولي الشيخ سيدي محرز نفع الله به وهو ابو الخلفاء من بعده ابيه *
وتوفي المرحوم ابو فارس عام سبع وثلثين وثمانمئة فجاء بعد ما ظهر
ولبس ثيابه * ودفن حيث دفن ذلك فكانت مدة خلافته احدا واربعين
عاما واربعه اشهر وسبعة ايام * قلت ما اطلت الكلام في هذا المحل إلا
لكون هذا الامام هو واسطة بني ابي حص * واذا ذكرت خلافة الحفصيين
بدونه يظهر في خلافتهم النقص * والله تعالى يكفيه ويجازيه
بأعماله الفخرة * وكما رفع ذكره وقدره في الدنيا يرفعه في درجات عليين
سيف الاخرة * انه سميع جيب *

الخبر عن خلافة الامير ابي عبد الله المتصور

هو محمد ابن الولي ابي عبد الله محمد بن امير المؤمنين ابي فارس عبد العزيز
وهم نسبهم معروف بربع يوم عيد الاضحى صبيحة الليلة التي توفي جده
فيه ودخل المحصرة يوم عاشر راء سنة ثمن وثلثين وثمانمئة وكان شجاعا
كرهنا عينا * ولما ولي اخرج مالا تصدق به على اهل المدارس
وذوي الحاجة والارامل والايتام ووجه بمال الى جزيرة الاندلس تصدق
به على المجاهدين * وامر ببناء زاوية الشيخ سيدي احمد بن عروس وبني
سداية الماء بداخل باب ابي سعدون واقف عليها ما يكفيهم * وشرع في
بناء مدرسة ضخمة بالقرب من سوق الفلقة بتونس المحروسة لقراءة
العلم * وسافر بمحنة كبيرة فاجفل الاعراب بين يديه فوصل لبلد قصصة
فابتداه مرضه الذي مات به فرجع لتونس ولازمه المرض الى ان توفي

ليلة الجمعة الثانية والعشرين من صفر سنة ثمان وثلثين وثمانمائة فكانت مدته عاماً واحداً وشهرين واحداً عشر يوماً ودفن بتربة آبائه رحم الله الجميع *

الخبر عن خلافة الأمير أبي عمرو عثمان

هو ابن المولى أبي عبد الله محمد ابن المولى أبي فارس عبد العزيز بريح صبيحة اليوم الذي توفي أخوه فيه ولم يتخلف عنه احد * وكان رحمه الله من اجل ملوك بني ابي حفص وودعهم طالت مدته وفعل خيرات يكتب ثوابها في صحيفته * فمسن مأثرة رحمة الله عليه ببناء مدرسته في غاية الحسن بركة الشيخ الولي الصالح العابد سيدي محرز بن خلف وجعل فيها مسجداً للصلاة ودرسا لقراءة العلم وماوى لسكنى الطلبة وجعل فيها سماطاً مستمرا يتصدق به كل يوم على المحتاجين وجعل فيها ماء للسيرل واقف عليها م يكفيهم ويكفي سن بها والقومة * فلبث اما المدرسته فبقيتها موجودة واما خيرانها فلم يبق منها شيء وبني زاوية بعين الزميت وجعل فيها جامعاً للصلاة ودرسا لقراءة العلم وربطاً للعاطنين وسماطاً قويا على ممر الايام للقيمين بهس والوافدين واقف عليها وقفاً كافياً ولم يبق منه شيء ايضاً * ومن حسناته احراجها لخزانة الكتب بالمقصورة الشرقية من الجامع الاعظم مشتملة على امهات الدواوين وجعل لها قومة واقف عليها وقف كافٍ موبدا * فلبث والكتب ايضاً لم يبق منها شيء وبعض الوقف باقى لكن لغير مستحقه واما الكتب فقد نالشت لما ملك عدو الدين البلاد وسبني حره ان شاء الله تعالى * وبني ملة مكاتب لقراءة القرآن واحد قبلي الجامع الاعظم وانس بربض باب اسرة والمصاة للوضوء بدرب ابن عبد السلام في غاية الاتس جوفي الجامع الاعظم بتونس واقف عليها وقف كافياً * فلبث وعي الى يومنا هذا بها بقية وان طال الامر نالشت ايضاً * ومنها وتكملته المدرسة التي ابتدا ببناءها شقيقه رحمه الله تعالى التي بسرقى الثالثة على اكمل بدء واتقنه واقف عليها وقف كافٍ فعمرت عمارة عوية * فلبث اما المدرسته فموجودة واما الوقف

فقد اندرس وأدركنا قبل اليوم بها، طلبة مقيمين ولهم ما يسد رمقهم من العيش ثم
 نلأشئ الأمر وتداركها في حدود التسعين والالف من زعم أنه يستغنم ثوابها وأراد
 أن يحيي رسومها بعد خرابها فاصالح مفسد منها وأوقف عليها وقفا لمدرس بها
 وعدة طلبية فاحتوى عليها من يتسبي إلى الفقر فعطل بجاريها وتحصل من الوزر
 ما يقصم منه الظهور ومانرها موجودة ومحاسنها ظاهرة وصاحب التدريس
 اليوم بها شيخنا أبو عبد الله عرفة فسبح الله في مدته * وكان المولى أبو عمرو
 عثمان يكرم أهل البيت النبوي ويحس إليهم ويكرم الضيف ويلزم السرفي
 كل عام لقمع أهل الفساد والتفاني من الأعراب * وهنا انتهى ابن الشماع وزاد
 الزركشي نبذة ولمات بها مختصرة كما اختصرنا ابن الشماع * وذلك لوجوه
 منها الاختصار ومنها خيفة أن تذهب ديباجة كسبه * ومنها أخذنا منه
 الزبدة وترك الزباد والله المستعان * قل الزركشي وخرج بمحلة عظيمة في أثر
 العرب ومسك أكابرهم مثل قصر الدوايدي ومحمد بن سعيد وأسماعيل بن صرار
 ومهلل أربعة من الأسيخ بعد أن احتال عليهم حتى دخلوا المحلة فاعطى
 ألف دينار لكل شيخ وباتوا عند القواد فاصبحوا مصفيين وكفاه الله شرهم *
 قلت هؤلاء العرب أذاهم بالطبع مثل العقرب ولو قطع ذنبها لا يبطل لدغها
 وإلى زماننا نحن منهم على وجل تسال الله أن يحسم هذه المادة بنهم * وأشار
 الشيخ الرصاع في فهرسته إلى هذه الواقعة قبل تجمعت أولاد أبي الليل
 من شيوخ أفريقية وحاصروا المحصرة وأعلنوا بالتفاني فخرج إليهم سلطان
 الوقت أبو عمرو عثمان فنصرة الله تعالى عليهم * وكان الامام العلامة سيدي
 أبو القاسم البربرلي يدعو عليهم بدعوات مبتكرة غير مستعملة فاستجاب الله
 دعاءه فاخذوا واحذت أموالهم وديارهم ونصر الله عليهم الملك وذلك ببركت
 دعاء الشيخ * اه * وقسال الزركشي وفي سنة أربع وخمسين وقل
 أنسب وخمسين كان عرس ولي العهد الأمير لأجل أبي عبد الله محمد المسعود
 وكان عرسا حفيلا ما ربي بتونس مله * قلت هذا المولى لأجل ثم يات
 في بني أبي حفص مثله من حفاف ودبقة وبر وأمانة وهو أبو الجلفاء الأخيرين

لم يل أحد إلّا من ولده * ومسيّت في حياة والده وهو ممدوح الشيخ ابن
الخلوف وكفاه تلك الحال التي طرزا بمدحه في حياته وهي باقية تتشرب بعد
موته ولم مآثر عديدة منها الختم التي كتبها بيك في عدة أسفر وأوقف
عليها ربعا للاستغلال يقيم القاري بها ويقرأ فيها كل يوم بعد صلاة الظهر نصف
حزب أو ربع بحسب الأيام وجعلها على التوابيت بأزاء الربعة التي بها
البخاري من حبس والى بالجامع الأعظم بتونس * ولم أخبار شهيرة بأفعل
البر أصربنا عنها خوف الاطالة * وفي سنة ثلث وسبعين صظم الوباء
بتونس قيل انه بلغ عدد الموتى به إلى أربعة عشر ألفا في كل يوم وحصر
في الزم أربعة مائة ألف عدا سن لم يدخل في الزم نحو المائة إلى *
وفي سنة خمس وسبعين كملت السانية المسماة بالمنصورة قرب برج الصخراء
جوفي جبل الفتح وفيه ساخ مسجد الصخراء وقطعة من الجبل حتى وصلت
جارتها للبحر * وفي جمادى سنة خمس وتسعين توفي ولي العهد المولى
أبو عبد الله محمد المسعود ودفن بمقبرة أجداده جوار ولي الله الشيخ سيدي
عمرز وكان هذا المرحوم انجب بني أبي حنص غفر الله له * ومن حسنات
أبي عمرو عثمان الختم الكسيرة المرسلة له هدية من البلاد الاندلسية
لم ير الراءون أحسن منها خطا وتزويق بالذهب وغير ذلك مما يوله العقل
وأوقف على قارئون يقرأون بها قبل صلاة الصبح وقبل صلاة الظهر وقبل
صلاة العصر ألف دينار سنوية وجعل لها غلافا مرصعا وحي الموضوعته قبالة
النوايت * وبالجملة هو ختم الدولة الحفصية ونظم المجلس الأخيرة في
البلاد الافريقية وطالت أيامه في الملك عن سن كان قبله إلى ان وافده
حمامه وبلغ أجله متبهاة وتوفي رحمة الله عليه * آخر شهر رمضان سنة ثلث
وتسعين وثمان مائة وفام بالامر حفيده *

الخبر من خلافة الأمير أبي زكرياء يحيى

هو ابن المولى عبد الله محمد المسعود ابن المولى أبي عمرو عثمان بويح
يوم وفاة جده وخرج إلى المحامة على حسب العدة فهربت جعته من الحمدة

واخبروا ان المحتلة اخذتها الاعراب وان السلطان مات ومن غد جي برأسه
فوضع على رمح وطيف به واستبد بالملك ابن عمه ابو محمد عبد المومن
ابن الامير ابي اسحاق ابراهيم ابن امير المومنين ابي عمرو عثمان وبويع
في رجب من السنة المذكورة * وفي ذي الحجة منها جي بجنته الامير
يحيى ودفنت عند سيدي احمد السقا وكل ذلك مفتعل * ثم بعد ذلك افتضح
الامر وظهر ان السلطان بالحياة وبعد خسر يطول دخل السلطان ابو زكرياء
يحيى وفر عبد المومن واستقل ابو زكرياء بمسكنه وبعد ايام جي برأس عبد
المومن وطيف به كم طيف برأس الخليفة يحيى وكفى الله المومنين القتال
ورجع الى حصرته بمونس وبويع بيعة دنية ووقع الحلم منه على اناس
وجاءته بيعة بلد الغناب وقابس وصفاقس ودانت له البلاد ونم في ملكه
الى سنة تسع وتسعين وكن فيه وبأه عظيم مات به خلق كثير
ومات به السلطان ابو زكرياء في التاسع من شعبان فكانت مدة ملكه
ست سنين الا شهرا وعشرة ايام *

الحسبر عن خلافة الامير المولى ابي عبد الله محمد

هو ابن المولى ابي محمد الحسن ابن الامير ابي عبد الله محمد المسعود
ابن امير المومنين ابي عمرو عثمان بويع يوم وفاة ابن عمه ابي زكرياء
يحيى وجلس بالقبلة وبيعه الخاضع والعام وكان فطما ذكيا فصحا
محب للخير واهله معتدا في الصالحين وهو الذي بنى المقصورة بطرف صحن
الجامع الاعظم بتونس من الجهة الشرقية مما يلي الجوفي شرفة على سوق
العطارين وسوق الطيبين وجعل فيه كتبا مفيدة وجعل لها قومة يقومون
بها ووقت للاستماع بها وقتا محددا عند اذان الظهر وبعد صلاة العصر
واقف عليها وقفا كافيا وجعل سفينة بسفل منها مما يلي الشرقي حيث
كانت سفينة امولى المستنصر بالله وجعل النظر لاسام الجامع الاعظم وكان
لامام اذ ذاك العالم العلامة ابو البركات ابن عصور سمح الله الجميع
وابيهم على حسن الصنيع * وفي ايامه توفي الشيخ ابو القاسم الجليزي

أول صفر سنة اثنين وتسعمائة ودفن بزاوية داخل باب خالد من تونس
 وحضر السلطان جنزته * وفي سنة أربع وتسعمائة في جنادي توفي الولي
 سيدي منصور بن جردان وخرجت روحه ورأسه في حجر امام الجامع ابن
 صفور بالمقصورة الشرقية من الجامع وكان عمر الشيخ ابن جردان
 خمسة وثمانين عاما وحمله الامام الى موضع سكنه برنقة ابن عبد السلام
 فغسله وكفنه وخرجت جنزته من هناك ودفن بزاوية بحوانيت الفار
 نفعا الله ببركاته * وفي ايام السلطان محمد كانت وقائع بينه وبين
 العرب وهزيمة على القيروان ورحل تونس في ثمانمائة من الخيل * وفي
 ايامه خرجت بلاد كثيرة عن حكمه وهو الذي ملك الجزائر للدائد عروج
 التركي وكان بها برج للنصارى صبق عليها فملكها عروج واخذ البرج *
 وبعد السنة الرابعة التي كانت فيها الواقعة على اهل تونس كما سيأتي وتمكن
 الانباطور من تونس ارسل اليها عمارة لاختذها وكان بها حسن ائمة نائب
 من خير الدين باننا وبها شيخ شريف واراد حسن ائمة ان يهرب فمنعه
 الشريف واتى امر الله فكسرت العمارة بالريح فصارت لهم ديمية وهو
 سب قوة الجزائر كذا نقلت من خط السيد الشريف بركات رحمه الله
 ومن خطه ايضا ان السلطان محمدا بعث محمدا الغربي رسولا الى سلطان مصر
 وهو الملك الغوري وذلك في اول دولة السلطان محمدا وارسل له الغوري هدية
 وفيها الزرافة قال وكان الغربي شاخ بباب السويقة فحافه محمد فقتله
 قدرا * وقيل احدث طرابلس من يد محمد سنة أربع عشرة وتسعمائة
 قام بها ابن قراب وملكه للنصارى وبعث لهم جيشا مقدمه الفائد محمد
 ابو حداد وكان من اكبر قواده فبارزة قبطان النصارى فاحذه ابو حداد
 بالحملة وساقه اسيرا وابو حداد هذا كان فائد توزر * والسلطان محمدا
 هذا كان ختام بني ابي حفص ومن بعده اسم لا رسم وتوفي رحمه الله يوم
 الخميس الخامس والعشرين من ربيع الاخير سنة اثنين وثلاثين وتسعمائة
 وتولى بعده ولده الحسن *

الحمبر من خلافة كالمير ابي محمد الحسن

هو ابن محمد بن الحسن بن السعدي ابن المولى ابي عمرو عثمان بوبع يوم وفاة والده يوم الخميس الخامس والعشرين من ربيع الثاني سنة ائتين وثلثين وتسعمائة * ولمسا تولى رفع المكوسات كلها واجرى على الناس العادة العثمانية وسار سيرة حسنة في اول الامر * وهنا انتهى النقل الذي قيده الزركشي ولم اطلع على ما سواه الا ما نقلته من اهل الحاضرة ولهذا ناني به جلا لا تفصيلا ولم اعيد نفسي لتاريخ الوقائع لقلته الضبط ولم اجد من له اهتمام بهذا الامر فقول وبالله المستعان - سمعت من يذكر من اهل تونس ان السلطان الحسن ساءت سيرته في الناس واضطربت عليه البلاد وخرجت عن طاعة مدينته سومت فقام فيها صهرة القليعي * وقدم عليه بالقيروان الشيخ عرفة وكان من مرابطي القيروان من ذرية الشيخ سيدي نعمون وهو جد الشابين قم على السلطان الحسن وبيع لرجل من لشونة اسمه يحيى اوقفه في السلطنة وادعى انه حفصي جاء من المغرب ولم له الامر وهو في الحقيقة اسم لا رسم والشيخ عرفة ينفذ الامر * وفر بعد ذلك يحيى من القيروان ودخل تونس في ايام السلطان اجد وهو مشكر نظره في المراكز فقطع راسه وطيء به * ولمسا مات الشيخ عرفة صاحب القيروان قم بالامر بعده ابن اخيه واسمه محمد بن ابي الطيب ولم يزل يحارب السلطان اجد الى ان اخذ القيروان من يده درغوث باشا بارسال اهل القيروان الى درغوث وهو بمدينة طرابلس * فسلموا له البلاد لما جاءهم وانصرفوا عن ابن ابي الطيب وذلك ففتح سيرته في الناس وكان يحارب السلطان اجد مدة حياته وبينهم عدة وقائع * ولم اخذ درغوث في مدة السلطان اجد الحفصي اخذ ابن ابي الطيب وعلق وفرت اسماعهم من القيروان وسكنوا البادية وهم الذين يقال لهم الشابين * لان اصاهم من الشببة والصبية وهي بمدة قبلته المهدية هند ممكن يقال له قبودية * والعسرب الذين يقال لهم درود هم

تلاميذ للشابسية وهم طوائف كثيرة لا يستحقون له تعريف في زماننا *
والشيخ عبد الصمد الذي أدركناه معن خرج من القيروان عند انصرافهم
وهو اذ ذلك دون الاربعين يوما ولم اطلع على اسم ابيه والغالب على ظني
انه ابن محمد بن ابي الطيب واستحكم في دريد فيما بعد وشاخ عليهم
ولم اخبر ليس هذا موضعها وقام بعده ولده علي وكنيته ابو رغبة ثم ابنه
ابو زيان * وفي ايام ابي زيان خرجت اكثر رعاياه عن طاعته ودخلوا
في طاعة الترك ومنه خروجهم من القيروان دخلتها الاثراك واقاموا بها *
وكان دخولهم على يد رجل من خدام الشابييس يقال له الغالي وهو
الذي تسبب في مجيئ الترك لاجل واقعة يطول شرحها * اه * ولنرجع
على خير السلطان المحسن * وفي ايامه كانت قسطينة في ايدي الترك
وانما كان ولده احمد نائبها بيلد العيب * وفي ايامه تغلبت الاعراب على
جل البلاد * وكانت الشوكة في اولاد سعيد لانهم استغلوا بالبلاد بعد
اولاد مدافع والشرح لما انقضوا فعدت اولاد سعيد في البلاد وهادنهم السلطان
المحسن بستين الف دينار على الوطن * وفي ايامه جاءت صارة من بر
الترك لاحد تونس ارسله ابراهيم باشا وكان وزيرا للسلطان سليمان بن
السلطان سليم فاتح مصر . وكان ابراهيم باشا صوب الدينار باسمه وهو اول
وزير تولى الوزارة من اولاد السراية واهلكه كالدلال والاعجاب بنفسه
وعاش سنة احدى واربعين وتسعمائة وكان مخادعا لسلطانه فارسل
خير الدين الى تونس من غير اذن سلطانه فنزل تونس واخذها وفر عنهم
المحسن ودخل خير الدين على تونس واستغل بتقصيته ولم اقل على صحة
خبركم كانت مدته الا انه كان قبل الاربعين والتسعمائة والصحيح عندي
والله اعلم انها كانت سنة خمس وثلاثين او ست وثلاثين * وقام اهل باب
السويقة على خير الدين وكانت بينهم مقتلة عظيمة مات فيها خلق كثير
من الدينيين * وكانت من باب القصبة الى باب البنات على حومة العلوج
وفش القتل في الناس وانجز القتال * وبسعت خير الدين بالامن

وانعكس المريدون . وخير الدين هذا هو الذي نفى العالم مغرب الخوفه منه لما ملك تونس ومغوش هذا كان في دولة الحس وجيهه فخرج الى المشرق وحج ودخل الى الديار الرومية والتقى مع العلامة الشيخ المقي بللك البلاد علامة وقته ابي السعود افندي رحمه الله * وظهرت فسايل العلم مغوش هنالك وطارح علماء القسطنطينية واعترفوا له بالفصل وتوفى في ذلك العصر الى ان ام بالملك السلطان سليمان خان وكل ذلك من بركة العلم وبركة الشيخ سيدي منصور بن جردان نفع الله به * ولما تمكن خير الدين بتونس جاءت عمارة من بلاد النصارى استنجد بها الحس من قبل الانبراطور فيها مائة الى مائة * فسالت الانبراطور في ذلك الرمان هو صاحب اسبانية دمره الله وانما نسي بهذا الاسم لما نكس على اكثر بلاد الاندلس فشغ بانفسه وتسمى بالانبراطور ولم يكن هذا الاسم لاحد من اجداده والانبراطور من اسماء ملوك الامان لان ملكهم قديم والانبراطور عندهم كالخليفة عند المسلمين وانما نبهت على هذا لئلا يظن انه الانبراطور المعهود * ولما نزلت النصارى قدامهم لاثرائ وتن انصار اليهم من المسلمين وعددهم ثمانية عشر الفا والتقى الجمعان بحربة الكلخ شرقي تونس وخير الدين معهم وانتشبت القتال بينهم وكانت مقتلة عظيمة * وظهرت جماعة خير الدين في ذلك النهار وكادت ان تكون له على المصري اذ والخبر انه ان القصة احدث وان الاعلاج الذين بها فتحو الباب ففر خير الدين من وقته وتن معه الى المغرب * واعترضه العرب عند تبرسق فكانت بينهم حروب شديدة ونخلص منهم الى ان وصل بلد الغناب وركب البحر في عشرين غرابا وسياني بقية خيرة ان شاء الله تعالى * ولما دخل الحس الى قصبة واطمانت الدس وقعد كل صانع في صناعاته واهل الربع فتحوا ربعم واطمانوا في اماكنهم دهمهم عدو الدين فهجمت النصارى عليهم على حين غلة في قائلته والاسواق مفتوحة فاحذوا ما فيها من لامتعة وقتلوا اهلها وسبوا خلقا كثيرا وفر الناس بعيالهم ممن قدر على الهرب

وراحوا إلى ناحية رغوان * فبعث عظيم النصارى إلى العرب وجعل لهم
جعلا على كل مسلم أنرا به إليه فخرجت العربان في طلبهم وأخرجوهم من كل
مصب وواد وأنوا بهم إلى النصارى فكان طلب العرب لهم أصعب من طلب
النصارى وأخذوا ما شرطوا لهم والبعض فدى نفسه من العرب وبعث
فدية الرجل ألف دينار وأكثر وأقل ومن لم يقد نفسه من كافر العرب
تملكه الكفرة الآخر وكان هذا الخطب جسيما * وهذه الواقعة هي
المعبر عنه - بخطر لا ربعا * وكان السلطان المحسن أباح البلد للنصارى
ثلاثة أيام * وإلى هذه الواقعة أشار العالم ابن سلامة في قصيدته التي
يشوق فيها إلى تونس ويندب أهلها * ويذكر أيامها الرافعة في حل
الدعة كفى تغيرت وتبدلت أحوالها * ولقد سر في تقلبات الزمن *
كل يوم هو في شأن * وقيل في هذه الواقعة أسر الثالث ومات الثالث وهرب
الثالث * وسمعت من سيوح البلد من يقول عدد كل ثلث ستون
ألفا والله أعلم بحقيقة ذلك وكانت هذه الرافعة سنة إحدى وأربعين
وتسعمائة * وأما خير الدين فإنه فر من بلد العذب في عشرين غرابا
ورجع إلى بر الترك فعثر على سفينة وفيها رسول من عند إبراهيم باشا فأخذه
خير الدين ورجع به إلى السلطان سليمان وكان مع الرسول دلائل الخديعة
التي لأبراهيم باشا فعنه عن خير الدين وقتل إبراهيم باشا بيده * ولما تفرق
الأمراء عن تونس بعد نهيب طابته نفسه بأخذ الجزائر فبعث إليهم رسالة
فكان من أمرها ما تقدم ذكره ومن ذلك الوقت لم يضع نكاح على رأسه ولا
أحد من ذريته إلى يومنا هذا وذلك أنه لما سمع بمسارعة عمارته على الجزائر
رمى بجراحه إلى الأرض وأقسم لا يضعه على رأسه إلا بعد أخذه الجزائر
وحلم جراحه في قبة زادهم الله حية * وعند استقرار المحسن بتونس
تراجع بعض أهل البلد بعد الشنث والنهب وحسب الوطن إلى أهل من
الأيام * واستقضى السلطان المحسن بعد هذه الواقعة الشيخ سالم الهواري
وكانت فيه رحمة للس في تأمينهم على أملاكهم وسار فبهم سيوة مسكورة

ابا به الله على صنعه * والشيخ سالم عند اهل تونس يقولون كانت له
صهوة ايام صباه واقطع من ذلك واقول وانا استغفر الله معاذ الله ان يكون من
اهل ما ينسبونه اليه فان اهل المحصرة من العلماء في ذلك العصر كانوا
اهل دين وعفاف فكيف يقدمون من كانت فيه تلك الخصال الغير المرصية
اللهم إلا ان يكون بدت منه ايام الشباب واقطع بعد او هذا من احوال
المبغضين والعلماء لحرمهم مسيحتهم والله اعلم بذلك * وبعد سنة الاربعاء
جمع الحسن عربيا وجمع جوع وخرج الى القيروان اتصد احتكاكها من يد
الشبيبين فلما قرب منها ونزل باطن القرون خرجت اليه اهل القيروان
فكبسوه ليلا فنهزم هو ومن معه واخذت امواله ورجع مكسورا . فاقسم لا
يرجع عنها بحال وعزم على اخذها بالنصارى كما اخذ تونس فصرح
بنفسه الى بلاد النصارى ليأتي بعمارة مثل الاولى ويأبى الله إلا ما يريد .
وكان غرض الحسن اباحت القيروان كما اباح تونس فقبله الله على صنعه
وخبت فيته . وكان ابوه اجد عاملا في بلد العناب فلما شعر بشغل ابيه وما
عزم عليه خاف من ائتلاف المحصرة فتلافها واقبل الى تونس خفية ونكلم
مع بظانته وجمعة من اهل اريانة وعمدته الشيخ عمر الجبالي الذي
شاخ بباب الجزيرة واولاده من بعد شيوخا بالرخص المذكور وكان الشيخ
عمر ممن قوي قلبه يوم دخوله القصة فدخلها على حين غلظة * ولم
وصل قبالة القصة عند المكان الذي فيه سكنى المرحوم محمد بشا وبه يعرف
في عصرنا هذا جهنت نفس احد من الاقدام الى باب القصة فوكزه
الشيخ عمر بين كتفيه وقال له تقدم فتقويت نفسه ودخل القصة فلم
يتعرض له احد وانصل الخبر بالناس فخرجوا اليه ويأبى * فقال لهم - انما
فعلت هذا لاني اتيت لادخل بكم في السابق وخفت عليكم من ياتي -
فمذكورة ودعوا له وسار في الناس سيرة حسنة نضرت بهم نفوس اهل
البلد من ابويه الحسن وبعث من يتعصب للحسن الى النصارى الذين
يحلق الوادي واعلمهم بالخبر فاعتوا فرقاطة في اشر الحسن اخبرته بما وقع

من اخذ ولده أحد القصة واستلذله بالامر فعظم ذلك عليه وبذل أموالا كثيرة وأتى بعمارة عظيمة وجع كثير * ولما وصل المحسن بالنصارى بطرا إلى البحر فسمع السلطان أحد وأهل البلد ووقعت هرجة عظيمة وحش أهل المدينة أن يصحبوا مثل المرة الأولى ففروا خفا وثقلا بنية الجهاد * والمدافعة عن الأموال والأولاد * ونادى منادى أحد - من أي بأسير أو رأس قنيل ولمائة دينار - وجلس عند باب القصة وجعل الدنانير في قراطيس من الكعده وحرص الناس على الجهاد فخرج أهل الربيعين بلاسلطين معهم والتفوا بالنصارى والمحسن وكانت المصافى من حرب الكلخ إلى سانية العباب * وصحان يرمي الشيخ سيدي علي المحبوب من حصر الواقعة فوقى عند كديته الفيران وأخذ قبضة من تراب وحسب في يده وقرا حزب البحر للشيخ الشاذلي نفع الله به الجميع وثله ندم قراءته رمى بها نحو الكفرة وقال - شامت الوحرة ثلما - وأعطى الفرنج ولم يحسن سيدهم قتل والأساس ينظر بعضهم بعضا إلا وعلم انهم طلع من المدينة وأمل من بين شط البحيرة وبين نوايل سيدي مدين ومعه مائتا رجل لا غير وأمرهم المعلم عمر فلما رآه الناس ثقوت نفوسهم فتقدم الشيخ عمر وسكن معه وتقدم الناس والتقى الجمعان واشتد القتال ساعة من النهار * فانزل الله النصر على المسلمين ، وصدقوا في قتالهم لاعداء الدين فانهزم حزب الشيطان - وكان حق مليا نصر المؤمنين - وثبت أهل دين الاسلام وحمل الله الكافرين ، فقتلوا قتلا ذريعا لم يقتل بتونس مثله * وسمعت من أهل المحصرة من يقول كان السلطان أحد ذلك اليوم يعطي كل من أتاه براس من الكفرة مائة دينار وكثرت الرؤوس حتى صار يعطي العشرة الدنانير وأقل وأكثر إلى أن أعطى دينارا * وحضر ذلك اليوم الشيخ سيدي عبد الله بن داود نفع الله به فجاهد في الله حق جهادة حتى يبست يده على قائم سيفه والدم منعقد عليها جراه الله خيرا * وفر المحسن إلى شكلته ودخل في الماء راجلا بلا فرس وهاشمه الناس لكونه مرلي أوبر فدخل أبو الهول فاخرجوه وهو

ملوث بأعرم فكسي برنس وجيء به إلى ولده أحمد فوبخه على فعله حتى قتل له - خالفت مسمك المحسن - وسجنه . وكانت واقعة مذكورة عند أهل تونس بردت بها حراء كبودهم مما وقع لهم قبل ذلك . واستغث العوام بالسلطان أحمد وقالوا لا يكون ملكا في مدينته وكثر هرج الناس فاستشار أحمد أصحابه في سجنه أو قتله فاضار عليه ابن أبي حمزة بسمل عينيه فسلت عيناه * وأما نذ أمر الله فيه أخذ نفسه بزيارة الصالحين ويطلب في ذلك كالأذن من ولده فيأذن له ولا زال يتنقل من ولي إلى آخر حتى استذن في زيارة الشيخ سيدي أبي القاسم الجلبري فقل له ولده أحمد - لعلك تريد أن نأحق بصهرك أبي سلامة القليعي - فقال له المحسن - ومضى أن يكون مني وأنا على هذه الحالة - فأذن له فكان الأمر كما قال أحمد . فانه لما خرج إلى مقدم الشيخ الجلبري نفع الله به إناة القليعي بالليل وهرب به إلى القيروان * وأقام بزاوية الشيخ المجدي بوحدة من الرمن وكانت صحائف القيروان بجملة ويش معه وأنا أدركت بعض من أدرك بعض العجائز اللاتي جالسنه وحادثنه * وسمعت من الحاكي أنه قال دخل عليه أولاد الشيخ عرفت صاحب القيروان في بعض الأيام وأنه يربط وهو عود الملمة وقال له - يريد أن نسمع من عاتك بالعود - والرموه ذلك استخففا به فحده رجسه بيده وقد كبر عليه أقدامهم بما لا يليق بهله فنشدهم البيت الشهير بين الناس :

وكنا أسودا والرجل تهابنا - اتنا زمان فيه نخشى لارابنا

والقى العود من يده وهش بالكاء في وجوههم فخرجوا من بين يديه لا يدري أحد أين يضع قدمه فسكان المعز وسكان المذل * وكان في خري أنه مات بالقيروان لانه منبور هناك حتى وقفت على ورقه بخط الشيخ بركات الشريف يذكر فيها أن السلطان المحسن هرب إلى بلاد الصاري وهو أعمى وأبعمرة لأخذ المهدية مات في البحر فأمزل إلى البر ورفعوه إلى القيروان فدفن بها والداهم بحثائق الأمور . ويمكن أن يكون فر من القيروان

بعد ما اقام بها وهذا هو الاصح لان اقدمته بالثيرون معروفه بين الناس *
الخبر عن خلافة الامير المولى ابي العباس احمد

هو ابن المولى ابي محمد الحسن ابن المولى ابي عبد الله محمد ابن المولى
ابي محمد الحسن بن ابي عبد الله المسعود ابن الامام ابي عمرو عثمان وبقية
النسب معروفه تغلب على ملك ابيه في حياته فكما تقدم ذكره *
وقسميل ان السلطان الحسن لما فعل بتونس ما ذكرناه واستحكم اعداء
الدين بحلق الوادي وصارت لهم مولد وشاركة في احكامه واستوزر الحسن
محمد بن عبد الملك السليطين وكانت مدته نحو الاربعين يوم كان المشارك
له في الحكم النصراني جواس بن جاكمو * وسكن من اهل العقد والحل
مع نصرى حلق الوادي وكان معه ثلثمائة رجل من النصرى وهو كبيرهم
وكانوا يلبسون المبطن والبرنيطة وسكنهم في الريس الذي خلف القصبه *
واول من اسكن النصرى بذلك الريس السلطان صمان لانهم اخواله *
واستدت شوكتهم في ايام ابن عبد الملك . وجواس هذا هو الذي قتل عبد
الكريم بن هلال صربه على راسه بفأس في علو الخليفة الحسن واشرف من
العلو على اصحابه فقتل لهم اقبلوا ببقية بني هلال فقتلوا يومئذ ثلثة عشر
رجلا . ووجدت قبورهم مبنية وسببه ان جدهم طح نعلم النجامة على رجل
ربة فحسبه بان بنيه يموتون في يوم واحد ولا يجدون مدفنا فجعل
ماكثر من ثلثة عشر قبرا فلب قتلوا المحدثا بها . وشي محمد بن حذيفة
اليماني الى ابيهم ابراهيم بن هلال في ذلك اليوم واعدة هو وبقية بنيه
ان لم يتبنوا قتلوا بالحديد وهربوا بعد ذلك الى قسطينة وهي اذ ذاك بيد
الترك فكرمهم ورجعوا بعد ذلك على يد القائد ابراهيم الشيخ * وقد النقى مع
علي بن حذيفة بن هلال وقال له تتوب قل نعم . وبني هلال من خدام
ابي فارس وحجم اهل رياسة * ولما نرايد تسلط النصرى استبدوا
بالاحكام حتى ان ابن عبد الملك لما مات قام ولده مقدمه وجواس المذكور نظر
عليه ذوى احمد من ذلك وذهب الى السوحى صليحه فمده بالمال ورافقه

في ذهابه محمد العصاوي وأبو حنيفة والبرادي وعصام بن جميع وجالعة
واحد البلد كما ذكرنا قبل والله اعلم . وأول من راسل ملوك الترك
السلطان أحمد بن الحسن بعث أولا محمد القصبي في أيام حسن بن خير
الدين وجاء معه إلى الجزائر لأحضانه إليه . وبعث بعده محمد
الريش وبعد ذلك بعث أبا الطيب تلج الحصار للبasha علي وهو بمدينة
طرابلس وددى معه الباشا علي إلى الجزائر ووقعت الفتنة بينهما أي بين
السلطان علي وأبي الطيب وبعث مرة أخرى إلى القسطنطينية وهي
البحيرة . ولما تمكن من الملك لم يجد في خزائن أجداده شيء
لأنها انقضت أبوه في أيامه وعاشت أولاد سعيد في البلاد كعدوئهم الخبيثة
وشنوا الغيرة على أن وصلوا للجبل الأخضر وساقوا بعض موالي السلطان
فخرج إليهم بنفسه فأدركهم في سيجون وطعن بعضهم . وكان شجاع مقداما
وفيه فروسية حتى قيل أنه لم يضع رجله في ركاب عند ركوبه . ولم
استوفى له الأمر أركب ثلاثة آلاف فارس وسباهم زمامية وكانوا قبله بسور
موحدة وأخرج فتوى من ملأه الحصرة بقتال أولاد سعيد فبدد عليهم
وأهانهم . قسست تقدم في خبر جده عثمان أن الشيخ أبا القاسم
البرزلي رحمه الله كان يدعو على أولاد سعيد عند خروج السلطان إلى قتلهم
كما ذكره الشيخ الرصاع . وسمعت من يقول أنه أفتى بقتلهم أيضا وبقتل
غيرهم من الحاربيين من عرب إفريقية ولا فرق إلا أن هذه الطائفة الملعونة
أشد نفاقا من غيرهم . وأبى دجي أفتى بتحريم بيعتهم وألات الحرب
حتى الانتفاة والرواحي التي يلبسها الأفريقيون من العرب لا فرق بين
هؤلاء وهؤلاء إلا أن السعيديين أقوى صورا من غيرهم لأنهم على مهر الأيام
لا ينسون مسدعهم ولا ينتهون من فعلهم الخبيث . وكان المولى أبو عمرو
عثمان مكن أدامهم ومزق جمعهم وأفلهم وأخذ عليهم أن لا يصلوا إلى نواحي
الوطن وسكنهم من وأداران إلى القبلة لا يتعدونهم . وأنت حدث منهم
هذا الحادث في أيام السلطان الحسن إلى أيام السلطان أحمد هذا راد طغيانهم

فسلطه الله عليهم * وكان السلطان المذكور محيا في العدل واقامة الشروع
لا يتعدا احكامه في رعيته وتس طلب معه الشروع اجابه اليه والمعتصمون
عليه يمسبونته الى غير هذا والله اعلم * وسمعت من اهل المخترة تس
يقول كان يزور الشيخ سيدي ابي اناسم الجليري وله اعتقاد فيه *
وكان المذكور يشاهد النبي صلى الله عليه وسلم في نومته كل ليلة جمعة
فلما جئ بالسلطان احمد ميت ودفن بزاوية الشيخ الجليري المذكور قصر
من ريعته فعتنع من رويته النبي صلى الله عليه وسلم فلا زال يستهل
بلدنا الى الله ويستغيث الى ان يسر الله عليه قرءا فيما يرى النائم النبي
صلى الله عليه وسلم فقال - يا رسول الله ما جئتني - فقال له صلى
الله عليه وسلم - لم لا تزور الشيخ الجليري - فقال - يا رسول الله لاجل
الظلم الذي دفن بازائه - فقال له صلى الله عليه وسلم - انه كان يذب
عن شريعتي فرحمنا معه فلو لم نكن له الا هذه المصيبة لكفتم سامحه الله
تعالى * وكانت بينه وبين درغوث بك محبة أكيدة ، ولما كان درغوث
باشا محاربا لحربة ارسل له السلطان احمد المونة وذلك ان جربة عصت
عليه لظلم منه وملكها النصارى ستة اشهر وافتكت دلى يد الباشا علي
ارسله درغوث ، والباشا علي هذا هو الذي مشى اليه ابو الطيب الخضر
وعدل معه في الجزائر * وفي ايام السلطان احمد كانت دولة الجاويين
لائمه اتحد سودا وجعلهم حيث لم يكن ينوقع من تعليك البلاد لقوم
لغيرهم غير العربية فحصل اقوام من السودان ورفع منزلتهم فنزلوا بذلك
لكي يكونوا هم السود بهم ما احبوا منجموه وتس يدعي التجنر وكان
للسلطان احمد اهتمام بهذا العلم * وكذلك ما احب به من اهل هذه الصناعة
ان الحكم يتقل منه الى رجل اسمه علي من غير جنس العرب وذهب
ملكه على يديه فاقم مملوكا له من كالدلاج وسماه علي واجلسه في مجلسه
وفرض له الامر * والقدر يجري بحال ذلك * وكانت له فتكات في
العرب ادانهم وهدد جمعهم غير ما مرة وفي اقل حلق الوادي له عدة وقائع

منها انه عزم على السفر الى اريقية على عادته وسار حكاكه فاز ومعه
 الف فارس وارتقى خلف كل فارس رجلا وسر الى ان بلغ ماطر ورجع
 من هنالك على غير طريقه الاولى الى ان اى الى ناحية العلقمة فكم
 هنالك * وبسبب خيل الدالة وامرهم بالغارة على حلق الوادي
 والنصارى مطمئنون من جانب لان جواسيسهم وهم المهجرون اخبرتهم بان
 السلطان خرج من البلد فلما اندروا بخيل الدالة خرجوا من البوارج في
 طلب الخيل وانهمزوا امهم فابعدهم الى ان وصلوا الى قرب المحصرة * فلما
 علم احد يبعدهم جل نحو البرج ودعم الذي به على حين غفلة ووقف على
 بابه وافذهلت النصارى من خلق الباب وامتنع هو من اخذه ورجع ولو
 اراد اخذه لممكن منه لما هو سابق في الغيب لان القوم كانوا يرون ان
 البرج المذكور يحول بينهم وبين عدوهم المتوقعون له * ولمسا رجع
 السلطان عن خلفه حال بين الاعلاج الذين خرجوا فأتين وبين البرج
 فقتل منهم خلقا عظيما * وكان اهل حلق الوادي يأتون من اهل
 تونس الرمية من الصوف والحرير لبناء برجهم فان اعطوهم ذلك وقعت
 الهدنة وان لم يعطوا يصيرون عليهم برا وبحرا وتصبح بطائعهم في البحيرة
 ويرمون بلدافع وفي البر يغيرون هم وتن معهم من المهجروين فيقاسي من
 ذلك اهل تونس اكبر التعب * وان عزم اهل تونس او السلطان على عزوهم
 اندرهم المهجرون وهذا دأبهم معهم * وكان اهل تونس في شدة مع العدو
 سيف كل حين ولهذا كانوا يدرسون اولادهم بلعب المحر دائما ليتطروا
 بملاقاة العدو ولم يزالوا يفسون من الكفرة الشدائد الى ان من الله عليهم
 بهذه السلطنة الخاقانية ابقاه الله لمجاهدة الكفرة حسبت عن اهل تونس
 تلك الارجاس والله عزوف بالدس وسيئنى بعد ان شاء الله تعالى * واحبار
 السلطان احد يطول شرحها وفيما ذكرناه كفاية ودامت ايدهم وانتشرت
 بالعدل احكامه الى ان نفذ فيه امر الله لا راد لقضائه * وقسميل ان
 ابا الطيب كان يتوقع منه التقبض عليه * وهذا هو الموجب لانجرامه

عليه وانه دخل عليه في بعض الايام فوجده في شغل من الفكرة فحدثه بما
يسليه فدل له السلطان - يا ابا الطيب لو جاءني علي من المغرب في
مدد يسير م كنت التائه وهذا - انه واني لفي حيرة من ذلك - فحدثه
ابو الطيب بما شرح صدره واذهب عنه فكرة فكان هذا هو الباعث
لابي الطيب الى ان كاتب الباشا علي وهو بمدينة الجزائر وحرصه على
القدوم لتونس وكانت بين السلطان احمد والباشا علي صغائر في النفوس
من وقت استخدامهم بمدينة طرابلس * ولهذا السبب ارسل اليه اب
الطيب فيما تقدم لانصلاح الحال * ولمسا بلغت مكانة ابي الطيب
لعلي باشا فتوى عزمه وخرج بمحلة عظيمة . واجتمع اليه من عمارة وقرفة
وسويد نحو من سبعة آلاف واقبل بهم * ولمسا سمع احمد بجميع اهل
الجزائر خرج ليصدهم عن الوطن والتقى معهم على بلد باجة * وكان مع
السلطان احمد خيله الرماحية . واحذ معه من الرجالة الفارسية والتقى بهم
فلم يغنوا عنه شيئا . واخذت محله وانهم احمد بن معه . وجاءت الترك
الى وادي مجردة فوجدوه رائدا فمنعهم من العبور فارسل الباشا علي الى
بنزرت فجاءته كلالواح والفنطير وحملها حسرا على الوادي وقطع العسكر
والتقى مع السلطان احمد مرة ثانية قرب سيدي علي الخطب فكسر ثانيا
وقيل وقع الحرب ثلث حكة عند سيدي عبد الوهاب ولم تكن للسلطان
احمد قوة فدخل الى المحاصرة وقد ايس من الملك وراى الموانسة لعدوه من
عسكرة وفر عنه غالب الناس وخرج في بعض الليالي الى ربح باب
السويقة وقصد دار الشيخ سيدي علي المني نفع الله به وهو اذ ذاك
بتيد الحياة * فلما جلس في صدر البيت ولم يكن الشيخ حاضرا الا
والشيخ قد اقبل ووضع يديه على طرعتي الباب وقل يا احمد فاجابه بنعم
فاستفتح الشيخ وقل - قل اللهم . لك الملك توفيي الملك من تشاء وتنزع
الملك ممن تشاء - الى تمام الاية فعلم السلطان ان الامر مدبر فخرج وهو
ايس من الملك فرجع الى قصبه وجمع ذخائره وامواله وبعض اهله ومن تبعه

وخرج تحت الليل متبعه العرب والبعض من أهل البلاد فدافع عن نفسه ونهب الكثير من مله وسار على طريق رانس ولم يبق معه إلا شر قليل وعرج في طريقه الى ناحية البريجته وقطع الى حلق الرادي ولم يكن البحر فامرا تلك الجهة كما هو في زماننا وانما طغى الماء بعد . ولما وصل الى الحصار قرع الباب فطس به العسس فاجبروا كبيرهم فاشرف عليه من فوق فعرفه احد بغضه ففتح له الباب فدخل واظمنت نفسه * ولما خرج عن المدينة لم يمسك لأهل المدينة قبل بمداغته الأتراك ففتحوا الأبواب ودخل الباب علي * ودخل العسكر معه وأصبح جالسا في القصبه وذلك في سنة سبع وسبعين وقيل ثمان وسبعين وتسعمائة ونادى المنادي في السس بالامن وطلع اليه أهل البلد واخذ عنهم البيعة لسلطانهم ومن غد اجتمعت جماعة من جند السلطان احد من الزمازيمه الذين رحعوا عنه ومن بقي منهم وانفقوا على الرحيل من البلد فقتل قائلهم - لا بد لنا من الوقوف بين ايدي الترك - فساروا باجمعهم الى باب القصبه وتكلموا معهم وقالوا - انا كنا خدمنا سلطاننا مدة اقامته ودافعنا عنه بقدر طاقتنا واما اليوم فمن شئتم ابقيتمونا في اماكن وان شئتم صرفتمونا وارضى الله واسعه - فتشاوروا في امرهم وأبقوهم على حالهم وقدموا لهم - انتم نصحتهم ساطانكم وليس لكم ذنب وحيث اديتم حق ملككم وقالتهم في طاعته انتم اليوم معدودون من جماعته - فمن ذلك اليوم عرفوا بجماعة الترك الى يومنا هذا وعليهم ابرو الطيب قوانين البلاد ونصرفاتها واحذ يتصرف في الاعمال لان القوم ليس لهم خبرة باحوالها طم منه انه يستبد بالحكم معهم لكونه هو السبب في ايمانهم ويمكن اعانهم فعاجلوه وقتل صرا ونهبوا امواله وان الله لا يهدي كيد الخائنين وعوقب بنقيض مقصوده كما هي عادة الله في سن ساءت نيته * ولما لم يهدت البلاد رجع الباشا علي الى الجزائر وخلف في البلاد نوبه من الثرائه وزواوة لصيدنها وخلف قباك رمضان حاكما في البلد وحدد الأتراك الذين خلفهم ثمانمائة والزواوة كذلك * وحكا في عسكر السلطان احد اربعمائة من

الأتراك ولم أراد أن يدافع أهل الجزائر كما ذكرنا قبل للأتراك الذين في خدمة هؤلاء أهل الجزائر من جنسكم وأنا لا أريد أن تقع بينكم عداوة فقالوا له إنما خدمتك لدافع عنك بانفسنا وأبني عليهم وبعثهم إلى سوسة إلى أن وقع عليهم ما وقع وأحدث الترك البلاد فتراجعوا بعد ذلك ومكنت في أيدي أهل الجزائر ثلث سنين والعرب من برها وأهل حلق الوادي من بحرهم إلى أن جاءت العمرة من الأبراطور بأذن السلطان أحمد وذلك في سنة ثمانين وتسعمائة ، وانفق عليها أموالا كثيرة * وإسا وصلت العمارة إلى حلق الوادي أخرج الجنرال كتاب من عند سلطانه يذكر شروطا اشترطها على السلطان أحمد فامتنع منها وقال - مالكم عندي إلا المال لا غير وأما البلاد وليس لكم فيها شيء - فقال الجنرال - أن نفي بها فخير وإلا نقدم غيرك نف نف بها - وغدما أخذ مجدا فقبل الشرط ونزل بهم إلى البر وإسا السلطان أحمد صفر إلى جزيرة صقلية وسكن مدينته بلرم وبقي بها إلى أن مات رحمه الله وحيي به إلى تونس فدفن بزاوية الشيخ الجليلي بعد ما مكث ثلثة أيام ملقى في الجبلار لم يؤذن بإدخاله البلد ظنا من الخوف انه حي وادخل بعد ذلك ودفن والمالك لله وحده *

الخبر عن خلافة الأمير المولى محمد بن المولى الحسن

امه أم ولد وهو خاتمة بني أبي حفص وباتقراضه انقضت أيامهم قدم إلى المحصرة بعمرة النصاري فليد عثت أهل تونس بمجيئهم هربوا من البلد خيفة من هول الأرباء وحي الواقعة التي جرث عليهم أيام الحس وهرب أكثر أهل تونس إلى ناحية جبل الرصاص وأختفوا هناك في الدواميس وهذه الواقعة يعبر عنها بخطرة الدواميس * وكان فيها الخطب جليلا وكانت في زمن الخريف وغلب أهل البلاد عرائس فذهبت حجابهم واقتضحو ونالهم من الهوان ما لم يعهدوه وصنعوا نواويل في الغابات وسكنوا بها ونسولوا بين خيام البدايتة ونالوا من الخوف والجوع ما لم ينلم أحد وتولى الحرس على النساء والذرازي القائد عبد الله والقائد علي بن أبي زيد ، وبعث إليهم

الشيخ المجدي بحرصهم من قلعة الطمينة . وبعث السلطان محمد بعد ذلك للنس وامنهم وامرهم بالرجوع الى البلد ثم رحلوا فتم وجده دارة اخذها وتن وجدوا بيد النصارى وكل امرء الى الله . وقسمت المدينة قسمين كفر وايسن * وفي تلك الايام اهل المسجد الاعظم ونهبت خرائن الكتب التي به ودرست بارجل الكفرة معالم المدارس وتفرقت ما جمع فيها من دواوين العلم وتبددت في الشوارع حتى قيل ان البحر من شرقي الجامع حيث الثواريين لان انما يمر على الكتب المطروحة هناك وضربت النواقيس في الحضرة * وسعت بعض اهل البلاد يقول ان النصارى ربطوا خيولهم بالجامع الاظم ونشوا قبر الشيخ سيدي محرز بن خلف فلم يجدوا به الا الرمل وفعلوا ما لا تفعله الاعداء بالاعداء . وساكنوا المسلمين وصارت الدار بالدار . وسكن القبطان مع السلطان محمد بالقبصة ويجلسان مع في سفينتها للحكم واستمال القبطان قلوب الناس وساسهم بعدله ومكره ومنع من التعدي عليهم . واتحاز اهل باب السويقة على ناحية ومنعوا انفسهم من الاهانة . واهل باب الجزيرة واهل المدينة اثنوا لانهم تحت الرمية فجرى عليهم حكم النصارى * وفي تلك المدة هزم البستيون خارج باب البحر من تونس وفصلت اسواقه وحوانيته وعمر بالكفرة ونزل اهل تونس من اهل البستيون ما لم ينالوا من غيرهم حتى كانوا يفتنون الرجل عن دينه . وشركت النصارى المسلمين في مساكنهم ومعاملتهم واقاموا معهم تحب القهر والاحسان وفي تلك الايام وقعت خطرة الشكارى بين مسلم ونصراني كل منهما اراد شراها فمد النصراني يده في المسلم فصاح المسلم واستغاث فقامت النس لنصرة المسلم وقتلوا النصراني وكانت الواقعة بباب البنات فسمع ابنه جنسه ففرعوا وخرجوا من باب السويقة ووقعت بينهم قتلة دام فيها الحرب من الصبح الى غروب الشمس وبقيت جنازة الفريقين ملقاة وخرج السلطان وحز بين الفريقين وجرت النصارى موتاهم على العجل . وسبب هذه الخطرة على يد ابن الصغار كانت دارة بالعزافين . وقد لدركت ابنه بسكن هناك وسمعت من

ولده يقول كان أبي هو السب في تلك الواقعة والله أعلم بحقيقة ذلك ،
 ولرجع إلى خسر الترك فانهم لما دعمهم العدو وعلوا أن ليس لهم طاقة
 بمقاومتهم سلوا البلد وهربوا إلى ناحية جريفة شريك ونزلوا على الحمامات
 فغلقوا دونهم أهل الحمامات باب البلد فطلوا منهم الفيت فمنعوهم وعلقوا
 سلوقية مئة على برج عندهم وبه يسمى برج السلوقية إلى اليوم وغالوا لهم هذا ما
 لكم عندما - فباروا بذلك وجعوا أمرهم إلى أين يكون ذهابهم فأفقت عاراوهم على
 القبروان وبها الباشا حيدر . وكان نما إليهم الخبر بم وقع بتونس فاضطرب
 القبروان تلك الأيام * ولما أراد الترك أن يتوجهوا إلى القبروان
 لحقت بهم النصاري على بلد الحمامات فلم يكن لهم ملجأ يلجأون إليه
 فقال كبيرهم فجعل البحر خلفنا ونستقبل العدو والنصر بيد الله تعالى . وسمعت
 سن يقول أن أميرهم كان خير الدين وليس كذلك لأن خير الدين هو
 الذي أخذ تونس من يد الحسن في حدود الأربعين وهذه الكائنات في
 سنة ثمانين إلا أن يكون الحسن بن خير الدين والله أعلم * ولما
 وصل العدو إلى الترك صدقوا في القتل وصبروا صبرا لا حرار فهربت الكفرة
 وركبت الترك ادبارهم إلى أن أخرجوهم من الخنفة التي بقرب الحمامات
 وقتلوا منهم م شاء الله وقطعوا رؤوس القتلى وبعثوا منها أجمالا للقبروان
 لتسكين الأحوال فيها . ووجئت صناديق للنصاري مملوءة بالريش بقصد
 من قتل منهم مسلما رشقا ريشة في رأس قاتله للمباعدة فخذلهم الله تعالى *
 ومن الغد رجعوا إلى الحمامات فحاصروها وأخذوها مرة وقتلوا سن قتلوا
 عليه من الرجال وفر الباقون وسييت أولادهم وحريمهم ونهبوا أموالهم
 وفعلوا بهم الفاقة ، وأبى الشيخ الجديد ففتك منهم النساء والأولاد وتراجع
 إليها سن هرب ، والتحق الترك بأخوانهم بالقبروان وأقاموا هناك عشرة
 أشهر مدة سلطنة محمد ونحسبكم النصاري بتونس . واشتد الأمر على الذين
 بالقبروان وصاقت بهم البلاد * وكان بها الباشا حيدر وهو الذي ضرب
 الحيدري المشهور بالقبروان . وأراد الفرار عنها لشدة الأمر وكان يتردد إلى

الشيخ سيدي احمد الرنسي نفع الله به فكان الشيخ يربصه ويرصده بالخير
 فيثب عند اشارة الشيخ الى ان قدر الله بارتفاع الحصن * وارالته البوس
 والحزن * واطهار شعائر الاسلام بالدرجة العليا * ونشر الاعلام الخفية
 وتطهير الديار التونسية * من الكفر والارجاس * فسلم الله هذه المماكن
 بلخاقان سليم بن سليمان والله رءوف بالاس * وكاتب اهل القيروان
 اخوتهم بطرابلس والجزائر فانوا بنيت الجهاد من الجزائر ومن طرابلس ومن
 القيروان ونزلوا بساحة تونس في يوم واحد ونوشوا القتل لاهل تونس وصايقوها
 من البر واقموا عليها مدة فلم يفعلوا شيئا * ولما طالقت اقامتهم ولم يحصلوا على
 شيء عزموا على الرحيل الى بلادهم . فظهرت لهم مراكب في البحر فظنوا
 انها عمارة انت لصره النصارى ففويت نفوسهم على الرحيل بالليل * وكان
 من قدر الله ان العمارة المذكورة من قبل السلطان سليم ابقى الله البركة
 في ذريتهم الى يوم الدين والقبطان بها علي باشا وسردارها سنار باشا فلما
 وصلوا الى ناحية المرسى من حلق الرادي وعلم المسلمون الذين هناك
 بانها عمارة الاسلام طلع اليهم بعض المسلمين فسالوه عن احوال البلاد فاخبرهم
 بخبر الحال النازلة على البلد فكتبوا كتابا وبعثوه الى امراء تلك المحل
 يخبرونهم بمجي العمارة السلطانية ويأمرهم بالاقامة في امساكنهم فلما
 اتاهم الخبر ايقنوا بالصبر وتوكلوا عليهم الى ان فتح الله عليهم * وسمعت من اهل
 المحصرة من يقول سبب مجي العمارة الى هذه الديار ان السلطان سليم
 رأى في منامه الشيخ الولي سيدي حمزة بن خلف يستجده على بلاده وقال له
 - انا حمزة بن خلف - فلما أصبح سأل عن الشيخ وعن بلاده فقيل له تونس *
 وقيل ان العمارة كانت معينة الى كلاندلس فجدت بعزلة لان اهل غرناطة
 بعثوا يستجدونه فعزم على ارسال هذه العمارة اليهم فبلغه خبر غرناطة وانهم
 اخذت في تلك الايام واحتوى عليها اعداء الدين فقرر عزم السلطان عن
 كلاندلس وبعث بها الى تونس . ولعل الانشا وقع من الطرفين والله اعلم
 وكان عدد المراكب ثمانية عشر معونة ومن العلائط وغيرها من السفن

الله وخسمائة قطعة حرس الله هذه السلطنة العثمانية من * افات الزمان *
وجعلها نذب على الدين المحمدي وهي بشعائرها مشيدة الاركان * ولم يرالوا
مطبقين على تونس من برها وبحرها الى ان تمكنت ايديهم بسجورها وفجورها
ونزعوا ملكها من ايدي الكفرة بعد ما كانوا استولوا عليها وسابوا ملك بني ابي
حنص بعد ما كانوا ملوك البلاد الافريقية وغيرها والله يورث الارض وتن عليها *
وكان ابتداء ملكهم كـ قدما ذكره سنة ثلث وستمائة واثمض بانقراضهم
سنة احدى وثمانين وتسعمائة فكانت مدة ملكهم ثلثمائة وثمانين وسبعين
سنة * وملك الله هذا الاقليم الافريقي كما ملك غيره لال عثمان * وطهره
بتوليهم عليه من اهل الشرك والصابان * وحسبنا ما اردناه من
الاخبار السابقة نصيف بحول الله وقوته ما تيسر لنا من الاخبار اللاحقة
ان شاء الله تعالى لا قوة الا به ولا اتكال الا عليه *

البسب الساب

في الدولة العثمانية والسلطنة الخاقانية

ادام الله ظلال امنها في الخافقين * وجعلها دائمة اليعن

والبركة قاهرة لاعداء الدين * وخادمة للجرمين الشويبين

اول سن ملك منهم البراد جدهم عثمان واليه انتسابهم وهو عثمان بن
ارغزل بن سليمان شاه وكان سليمان هذا في بلاد ماغان قرب بلخ وهو من
جنس التركمان الرحلة الزالة من طائفة التتار ويتصل نسبهم الى ياقوت
ابن نوح عليه الصلاة والسلام * واساطير جنكزخان واخرى بلاد بلخ
واخرج منها السلطان علاء الدين خوارزم شاه تغرقت اهل تلك المملكة
وبخرج سليمان شاه المذكور من بلاد ماغان بخمسين الف حيث من التركمان
وقصد ارض الروم وعبر من العراق فغرق بفرسه فمات وتفرقت جماعته
في اطراف تلك البلاد وبقيتهم موحدة هناك الى الان على عادتهم في النزول
والارتحال وخلف سليمان اربعة من البنين فعاد منهم الى بلاد العجم اثنان

وتوجه انسان الى بلاد الروم وقدموا على السلطان علاء الدين السنجاري صاحب بلاد قرمان وملكه اذ ذاك بشويبة فآكرمها واذن لها بالاقامة بارحمه فاستاذناه في الجهاد فاذن لها واجتمع اليها جمعة من التراكمة فواصلوا الجهاد في ارض الصخرة ولهم وقائع مشهورة عند اهل السير ومات ارطغرل وخلف مدة اولاد اشدهم بسا عثمان فواصل الجهاد على عادة ابيه فرأى السلطان علاء الدين جده واجتهاده فآكرمه وامره واحده واعانه وجعل له المرتبات السلطانية . وارسل اليه نوبة خدنيته ودق بين يديه الطبل والزمر وسماه خان تعظيما له وتفضيلا . ولما دقت الطبول بين يديه قام هو على قدميه اجلالا لمخدومه فمن هناك صارت عادة لال عثمان القيام عند دق النوبة قانونا جاريا الى الان وجرى عليه اسم السلطنة سنة تسع وتسعين وسبعمائة . وافتتح تلك السنة قرة حصار وخطب له فيها وتماذى في فتح تلك الحصون وسامدته المقادير لما سيكون الى ان توفي رحمه الله سنة خمس وسبعمائة وتولى بعده ولده السلطان اورخان بن عثمان وهو الذي افتتح مدينة برسا في حياة والده وجعلها دار الملك . وفق والده في الجهاد وفتح بلادا كثيرة . واجتمع لحربه جملة ملوك نصارى من بلاد الروملي وقصدوا لقاءه في بولانطولي فسير اليهم ولده سليمان بك فجاز اليهم الى بر الروملي ودعاهم على حين غفلة فمزقهم الله وفرق جمعهم وفتح عدة اماكن وعاد الى والده منصورا . وعاش اورخان الى سنة سبع واربعين وسبعمائة فمات رحمه الله . وتولى بعده ولده السلطان مراد بن اورخان بن عثمان سنة سبع واربعين وجلس على تخت المالك سنة وفاة ابيه . وهو الذي فتح ادرن واتخذ المليك وسماهم يكشريه معناه العسكر الحديد والبسهم اللبد لا يبيض المسني لك خلف . وكانت له صولة عظيمة . واجتمعت ملوك الشرك الى قتاله فهزمهم وقتل زعيمهم الاكبر . واطهر بعض ملوكهم الطاعة واقبل لتثييل يده فظعنهم بخنجر كانت معه فمات رحمه الله ومن ثم صارت عادة عند آل عثمان لا يدخل احد بسلاح على السلطان وان يتشبه به وان يدخل



بين رجلين يكتنفانه * ونوفي سنة اثنتين وسبعين وسبعمئة وتولى بعده
 بايزيد خان . وكنيته بلدرم معناه الصائقة وصورة اذ ذاك اثنيان واربعون
 سنة واقام سنة عشر سنة سلطانا . واستولى على قلاع كثيرة وغصب ملوك
 الطوائف الذين بازائه . واخذ ابن كرمين وحبسه ففر من حبسه وفر منه
 ايضا ابن متنسبا في صورة قلندري حلق لحيته وحواجه وابن اسنندار وفيه
 من الملوك ولحقوا بتيهور ملك التتار واستغاثوا به وحرضوه على اخذ بلاد الروم .
 وتيهور هذا من اشر ملوك الدنيا اهلك ثلثي العالم وملكه وكان مبتدا امرة
 من وراء خراسان . وملك ما وراء النهر والسند والهند والصين والعراق .
 وجاز له الديار الشامية والحلبية ولم ينح منه الا مصر والمغرب وسفك
 من الدماء ما لا يعلم الا الله واخبره بكثيرة ليس هذا بملها وقتل من
 العلماء الثوا لا تحصى . وسئل بعض الفضلاء عن تيمور اي سنة ظهر فيها
 فقال - في سنة « عذاب » * ولما وصل الى بلاد الروم خرج بايزيد
 الى قتاله فحذله من كان في عسكره من التتار وغيرهم . ورجعوا مع تيمور
 بامتنانهم اليهم وبقي بايزيد في جمع قليل وقايل بنفسه الى ان هجم على
 تيمور فالتقى عليه بسطا فثقله واخذ اسيرا ومات عند تيمور في الثيد سنة
 سبع وتسعين وسبعمئة ونسلاط بعده بنو عيسى وموسى وقاسم وسليمان
 ومجد . ووقع بينهم القتال والتماسد نحو اثني عشرة سنة . واستقل بالملك
 السلطان مجد بن بايزيد في سنة خمس وثمانمئة وعشرة اذ ذاك لماني
 عشرة سنة . وكان مطاعا مقدام واسع العطاء عين صدقات للحرمين
 الشريفين ومهد البلاد وفتح عدة فتوحات . ونوفي بعد سبع عشرة سنة من
 سلطنته سنة اثنتين وعشرين وثمانمئة وتولى السلطان مراد الثاني في التبريح
 المذكور اي اثني عشرين وثمانمئة فقدم الشرع في ايامه ولازم الجهاد
 على عادة اجداده وفتح بلادا كثيرة الى ابن كبر ولده مجد فتخلى له من
 الملك واجلسه في حياته على سرير ملكه وتقاعد بوضه الى ان وافاه حارسه
 سم اسنل بالامر السلطان محمد بن في سنة اثنتين وخمسين وثمانمئة

وعمره اذ ذاك عشرون سنة . وهو من اعظم سلاطين آل عثمان في الجهاد متوكلا على الله . واكبر فتوحاته قسطنطينية العظمى وجعلها دارا للملك . وبنى بها المدارس وقرب العلماء واجرى عليهم المنافع . واستجلب العلماء العظام من انطار البلاد وتزخرفت بايامه الدنيا وتشرفت العلماء في ايامه . ونعل خيرات لا تحصى . وتوفي سنة ست وثمانين وثمانمائة رحمة الله عليه . وجلس بعد في الملك السلطان بي يزيد ابن السلطان محمد في ربيع الاول من السنة المذكورة وعمره اذ ذاك ثلثون سنة . وقام بالامر اثنين وثلثين سنة وفتح عدة قلاع وانسكها من ايدي الكفرة ونزعه اخوة في الملك ووقع بينهما الحرب فانهمز اخوة هاربا الى مصر في ايام قيت باي فاكروم . وعاد اليه ل اخيه مرة اخرى فيهمز وهرب الى بلاد الصاري فدرس عليه اخوه من قتلهم هناك بموسى مسمومة حلق راسه بياض وفي ايامه ظهر اسماعيل شاه ببلاد العجم . وظهر مذهب الرافضة واستولى على تلك البلاد فغراه بايزيد وكنان رحمه الله محبا للجهاد مداوما على افعال البر . وكانت بيضة لاسلام في ايامه محفوظة يحجب الاولياء والصالحين وبنى المدارس والشيخات ودير المرضى وعمرت الى بابها اعين الناس . ومنحه شهاب الدين ابن الخليفة شاعر مكنة بقصيدة وارساها اليه فانابه بالث دينار وجعل له كل سنة مئتمنة دينار . وهي باقية في عقبه تصل الى اولاده في كل سنة الى يومنا هذا . وكانت له مدة اولاد فرقه في حياته على المنصب الى ان ماتوا في حياته . ولازمه مرض الشوس وهو من امراض آل عثمان فعجز عن السفر ومال العسكر في حياته الى ولده سليم وتنازل معه وعاد الى خلع نفسه وقدم ابنه للملك وخسرج الى ادرنة فمات سبعة سبع عشرة وتسعمائة والسلطان سليم جلس على تخت الملك في السنة المذكورة وعمره اذ ذاك ست واربعون سنة وايام ملكه تسع سنين . وكان ملكا جبارا سادكا ذا ماء قوي البطن عدرا ببلاد العجم وافنك مصر من الشراكسة . واخذ مدينت حلب والشام . وهو اول من خطب له بخدم الحرمين الشريفين . وتوفي

في ثامن شوال سنة ست وعشرين وتسعمائة رحل الله تعالى عليه : وقسم
بئلامري عدة ولده السلطان سليمان في التاريخ ودامت ايامه في الملك سبعا
واربعين سنة . وفي ايامه فتحت عدة بلاد وغرا بنشاه بلاد الانكروص
وغزا جزيرة رودس واخذها من اهلها وحكمت ليس لها مثل في الحصانة
واسلوها لم بعد حصار شديد وصايق عليها وعاخر الحال طلبوا منه الامان
على اموالهم وانفسهم فاعطاهم امان فخرجوا الى بلاد المغرب وعبروا جزيرة
مالطة دمرها الله . وحكمت انفسهم برودس كاعمالهم لان عسى الله
ان يبدد شملهم عن قريب . وفتح رودس اول شهر صفر سنة تسع وعشرين
وتسعمائة وجعل بعض الافاضل فيها قاربخا وهو : يفرح المومنون بنصر
الله . واما تمكنوا من مالطة وزاد ضررهم ارسل اليهم في اخر ايامه عبارة
لاخذها فما امله اجله . ومن فتوحاته جزيرة استكوى وبسدرم وقلعة
ايدوس . وسافر بنفسه الى بلاد العجم وحرب امامه الشاه واخرب بلاد
تبريز واخذ بغداد . وفتح عراق العرب وطلب الشاه منه الامان والهدنة
فاعطاه ذلك ورجع الى مصر سلطانه . والطف تدريج قيل في هذه السفرة
فتحا العراق . ولم رحه الله ثلث عشرة غزوة على اهل البلقاق والنفاق
ومات رحمه الله في فروته الاخيرة بقاعة سكوان وكتم الوزير موته وارسل الى
واده السلطان سليم فقبل بسرعه وعنده ذلك اظهر الوزير موث السلطان
سليمان . ووضع في تابوت ورجعوا به الى الشطنطية . وكانت مدة سلطته
ثمان واربعين سنة سقى الله نراه من صوب الرحمة . وكشفه من الفخر ان
علامته الوجود في ذلك العصر وهو المولى ابو السعود رحمه الله وثله بقصيدة
طائفة تدل على فخرهما العشد والمنشود . وهي من غرر المراثيات وهراثة
استهلها حيث قال :

اصوت صاختر ام نفختر الصوو فالارض قد ملئت من نثر ناقور
وهي طويلة اضربنا عنها وليس هذا محلها تركناها خشية الاطالة . وجلس
بعده على تخت الملك ابنه السلطان الاعظم السلطان سليم الثاني

وبويع يوم الاثنين لتسع مئتين من ربيع الآخر سنة اربع وسبعين
وتسعمائة ، ومولده سنة تسع وعشرين وتسعمائة . ومدة سلطنته تسع سنين
وهو المبارك النقيب على الديار التونسية سلبها الله بسليمتها من اوباش
النصراية وقامت الخطباء باسمه المبارك على منابرهما ولاحظت عين
السعادة منازل المحضرة واصيف فخر الدولة العثمانية الى مفاخرها ، ولما
تمكس من ملكه تبع طريقته اسلافه في الجهاد ، فسمي اكبر غزواته فتح
جزيرة قبرس بالسين المهمة ، وفتح بلاد اليمن بعد مسمى اهلها ، وقد كان
فتحها والده السلطان سليمان فلما مات قام به مطهر ابن شرف الدين
يحيى الزيدي واستحل امره بشك البلاد فبعث اليه عسكريا صجبة الوزير
المبارك سنن بلشا فافتك البلاد ، وبلغ منها ما اراد . وهذا البشا السعيد
لم يكن له نظير في دولة آل عثمان ولا جاء مثله من ذلك العصر الى هذا
الزمان فكم خلف ربه الله من المآثر والخيرات حيث حل وكابه وكم بنى من
مساجد وتكايا . يحل بها المسافر ويدل من خيراتها ويحمد ذهابه وايابه
فانه كان ميمون النقيبة حيثما سر ولا استقرت قدمه باقليم الا بنى فيه
اماكن للخير والصدقة والناس كثير من شاهدوا تلك الآثار حتى انهم
يقولون ان جباية تلك البلاد لا تقى بها صنع من خيراته ، وكان محبا
لفعل الخير والزيادة الى ان مات زاد الله في حسنه * وقد سمعت سن
يقول انه كان يعلم سر الحجر المكرم ودليل هذا كثرة ما حلف من اماكن
محبسة على الفقراء والى يومنا هذا يدعى له وطلبه يترحم . وعلى يديه كان افتتاح
هذه البلاد والله معروف بالعباد * وذلك ان سلاطين تونس من بنى ابي
حفص كما بيناه في اول الكتاب كان منهم من بلغ درجة الملك ومنهم
من قاربها ومنهم من نال الاسم من السلطنة فقط ومنهم من تعلبت
عليه العرب واقاموه في الملك وشرطوا عليه شروطا وافى لهم بذلك ونمادت
ايامهم في اقبل وادبر الى ان اتاهم ما اتى على غيرهم فصاروا عبرة لغيرهم لما
خلت منهم الديار * ولله الحمد والمنة على انقراضهم وضعوا تفرقت

ءاراهم واختلوا الى زنت مشينهم لا حسنهم . وظهر من مساوئه ما غطى به
 حسنات احسنهم * وفي ايام تملك النصارى حلق الوادي وبنوا فيه
 حصارهم المشهور وشيدوا فيه بناء لم يشده شداد . في ارم ذات العماد .
 وابتدأوا بناء سنة سبع وثلاث وتسعمائة . وهدموا اكثر اقواس الخاية التي
 كانت لقرطاجنة واخذوا حجارها لبنائهم وجعلوا الرمية على اهل البلاد من
 الجير والجص . وحصنوه حصانة لم يكن لها نظير واداروا به خندقا
 وادخلوا له ماء البحر الى ان دار به دور السوار وملأوه بآلات الحرب
 والرجال وما يحتاجون اليه بحيث صار فصاة في الحلق . وصارت النصارى
 تكمن باخرتها ومراكبها ويقطعون في البحر على المسافرين ويأخذون
 كل سفينة فصبا وعم اذا هم المسلمين وملكمهم اذ ذاك باشيلىة اصابها الله
 للاسلام . وكان استجده الحس في السابق كما ذكرنا وتبع اباء ابناء اجد
 واراد ان يعد من نجباء الانباء واللعين النصراني ساعدة على ضرهم ويضمهم
 في الباطن بمكرة على غدرهم فاستصفي اموالهم واموال اهل البلد في واقعة
 الاربعاء وكمل على بقيتهم في خطرة الدواميس ولم يبق لاحد ما سعى *
 ولما تمكن عسكرة تونس في ايام السلطان محمد تمكن بالبلد اي تمكن
 وصار قبطن النصارى يحكمهم معه في حضرته وهو له قرين وعلم بذلك
 صاحب بلاد اسبانية ان تونس في قبضته وصار يشتخر بها بين زعمائه
 في قريته وقعدته حتى اذا راي من قواميسه الميل منه يقول لهم - داري
 عندي - يريد تونس . واراد ان يتولى طليها من اولياءه الى اخرها ويفعل
 به من اقامة شعائر الكفر كما فعل بغيرها ولما اراد ان يجعلها منه قبض
 الله سليم سلها منه * ولمسنا نمت اخبار تونس ومسالها الى
 ملك بني عثمان وهو السلطان سليم جعل الله النصر والتمكين في عقبه الى
 يوم الدين فذاقت حمة الى فرع الديار التونسية من ايدي الكفرة . ويبدل
 عوضهم انسا بررة . وقد تقدم ان الشيخ سيدي مبرز بن خاتم نفع الله به
 نعرض له في مقامه واشار عليه باخذ تونس في القطة ولم نكن الرويا

اضغات احلام * وقسيسيل ان الباحث له على تلك العبارة وقد قدمنا خبرها اهل غرناطة فانهم استجدوا لنصرتهم فلما حزم بوايد باغده استيلاء اللعين على صولتهم فنتى عزيمته هذه الديار وعلى كل وجه بارادة الله جرت الاقدار . فانتدب لهذا الامر سنان باشا رحمة الله عليه وجعله سردار العسكر واصاف اليه سن يسكرين له المظفر على المراكب البحرية ومن كانت له بالبحر خبرة وذرية وهو قبطان البحر فلي علي باشا اعلى الله منزلته في درجات الجنان وانعم السلطان عليهما بشاريقه المعادة وخلع عليهما وحكمهما فيما يحتاجان اليه من آلات السفر وزيادة وشحن المراكب بما يحتاج اليه من الذخائر والاموال وعلات الحرب وبرز العسكر من القسطنطينية غرة ربيع الاول سنة احدى وثمانين وتسعمائة وكان يوم خروج العسكر يوما مشهودا وشحنت الاغربة بالرجال وعددها مائتا غراب وثمان عشرة معونة وغيرها من السفن الكبار والصغار فالجملة الف وخسمائة قطعة . وقد سبق التعريف بها وسارت العبارة فوق الماء مثل الطيور اولى اجنحة شتى وثلاث ورباع . وان كان البر يضيق بها فلها في البحر اتساع . وطفت على متن البحر كالطوفان . وان برزت اكباد اهلها بالامن وجسومهم بماء البحر فان مدافعهم لاءداتهم تسخت وامنت بالنيران . واجتمعت في مينا نورين . ومن هناك توجهوا للمغرب على رءس متوكلين . واجتازوا بقلعة في بر اكفر تسمى تيجة وهبطوا للمبر فدفعهم العدو واحتلوا ففر العدو منهم بعد ساعة من نهار ودارهم هناك بعض اليات شهيدا . وظهرت علامة النصر واخذوا في طريقهم عدة قلاع وفتحوا شيئا كثيرا وفي طريقهم اخذوا مركبا مشحونا بالقمح وحبب الثاني عشر من الشهر وصاروا فليبية فنزلوا هناك واستراحوا . وفي الرابع والعشرين من الشهر بلغوا حاف الوادي ونزلت العساكر بعيدا من دمية المدافع ونزلوا اوطافى الوزير سنس بشا * وكان من قدر الله تعالى قبل وصول العبارة العثمانية بيوم وصل الى تونس الباشا حيدر من الدروان * وقد تقدم خبره ولم يكن لي علم به انه كان متوليا على منصب تونس من

قبل حتى وجدت في تاريخ انه كان صاحب البلاد واطنه خرج من حين
دعه العدو وكذلك مصطفى باشا صاحب مدينة طرابلس فحاصروا الى تونس
ونزلا معا براء المدينة في سجونهم لقصده بحاصرتها * وفيه احر اليوم ظهرت
مراكب في البحر فظنوا انها نجدة للعدو فعولوا على الرهيل ليلا ولم كانوا على
اهبة ذلك جاءتهم الاخر من عند الوزير سنان باشا مع رجل من اهل المرسى
كان طلع للعمدة واستخبره الوزير عن احوال البلاد فاخبره بخبر المحل فبعثه
اليهم رسولا يحبرهم بقدوم العسكر العثماني . فلما صبح عندهم الخبر قويتم
نفوسهم وسار حيدر باشا ومصطفى باشا في تلك الليلة في بعض الخواص
الى حصرة الوزير سنان باشا وسلموا عليه وطلبوا منه ان يتوجه معهم
بنفسه فامر طائفة من امرائه وقيل لهم ألفا من العسكر واعطاهم مدافع
وزرايزوم يحتجون اليه وامرهم بالتسير الى تونس صحبة الكلوبكية
مصطفى وحيدر وارسل معهم ابراهيم بك من مناجق مصر المحروسة
ومحمود بك بصنحيق قبرس وبكبير بك صاحب قره حصار وصحبته
الفان من العسكر مع انجم حبيب بك وتوجهوا في الحال الى تونس
واحاطوا بها احاطة السوار بالعصم وشوشوها بالقتل من كل جهاتها . فلما
راى السلطان محمد الحفصي وتن معه من النصارى كثرة العساكر صلوا
ان لا طاقة لهم بالقتال هذا مع ان قلعة تونس كان اكثرها خرابا لتواتر
الحصن وقلعة الاقصم وكذلك المدينة لم تكن معمورة ب أهلها بل شالها خراب
ايضا فضلا عن سعة الشوارع التي بها . فعجزوا عن تحصين البلد وقلعتها
فخرجوا الى مكان يقال له - قولودكر - معناه بحر الرمل وعادوا به
حصارا من الخشب وحشوة بالرمل والغراب والتجوا اليه * فلما است
هكذا وجدت اسم هذا المكان مقيدا ولا اعلم في تونس مكان يعرف بهذا
الاسم الا ما يذكر اهل تونس عن المكان الذي يعرف بالسبيون خارج
بن الجحر من شرقي المدينة . وهذه الاحبار تصدق عن ذلك المكان والخبر
- وابر عنه الا ان صاحب "الغريد" الذي انما * . هذه الحكايات

بعيد الأدار من الديار التونسية وإنما بلغه الخبر بلسان الخببر وعنه قيد ما سمع منه * ولما تحصنوا بهذا المكان وكان فيه نحو سبعة آلاف مقاتل ما من كافر ومرند وشحنوا هذه البقعة بآلات الحرب والمدافع الكبار ومن الطعام شيء كثير ظنوا أنه يمنعهم من قهضاء الله ، فعند ذلك خلت المدينة وقصبتها ولم يبق فيها من يصونها فدخلهما العسكر العثماني من كل جهة وملكوا المدينة وقلعتها وحصنوها بالآخشاب والألواح والتراب واحكموا ذلك . هذا والحرب بينهم على ساق . واهل الملة الحمديّة متقابلّة لاهل الشقاق . وبشوا يخبرون الوزير المعظم سنن باشا وقع لهم ويطلبون منه المدد بالأعانة ومن ينصرهم فلما بلغ الوزير ما هم عليه عول على من يقوم مقامه ويستوفيه فبعث لنصرتهم القبطان قليج علي باشا رحمه الله الجميع فتوجه بجمع من العساكر المنصورة من طائفة السليمانية ليكونوا أعانة لمن تقدم قبلهم من صكركم . فلما وصل الباشا قليج علي إلى تونس وشهد تحصن البستيون وكثرة النصارى والأعراب المرندين الذين به رعاة حصنا منيعا فبعث إلى الوزير يطلب منه عدة مدافع أخرى وزيادة عسكر فبعث له ألف ينشري وبعث معهم علي باشا ساحدار الباب العالي وثمانية مدافع وستة زرايز والحقهم بالقبطان قليج علي باشا . فلما وصلوا إليه اجتمع امرهم أن يدوروا بالبرج من كل جهاتهم وكانت الكفرة وتن معهم من المرندين كثيرين ما بين فارس وراجل وجاءت لنصرتهم طوائف من العربان وخرجوا من قلعتهم مرارا ودهموا المسلمين واقتتلوا مرارا ومات من الفريقين خلق كثير . فريق في الجنة وفريق في السعير . واشتد الأمر على المسلمين والمند متصل باعداء الدين . وبلغ الخبر إلى الوزير سنان . فجاء رحمه الله بنفسه إلى اصلاح هذا الشأن . هذا والحوب متصل بين اهل خلق الوادي وبس رجال من العسكر العثماني قرويي الهم غلاظ شداد . ولما نظر الوزير إلى حصانة القلعة التي هي الستيمون اشار براهيم السعيد على ما اقتضاه نظره السديد بالتدبير . وأمر بتوزيع طوائف العسكر من

كل جهانه . وعين لكل موضع من بلادهم به من رجاله وكماله . وأشار على
القطان والعسكر بكيت به رعاة من الصواب . وهون على الجميع حسن العدة
ووتهم بنصر الله واحسن اليهم بالخطاب . فامتدت نفوسهم بكلامه ورويته .
وأنسوا برأيه ومشورته . وعد من يومه الى محل اوتاقه من حلق الوادي وقصد
لأهم فالأهم وأن كان كل موضع حصل فيه فصل الجهد . ويدني تمام الخبر في
محل ان شاء الله تعالى . وما استطردت الى هنا إلا لارتباط الحديث لان اول
الحرب وقع في هذا المقام عدة ايام . ولما تسر ابتداء الفتح فتحلق الوادي كان
في البسثيون التمام . ولتراجع الى خسر حلق الوادي ومآثره . ونسوق الكلام
ان شاء الله من اوله الى آخره . تقدم ان العشرة المنصورة بلغت الى مستقرها
من حلق الوادي يوم اربعة وعشرين في ربيع الاول وفلوا للبر على بعد من رمية
المدافع ونصبوا اوتاقاتهم . وارتحت الارض باصوات مدافعهم . ورنس مكاهلهم
ونزلوا المدافع الكبار التي انوا بها لهذا القصد . ورموا بها من ابعد . الى ان علا
الدخان وصار النهار يحاكي الليل . وبرز لأمر من الوزير ان يتقدم العسكر
على عادته . وان ياخذ كل انسان اهبته لما يعلم من صدقه . فبنهم متفرس
مدرس بالحرب والجلاد . ومنهم من عادته نقل الشراب والرمل وقلع الاصلا .
وصدروا يتقدمون قليلا قليلا ويسوقون التراب ويستتردون به ويحفرون
خندق في الارض وينزلونها . ويجعلون مزاريس ويسترون من خلفها . وهذا
ناب العسكر العثماني في كل مكان . ولم يزالوا على هذا لاسلوب الى ان
احطوا بالبرج من كل جهانه ورموه بالمدافع والمنجنيقات والبنديقيات
ورموا عليهم اصناف من آلات الحرب . وكان هذا الحصن لم ير مثله في
الشرق ولا في الغرب . وكان للنصري به اهتمام وحصونه بما قدروا عليه
من المبتدأ الى التمام . واداروا به خندقا واجروا الماء فيه . والماء من
البحر الى البحيرة والسفن تجري فيه . وهو منع من كل جهاته . واسواره
مشيدة مشجونة بحماته . وقد كانت منذ زمان وقفت على رسالة بعضها
بعض من شاهد الواقعة لبعض الروساء بالدير العثمانية واخر فيها

بها شدد من شدة الحرب ومنعة الحصار وكثرة رجاله وذخائره وسعته وطوله بما يعجز عنه الوصف ومن شهد بقية عاثارة حصكم بصحة ما وصف ولكن طال عني وبعد زمانه ولم يحضرني إلا القليل من أخبارها سأذكرها في أوانها * ومسن جلته ما قلل فيه أن سعة السور يسير عليه سبعة من الخيالة من غير ازحام . وإن البناء الذي به ما ساه طائر عقل ولا عنه حام . وعدد الدور التي حوله لسكنى المهاجرين أزيد من مائتي دار والبحر من جميع جهاته . والخندق به دائر ودور المهاجرين من ناحية المغرب وعثارها باقية . وكل م ادموه من الساء اهدمه الله على ايدي المسلمين وبندت صنائع المشركين فهل يرى لهم من باقية . وكان عمق الخندق ستين ذراعاً وقعره متصل بالبحر وفي حافته قبعة منيعة اعدوه للتخص فيسا وثبوا تحت الارض نفبا طويلا يتصلون منه الى تلك القبعة . وكانت قريبة من ناحية الوزير فطس بمن كان فيها فصار الوزير اليهم برجاله وقائلهم قتالا شديداً وملك القبعة وقتل من كان بها . واعجزهم امر الخندق فما وجدوا له حيلة إلا أن يملأ بالتراب فبعث الوزير بأمره السعيد الى العسكر أن يحتشدوا في نعله فامتلأوا الى أن نخلوه في ثيابهم * والرسالة التي تقدم ذكرها يقول فيها ومم رمي به في الخندق من الصوف مقدارة بلعدد سبعون ألف شليف . والشليف عبارة عن حل الجمل ووضع في كل شليف قنطاران من الرصاص ليثقل به ويغوص في الماء * قسست الله أكبر هكذا نكون هم الملوك فإذا كان من الصوف والرصاص هذا المقدار وهذا العدد ولو تملت قيمته لكنت ممن من الالوف فكيف غير ذلك من الاجفان والاث الحرب وبارود ومصروف من الاموال على الرجال هكذا تكون والله ملوك الزمن . ولولا ان السلطان سليم رحمه الله من البشر الذين بعد السوء اقلنا انه سليمان ولكن هو ابن سليمان . واخبرت من اهل تونس ان الصوف الذي القوة في الخندق جيء به من نحم دريد كندة ومن غيره اقله * واظن ان الشمس عدد الصمد من حصو الخطرة

كما ان جده اجد بن نويرة المحدثي حضوره هو وجلة من العرب الذين
بارض طرابلس جاءوا معجبة المحلة التي بها مصطفى باشا * ولما القوا
في الخندق الصوف القوا من فوقه المحطوب والتراب والاششاب واهتم
العسكر بنقل التراب كل لاهتمهم واهتموا بنشيم غيرة الاقدام الى ان ملأوه
من اوله الى اخره وصارت فوقه كيمان كالجمال ، وجلت الرجال من
التراب ما لا تحمله الجمل . وكانت لتلك العساكر نية مسلحة ، بعوا انفسهم
واشتروا الجنة فكانت لجورنهم رابحة . وسسمعت من نقل عن شاهد
تلك المواطن انه مر بجبل من العسكر وهو حامل على ظهره جلا من
المحطوب لكي يلقيه في الخندق وبه عدة جراحت وهو على اخر رمق قال
فادرت ان اخفف عنه فاني ولم يزل ساقرا به الى ان القاه في محله .
ومث لوقتد بحضور اجله . رحمه الله وعامله بنشيم عن عمله * ولما امتلا
الخندق بالتراب بنوا المتريس فوقه وصدر المكال اعلا من حيطان الخصار
وانفق هذا الواقع لاربعة عشرة ليلة حلت من ربيع الثاني من السنة
المذكورة هذا والحرب ناره متقد في كل الجهات . واخرج الله الصبر على
عصاة المجاهدين والحزي على الطغة . ونصب الوزير مدافعه فوق الخصار
ورمى من كان به من الكفرة من اقواها بالنار ، فالتفتهم النار الى النار .
ورسل في اناء ذلك رمضان باشا المتولي على مدينة الجزائر في التاريخ معه
ثلاثة آلاف مقاتل واجتمع بحضرة الوزير سنار باشا وطلب منه خدمته
يؤديه فارسله ومن معه الى اعانة الذين بتونس . فتوجه اليها وحظ عليها
مع من هنالك من العساكر والديار . والامراء والغزاة ، واستمر الوزير في
تحريض المسلمين على الاقدام الى البرج الذي بحلق الوادي ونشديد الحرب
عليه من كل جهاته الى ان وهنت نفوس اهل العناد . ومن قدر الله
سبحانه ان محمد عرب كان بعسكر من ناحية رادس فعزم اهل الخصار
ان يدهموا ليلا على حين غفلة وسكون وصمته على المسلمين فخرجوا عليه
عند الفجر فوجدوه مشغوظا على امة فوقع بهم وانعموا بهم يؤديه فشعبهم

يقتل فيهم لئلا يدخلهم إلى حصنهم . ووافق الحال أن الوزير حين من
العسكر من يقدم نفسه إلى البرج ويبيع نفسه في مرصت الله وجعل
لهم عطايا سنية كالأول فحاول من ألف دينار وأقل وعين لذلك من جميع
الجناس . ووافق دخول المنهزمين من ناحية رادس وهم داهلون ولم
يستطع أحد اضلاق الباب والمسلمون على أهبة فحملوا جلة رجل واحد من
كل الجهات وأعلنوا بكلمة التوحيد وارتفعت الأصوات فترزلت الجبال
بحملتهم . ودخلوا القلعة والقصر المشيد بنيتهم . وأخذوه عنوة بالسيف .
وقتلوا من فيه من المقاتلين بغير تشبيه ولا تكليف . وكان هذا الفتح
القريب والنصر الغريب . الذي مر به البعيد والقريب . لست مصيب
من جدي كالأولى سنة إحدى وثمانين وتسعمائة والله الحمد والمنة * وعلموا
ما كان فيه من الذخائر التي لم يوجد مثلها في مكان ومن العدد والسلاح
وعالات الحرب ما لا يوصف . وأخبر الوزير أن الذهب الذي انتهبه
العساكر ليس له حصر فسامو الوزير بتفتيش الأخبية والرجال فوجدوا
شيئا كثيرا . وأخبرني بعض الناس قتل أخبرني جدي وكان من حضر
الفتح وأصابته جراحات يوم الدخول للحصار قتل بينما إذ راقدا إذا بعض
أصدقائي وضع تحت فراشي من الدنانير التي انتهبت فلما دخلوا إلى الحب
الذي أنا فيه ووجدوني في حالة المرض انصرفوا عني وسلم ما كان تحت
الفراش وكان أزيد من ثلاثة آلاف دينار . وأسرو قبط النصارى صاحب
البرج والحاكم عليه . ومر السيف على من وجدوه من النصارى المهجرين
والمرتدين من ساكني البرج وما يليه . وشاع في الخفقيين خبر هذا الفتح
المبين . وقضي الأمر وقيل بعدا للقوم الظلمين * وكان هذا الحصر من
اعظم ما شيد بنيانه فوق الأرض . فأنشأ جيش السلطان سليم وقال أمرة
السعيد نريد أن ينقض . وكذا وقع الهدم على ذلك البناء العالي إلى أن صار
هبا . وحظ من أعلاه إلى أسفله وتفرق من كان فيه بيدي سبا . ورأى
الوزير أن ابتغاء على حالته الأولى لم يأس عليه من الألف * وكان

انتقامه بالفعل الماحي فوق عليه الامر بجزم الفتح فخصني ان لا يتم له الرفع
فيما هو ذات ، ولم يبق من اثره إلا ما هو معلوم عندنا اليوم ، وهو المكان الذي
كان مسكننا لقبطانهم وباقيهم مسكن لليوم * ومن عجيب الاتفاق انه
رسمت معالمه في سنة سبع وثلاثين وتسعمائة ومكثوا في تحصينهم مدة ثلث
واربعين سنة لم يظل لهم يوم بلا تحصين * ولما اراد الله سبحانه وتعالى
نزعهم من ايديهم احدهم في ثلثة واربعين يوما عدد م ملكوه من السنين .
فكان كل يوم من ايام الفتح يقبل مما ملكوه بسنة ، وان كان طغيانهم تزايد
في تلك المدة وانتبهوا لاختد البلاد فانه كان سنة ، والله تعالى يديم عز هذه
السلطنة العثمانية ليدوم بها عز المسلمين ، ويجعل سيفهم قاطعا بحدده في
الحدد وفي رقاب المشركين والمنافقين ، وارسل الوزير البشائر الى الباب
العلي . وكتب بما يسر الملك والامراء والموالي . ولولا تدارك الله هذه
البلاد بنصرة هذا الملك العظيم . لكان الكفر استحوذ على اكثرها حتى لا
يكون بها سليم * وقيل ان ملك النصارى لما سمع بهجوع العسكر
العثماني اطمعته نفسه ان يمد اهل الحصار بمدد من عنده . ويرسل
عمارة مشحونة بذخيرته وجنده ، وظن ان باب الاستدراك واسع . ولم يعلم
بان الحرق اتسع على الراقع . فبعث رجالا من حكماهم يتطلعون احوال
القوم . فذهبوا ورجعوا في زمن قريب كانه يوم او بعض يوم . فسالهم عما
شاهدوا من احوال العسكر وابصروا . فلم يكتموه بنصيحتهم واخبروه . وقالوا
راينا ما اذهلنا ، وحير افكارنا وشعلنا . وذلك انا وجدنا كل صاحب صناعة
مشتغلا بشغله . وكل من في مكان للجهد ملازمة لفرسه ونخله .
والقوم بين طاح وجرار واسواق ملقنة بالباعة من كل صنف والمشتري
بين دلال وسمسار . وحداد ونجار وبيطار . واكثرهم مشتغل بجمع الدرهم
والدينار . ومنهم من يتداول الحرب ويعتمد عليه . ومنهم من همته شان
نفسه ولا يلتفت اليه . وليس لاحد علم بم صنع الاخر . وعسكر المقاتلة
ليس له اول من آخر ، ولو نبعث اليهم بجميع النصرانية . لم يثر صك

شيئا ولم يبق منهم بقية . فبطل عزمه وزعمه . وقام ان اليهم دعمه واهله .
 فسئوحت لما اخذله الله بعد الناس . وذهب الله رجسه الذي كان
 بتونس * ولسا اتم سنان بنف ما فتح الله عليه بخلق الواد . ثنى عزمه
 المبارك الى البلد التي لم يخلق مثلها في البلاد . فرجع بعسكرة المصور الى
 تونس واجتمع بالعزاة المحاصرين قلعة البستيون وهم في اشد القتل وفرح
 البكر بكية والامراء بقدمهم واشتد ازهم به واطمنوا وتقدم معهم وجاروا
 على من بالقلعة حلة الاسود الصارية . وتعلقوا بطراف الحصار من كل
 ناحية . وعلات السيوف والمدافع بين الغريقيين . ومات خلق كثير من
 الملتين . وتواطى المسلمون على الاقدام الى ان دخلوا عليهم باسيف وقتلوا
 منهم زهاء ثلثة آلاف . ورمى بانفسهم من اطلاق الحصار الى استسلم زهاء
 خمسة آلاف وبعثوا رمية سهم ثم ارادوا ان يتنصروا بالتراب لان العسكر كان
 مشغولا بالنهب فتداركهم الوزير قبل ان يستحكم امرهم فتقاتلوا قتالا شديدا .
 وعلم اهل الكفر ان لا مانع لهم من الموت الا الموت فاقدّم كل على صاحبه
 ونصارى بالخناجر ومناقب بعضهم بعضا الى ان بدد الله شملهم وقتلوا عن
 اخرهم الا من نجا منهم الى شكلي ولم ينح من قصاء الله . وملككت
 المسلمون البستيون واخذوا ما كان فيه من امتعة واسباب ولبوسات واثاث
 حرب ومدافع وبارود كبير وبشمط اعدوة لخصاصهم واخشاب والواح استعدوها
 لانقاذ حالهم * وكان البستيون اقوى ضررا على اهل تونس من غيره
 لانهم ارادوا ان يجهنوا في حصصا ومدينة وقد ابتدأوها وفصلوا شوارعها
 واسواقها وكادت ان تستكمل لولا لطف الله باهل تونس ولو تضرع العسكر
 العثماني قليلا لكان لهم ما ارادوه ولكن قدر الله اعجلهم عن اتمام البناء
 وانقائهم . ولو تكمل بنيانهم لكان اصعب من غيره ولو لم يهتم السلطان
 سليم بهذا الفتح لاستصلوا افرقية بالجملة ويتفرعون من تونس الى طرابلس
 ولم يكن لهم مدافع هذا مع شدة نفق العربان الذين بافرقية لانهم او
 اكثرهم لا يراعون الا ولا دمة والكبر اقرب اليهم من الايمان فجزى الله

خير هذا السلطان علينا وعلى جميع المسلمين . وجعل السلطنة والنصر في عقبه الى يوم الدين . ولما اخذ البستيون وجدوا الجامع الذي خارج باب البحر مملأ بالسلاليل والاعلال وربما اهل البستيون كانوا يشعرون الناس عن اديانهم ومن صعد غير ذلك . وكان اخذه بعد حلق الرازي بسبعة ايام وقيل خمسة عشر يوم . وقيل غير ذلك والله اعلم . واسروا قطعه ناراد ان يفدي نفسه بالمال فصرخوا عقم لانهم وجدوه سبي في رودس وايضا في جزيرة لما اخذه درغوث بسا وهذه السلة في البستيون سراح الله من الاسلام . ثم ان الخاتمة المعروفة لما سمعت بشكلي طلبت احد من الوزراء فامتهم : وقد ربي في ذلك مصلحة فاجاب اليه راعي مائتي منهم واخبروه : امور فمهمة منهم ان ندعم مائتين وخمسة من رجالهم اهل صناعات غريبة منها عمل الطوب الذي يعجز عنه وتزويج الحديد والنفاس وعمل المدافع الكبير وغير ذلك من الصناعات واعطاهم الامان واحذوا ثلث اعمالهم وشركا عليهم فخرى المدافع وسلك النحاس وتكون في ارجلهم القيود ويكفل بعضهم بعضا فوضوا بذلك واعطاهم على هذا اشراط الامان وكسبهم وجعل لهم العلوفات واستخدمهم للباب العالي ومن ذاك الزمان كثرت صناعة المدافع بتلك الديار . وكان هذا التسريح الاخير المبارك يوم الخميس لخمس بقين من جمادى الاولى سنة احدى وثمانين وتسعمائة وقيل في السلاخ الثالث عشرة آلاف مائة . ومن المسلمين ذلك القدر ختم الله لهم بالسيادة . وهاهم دار الرضى لما حتم لهم بالحسنى وزيادة . ومن من انيس العساكر المصورة امراء اسلام . فمن مشاهيرهم صفر بك صاحبني الاسكدرية . وبهريد بك صاحبني نرجانة . واجند بك صاحبني ارزنه . ومصطفى بك صاحبني اسيس . ومن امراء الاكراد خضر بك وفرهاد رحيم البشرية ورأس زمرة البغيين . وكثير من الزعماء واهل المصبرات وغيرهم عدد كبير . واحذ الوزراء من الاماكن الثمينة مائتي مدفع وخمسة مدافع كبار غير الصغار وزرايز وترك لحفظ تونس خمسة وثلثين مدفعاً وارسل للباب العالي مائة وسبعين مدفعاً من الكبار العظيمة للآمنة هناك . وارسل بصورة الفسخ الى

الابواب الشريفة خلد الله سلطنتها . وانفذ في الخافقين كلمتها . ورفع درجتها
 آمين . ولا يطن السواقف الى هذا المجموع اذا سمع لفظة حصار حلق
 الوادي انه كجملة المحاصرات الموجودة كلا بل هذا اعظم حصارات المغرب .
 وناعيت ان النصارى نكثوا في بنيانهم واتقانه طول المدة التي ذكرناها .
 وهدموا لاجل ذلك الحناية التي يعجز العالم عن دمه فها عسى مبناها . واخذوا
 هجارتها المنحوتة من عهد ابن السمرد . وافرغوا عليها من آلات البناء حتى
 قيل انها من صنع داوود . وانما اطلق لفظ حصار على هذا المكان بجازا . وانما
 هو مدينة على الحقيقة والبحر بينه وبين من يصل اليه جارا . وشكل هذه
 المدينة مربع . واربع حصارات في تراصاتها الاربع . والبحر من قبلها
 والبحيرة من ناحية الجنوب ويتلي البحر والبحيرة من ناحية الغرب ولهم عند
 مجمع البحرين قبة وهي المعبر عنها بليربجة في يومنا هذا . وادخلوا خليجها
 من البحر اخذا من القلعة الى الجنوب اخذا في طريق الناحية الشرقية .
 وخليجها آخر مارا من الجهة الغربية ويدوران بالمدينة دور السوار بالمعتم
 وتدخل ثلاثتهم من البحر الى الخليج لاخذ من ناحية الغرب وتكون
 مرسعا عند باب مدينتهم . والسبب تحت الحصار الذي على ربع المدينة ما
 بين المشرق والجنوب والخليج الذي من شرقيها فيه مرسى العلائط الكبير .
 وغربي المدينة على صورة الرقص الدور الذي كانت سكنى المهاجرين وتس
 سواهم من الكثرة ازيد من حثتي دار ولهم حاجز بينهم وبين من يصل اليهم
 مثل الصور . وبناء المدينة بوجهين داخل وخارج كل وجه هجارتهم من
 اعظم شئ يكون وما بين الوجهين حجر دقيق مفرغ عليه الجير والرمل كافراغ
 الرصاص بحيث لا تعمل فيه المعاويل ولا الفيسقان بل ولا البارود الذي هو
 بلا ريد . ويشهد لما قلناه ان في امكان من هذه القلعة عدة مواضع كانوا
 جعلوا فيها العما علم نغم شينا . وعانار هذه الاعام بقيت . وعانار المحيطين
 على حالها راقية . وفي وسط الحصار كنيسةهم باقية عانارها ايضا ولهم عدة
 مواجل لاجتماع الماء الذي ينزل من المطر وهي مثل الدواميس مشبو عليها

من اعظم ما يكون وهي باقية الى اليوم . وبكل ربع من الارباع منها حصار
مستقل بنفسه مبني على اقيسة يحير العقل في وصفها وصورة لاعلى كالاسفل
في الاتقان . وهذا قليل من كثير . واما شاهدنة من بعد التدوير . ولم يبق
منها الا الربع الذي بين القبة والمغرب وهو الحصار الموجود في زماننا هذا
ومشح المنب لان الى ناحية المغرب . وهو باق على حاله الاولى ولم يتغير
منه الا شيء يسير . ولما فرأت بساحتهم العمارة العثمانية صباحا وانذروا
باخذ ما احكموه « فساء صباح النذرين » . ولما اخذهم الله اصحوا لا ترى
الا مساكنهم كذلك نجزي انقيم الظلمين . ونزول العمارة من ناحية المشرق
واقعدت الى ناحية المغرب ومن ههنا وقع الودم الذي القوه في الخندق
كما ذكرنا سابقا وجعل فوقه المتاريس الى ان صارت مدافع المسلمين
اعلى من فوق رءوس اهل الشقاق . والوضع الذي اخذ منه التراب والقوة
في التماس انحصار فيه الماء واحباط بهمة البحيرة حتى صار كانه منه يسمونه
الغديرة الكحلل لكثرة ماؤها وعقها . وصار السمك فيها كثير . والمكان الذي
كان مينا المراكب من كل الجهات صار ملاحه يسعى الملح منه الطائفة
المرتبون لان لحظ الحصار . وعاد نزل المصانع مشهورة واحاط وقع الودم
على الدور التي كانت من خارج المدينة وعلى الاماكن المرتفعة منها . واما
الجدران فهي الى الان يشهد لها من نظر اليها بانها كانت خيفة لا تدرك
وانها كانت حصينة منيعت من مالك او يتعلك وطولها ... نقص ...
واما المكان الذي يعرف : « يستيرون فمعروف لكن ليس فيه عائر بساء »
ما وجد فيه في حدود الخمسين بعد كلال في ايام حاكم تونس وهو مراد دمي
له امر بنقل الاربل التي اجنعت ههناك والتم اهل المدينة ان يغلبوا ويضعوا
في المكان المختص ما كان في المرتفع فوجدوا من حكور الدافع شيئا مستكبرا
يستدل به على ما وقع هناك من شدة الحرب ونجيك بمكان اجتمعت على
احده اربعة محمل واربعة باشاوات حيدر باشا ومصطفى باشا صاحب طرابلس
واجده باشا صاحب الجزائر وكان متصلا عنها في التاريخ ورضان باشا كان

ممثلها عليها . والمدد الذي امدهم الوزير به وهو ابراهيم بك من صندوق مصر
ومحمد بك صبيحتي قمرس وبكاكير بك صبيحتي قره حصار كل هؤلاء ما منهم إلا
ومعه عسكر الفا نفر من عسكر السلطان والف رجل من الطليعة لخدمة المدافع
والف ينشري وهي اثنتي عشرة ساحة دار الباب العالي وجاغت الطامة الكبرى
وطلع علي قبطان البحر حضور مع هؤلاء المذكورين وعدة مدافع وزوارب امدهم
الوزير بها ومشاهدة الوزير لهم المرة بعد المرة . وبعد هذا لم يحتسبوا عليه إلا
بعد فراغهم من حلق الرادي . وان حكان هذا الخبر قد سبق ذكره إلا
اني اذنته هالزجدة التعريف بها وقع من البلاد في وقعت البسنيون وللا
يظن الظان ان هذا المكان ليس بشيء . واما جزيرة سكي ادركك به . اثار
البناء وقد سبق التعريف بها في اول الكتاب . وهذه الاماكن المذكورة
اهضت سلاطين بني ابي حفص ولم تمكن لهم قوة من حسم هذه الطامة
واهل تونس معهم في جهد جهيد . ونار حرب كانوا قيل لها هل امتلت
فقول هل من مزيد . الى ان سن الله تعالى على هذه المملكة بمن نظر حالها .
وفك بعد ما استولت عليها ايدي الكثرة عقولها . وهو سلطان البرين والبحرين .
وخادم الحرمين الشريفين . وفيما مع الطعنة والفسدين . السلطان ابن نسل
سلطان السلطان سليم بن سليمان . خلد الله سلطنته . وابدها في ذريته .
وجاراه في دار الكرامة بما فتح بسيفه وحسن نيته . ورحم الله وررأه الذين احلوا
له بالطاعة . ولم يشق احد منهم العص ولا خرج من الجماعة . خصوصاً
سن كان هذا الفتح على يديه . الوزير الاعظم سنان بسا الله الله بها جرت
من الصلحات على يديه . ولما لم هذا الفتح . الذي حصل له به الرشح
والنجاح . بعث بالخبر الى الابواب العاليية . وبهر بان الكافرين ليس لهم
باقية . وانعم على من كان في ركابه من الرعاء والاكابر . وبذل احسانه
لمن كان معه من العساكر . وانعم على كل صاحب مرتبة بما يستحقه . وعرض
ذلك على الباب العالي فبلغ لكل احد حقه . ومهد البلاد وامن العباد .
وقمع وخافه اهل الفساد . وتربك في تونس من العسكر العثماني دارا من ديار

الينشورية وهي الواحدة بعد المائة على ما هو المتعارف بينهم . والجاري على عادة اللواتين العثمانية وتن سلك طريقهم . ورجع إلى تلك الديار . وخلف من ذكره ما سارت به الركبان وطرت به الاخبار . واحض قبطان البصاري وقيدة وحمله في مركبه وحمل السلطان محمد ءاخر بني ابي حفص وهو ءاخر العهد وبه انطلقت دولته بني ابي حفص من هذه الديار . ولم يبق من نسبهم الا ارامل وعجائز وبيوت وابكار . وانشد الحسن الخال *
 كان لم يكن بين الحقول الى العشا انيس ولم يسمر ببكرة صابر
 ولما نكس قدم العسكر العثماني في تونس كما ذكرنا ورثب الوزير
 سنان باشا قوانينه رث من بعده ذبذبة الرسم . واطهر فاموس الملك وقدر فيها المرتب المعلوم . رجع الى دار سلطانه بالديار الرومية . وخلف هذا العسكر المعمر عنه بالينشورية . فصبطا ملك تونس ودعيت قواءهم . واستمرت بيدديم خائفا على سلب والربا مساعدهم . واصابهم منفسد من بنين فاعسها . وسكنوها وجعلوا دار الخلافة بها . وهي المعبر عنها بدار الباشا . وكذلك الدبوان كان يرسم بها وجعلوا قوانين يميزون به . وهذا في اول امرهم في الاحكام حذود ديوان الجزائر . والمصرف في احكام البلد بأس الوقت ونظر العسكر الى آءاهم . ودونت الدواوين وخرجت الولايات والجهات . ونشرت في بلادهم الافرنقي باسم اساطمة العثمانية الرايات . وتوزم الخطباء على المنابر باسم السلاطين العثماني وحرب اسمهم على الذرحم والديار . واصيقت الى مملكتهم الشريعة هذا الدير . واسموت عليها الولاية العثمانية . وجعلوا من السلطانية رعية الروسية وحسكت فيهم الم شودة . وجعلوا اصطلاحا . على عادة اهل الجزائر الخكم في الديوان والعسكر جماعته ابواوكاشية . ولكن ساروا في احكامهم بعفة على تن دونهم في العسكر ووقع منهم الجهور حتى ان الواحد من السلوكاشية اذا كان عنده صبيان وهم المعبر عنهم بالعرربة فكون له حرمة وافرة وربما مد يده في اليريداش وما مسى تن دونهم فسيقت نفوس العسكر واضمروا لهم الشر ونعدوا بينهم على

الفلك بهم في يوم معلوم وهو يوم جعته * وكان وكيل المخرج في الديوان واحد منهم اسمه طبال رجب وله عثب الى اليوم فساعدتهم على ما ارادوه ووعدهم انه لا يحضر ذلك اليوم لتكون البيث التي فيها السلاح مغلقة بحيث لا يجدون سلاحا يذبحون به من انفسهم . فلما كان اليوم الذي نواءدوا فيه واجتمع اهل الديوان دخل عليهم العسكر على حين غفلة ووضعوا السيوف في سن وحدوة صاك ولم يمنع الا سن لم يحضر ذلك اليوم وتبعوهم في منزلهم وقتلوا منهم من طردوا به ولم ينج الا سن فر بنفسه وكانت هذه الواقعة اخر ذي الحجة سنة تسع وتسعين وتسعمائة * وكانت اسيرة الشيخ المشاش قد تقدمت بما صر لهم لانهم كانوا طالبة بمل يستعينوا به على مرتباتهم لان الشيخ كان ينفق اتفاق من لا يخشى الفقر من كثرة احسانه للفقراء واحياء الزوايا التي في المدينة والخارجة منها والطعام والطعام وفك الاسارى واعدل البر حتى قيل انه كان يصرف في اتفاقه من كوى الله فصولت لهم انفسهم بمطالبتهم فطالبوه وارادوا اكراهه فبعث جاعة من الفقراء الى المجازر التي بتونس وامرهم بشري رعيس الكباش فاجتمع له منها شيء كثير وفي اثناء ذلك حل بهم ما حل فكانوا يرون هذه الواقعة من كرامات الشيخ نفع الله به * وامسما فعلموا فعلتهم تحزبوا احزابا وصار كل حزب منهم له رعيس فاجتمعت عدة روساء وصار كل رعيس يدعى باسم الداي وهذه اللفظة معناها خال باللسان العربي وهي منهم تكبرة بمن ينادى بها وصارت جاعاتهم تقرب من ثلثمائة رجل * واذا حل بهم امر تجتمعوا في القصبة وتشاوروا بينهم الى ان يتفقوا على رأي واحد ولكن لا يتم لهم رأي من كثرة دباقتهم * وكان اكبرهم اذ ذاك ابراهيم داي اشتهر بينهم بشجاعتهم وكثرة جاعتهم الا انه لم ينفرد بينهم بالحكم فمكث على حاله ثلث سنين وطالب منهم دستور لزيارة الحرمين فاذنوا له وفارقهم ولم يعد اليهم وعاد الى بلاد الروم فاستوطنها وعاش الى بعد الستين وكالاف * وامسما خرج من يمين اظهرهم قلم مقدم موسى داي واراد ان ينفرد بكلمتهم في الحكم فلم يتم له مراده فلما رأى الاضطراب في العسكر

والهجر بينهم ذلت نفسه فمكث نحو سنة وطلب منهم السير إلى الحج
كما طلب إبراهيم داي فاذنوا له ، فلما خرج من بين أظهرهم بعثوا له أن لا
يعود إليهم فما رجع بعد ذلك . ثم تأنبت فيهم الرساء وصار كل واحد منهم
يريد الاستقلال فقام من بينهم انسان احدثهم قوة صفر والاخر عثمان وكان
عثمان اهل من في الداييت جعا وذكرنا إلا أن الوقت ساءده والدر موافق
له فوقع بينه وبين صفر داي مشاجرة فذهب كل واحد منهما إلى منزله
ولبس لامة حربيه واقبل إلى القصبه . فسبق إليها عثمان فدخلها وجلس
في سقيتها واجتمع اليه بعض جماعته فلما رأى صفر داي متبلا إلى القصبه
بعث له من رده وامره بالخروج من البلاد فخرج على وجهه ولم يستطع
بينهم عنزان فخرج صفر داي وسافر إلى ناحية الجزائر ولم يزل هناك إلى
ايام يوسف داي فاعاده إلى البلاد ولم يكن له اسم بعد وعاش إلى قريب
من الخمسين والالف ومات بتونس بعد ما تزوج بها وكان له ولد واحد وادركت
صغرا هذا رايته . وام عثمان ذبه لما نفي صغرا حابه من سواه واحد في
نشتيت اكابرهم وخافه اكثرهم فهربوا من بين يديه وسكن غلبهم في
اطراف البلاد خيفة منه . وهو اول داي انفرد بالكلية في سنة سبع والفس .
فبشر الولاية بحش متين وصوله زائدة وكانت فيه شجعة قوية بحيث
يبشر الامور بعسسه . وربما سمع ببعض الخنث في العابة للفسدين من
الانراك ينتهبون الغلة فيخرج بجماعتهم في طلبهم حتى يظفر بهم . وكان اهل
البساتين قبل ولايتهم اذا طابت غلاتهم طابوا من اهل الديوان من يحرسهم
من يجتري عليهم من العسكو لنهب غلاتهم فيعينون لكل مكان ساجيا
يحرسهم ويجعلون له جعل على ذلك . فابطل عثمان عدتهم وصار يحرسهم
بعديته فحافه النلس وجعل تلك العادة ياخذها الساقجي من الباعة الذين
يلوجون في لاسراق فلسا على كل واحد . وانحسرت لاسرار من التعسف
في الخنث والفسادين . وقام بالدولة احسن قيام لا نرد كلمته . وادان نكلم لا
يراجعه احد . وارادوا ان يفتلوه مرارا فلم يتم لهم ذلك لانهم ياتي اليه من

يعلمه فيتمكن منهم ويقتلهم اشرقت له * ولمسا لهم الامر نفى
 اهل جربة القاطنين بتونس لانهم كانوا تحت حكم اهل طرابلس فاجلاهم
 من تونس * وكثرت في ايامهم غارات البحر حتى كانت لا تصرف وفي
 ايامه كبر صييد محمد باي بن حسين باشا وكان قبطان البحر بفلائطه وجر
 مدة غنائم مشهورة . وكان عثمان داي اذا جاءت غائمه طاع الى حلق
 الوادي وبيعت الغنيمه هناك فيقع للتجار ربح قوي * وفي ايامه جاءه
 دال قطن من بر الصاري وحصر ما بحلق الوادي من المراكب ومنعها
 من الخروج فحدهم عثمان داي الى ان قدر به واسره وسجنه في القصبه
 وبها مات * وفي ايامه كان الفسق لا تطم وذلك في سنة ثمان عشرة وارب
 عشرة بعد الثلاث وهو مشهور بين اهل الحضرة بحيث اجتمعت ثلث مسائل
 الوباء والعلاء وتغيير السمكة في زمن واحد فكان اهل تونس يرون هذه
 الامور من اعظم شئ حل بهم بحيث بلغ نفير الحطه ثلثين دينارا . وادركنا
 من كان يستعظم هذا الامر ولو ادرك ما وازدد في عصرنا لاستصغر ذلك لانا
 شاعروا بالعلاء المفرط الذي لم يسمع بمثله في افريقيه قط بحيث بلغ النفير
 من الحطه اضعاف ذلك وبيع الصاع من الحطه بنصف ريال فيكون ثمن
 النفير قريبا من المائتي ريال وذلك في محاصرة القصبه والمدينه في الكائنه
 العظمى التي حرقت فيها ابواب المدينه وسياتي له ذكر بعد . واجتمعت
 مسائل شريه * وفي ايام عثمان داي كثرت غارات البحر كما قد سألنا
 الصاري كانوا في حيله عن الاستعداد لشحن المراكب الكبر . وانما كان
 يسافر الغراة في الفراقط وما ظهرت المراكب مثل الشيطيات والطشات وغيرها
 من السفن الكبار الا في زمن عثمان داي . وكذلك في بلد الجزائر وتهدى
 الحبل الى اليوم وسافر عثمان بنفسه المحلة مرتين بحلة الجريد وهي التي احدث فيها
 بلد سدادة وحلة الصبي . ومهد البلاد وجعل قوانين للرعايا يكون العدل بها
 ويسمونها قوانين عثمان داي وقد تغيرت لان تلك القوانين * وفي سنة سبع
 عشرة قتل عثمان داي محمد باي بن الباشا حسين لانه اراد الوثوب على عثمان

فقطر به . وكان اتفق مع جماعة مستفيضة وأطلع على أمرهم ساقلي* ورجب
فأخبر عثمان داي بذلك وقيل كذب عليهم وفي سبب قتلهم اختلاف
وانذر محمد بنى فتفرقت جماعة وهرب بنفسه إلى ناحية أريقية فحانته
نلك العرب وقبضوا عليه وأخرا به فسمع عثمان داي فبعث من قتلهم قبل
أن يدخل تونس خيفة من الفتننة * وكان عمر محمد بنى اذ ذلت ثيابه
وعشرين سنة وذكره طبق بلاد المصاري وفعل بهم النقرة ورزق سعادة
في الكرك لم يسمع بمناله وكان نسبح وحده رحمه الله وتوفي عنه * وفي هذه
السنة والتي نلها جاءت لاندلس من بلاد المصاري بشاه صاحب سبانية
وكانوا خلف كبيراً فوسع لهم عثمان داي في البلاد وفرق ضعةهم على الناس
وأن لهم أن يعمروا حيث شاءوا فاستروا الهندشير وبسرا فيهم واتسعوا في
البلاد فعمرت بهم واسطوا في عدة أماكن . ومن بارانهم المشورة سليمان
وبلي ونيلوا وقولناية ونركي والحدية وزعرن وشيرين وقرفس . أراد رجب
البناب والسوقية ونستور وهي من أعظم مدنيهم والحضر والعلية والنعمة وغير
ذلك بحيث نكون عدتها تزيد من عشرين بهذا فصار لهم من سليمان
وفرسوا الكروم والريثون والسائبين وودوا الطرفت والكراريط والميسفوين
وصاروا يعدون من أهل البلاد * ولستسنا استتمام عثمان داي ما أراد
عاجله جاءه وأنى عليه ما أتى على غيره ولحق بربه في سنة تسع عشرة
بعد لالاف ولم يثب إلى يوم هذا * وقسمهم بلامر بعلاء يرسب داي
وهو أول داي استقدم أمره بالفتح وكان ممن داي رسب في حينه ورزح
بشده ولم يدخل به وكان في مرضه سائر من نبي بعده فصار لهم ما صح
كلامر عجم داي . وكان غائباً في بلد بنجد لأن فيه شهامة . وأن أردتم
هذه انتمكم فقدموا يوسف كلان لأن فيه لنا . وكان قصده توليته لأنه صبرة
فلما مات عثمان بعثوا إلى عجم رسولا وأصبروا منظرين في أمرهم وتجمعوا
عند دار عثمان داي * فبينه أهم كذلك اذ دخل علي نبت وكان من
أصح ب يوسف فلما رأى جمعهم أقبل بجسارتهم وقيل يد يوسف داي

وبارك له فلم يبق من الجماعة احد الا وفعل مثله فبايعهم كبار العسكر
وطاعوا به الى النسيبة واجلسوه على عدلتهم وجاءه الناس وبيعوه على طبقاتهم
وته لا كلام . ومن عند اقبال عليم من دجه حامي الامر قد فقه علم يسعد
ايلا المباشرة هناك يوسف داي يكرمهم فيما بعد . واخذ علي شيبث في تدبير
المملكة وصرف نيت يوسف داي عن النزوح بابتة عدلان داي فتخلي عنها
ودر عليهم بنزوح خطايا من بنات كالاتح كانه خاف من مصاعبه لا يزال
عدلان داي والزحافي جدهم ليمسند هو بناسر وحده ، فقال كذلك فاستقم امره
وسعدته جده الى ان بلغ رتبة لم يسلها احد قبله وسيلاني له خبر . وفي
ايام يوسف داي تحسرت البلاد وكسرت عديتها وكان مودعا بتدبير المراكب
في البحر لنزوح وبلغت عدتهم خمسة عشر عرجتها من الكبار . وفي ايامهم
كثرت الروساء في البحر وكانت لمراكبهم سمعة وديعة . ومن اعظم ريساء
عصره قبطان صمصوم وقبطان وردية حكمت نصرانيين فسادوا في ايامهم
وجاء الى دينهما واسلما بعد وكان لهما صيت في البحر . وسعدته الايام
باعتهم من النهر واليه في البر فبنيت في ايامهم عدة امكن في المدينة
منها سوقى الترك امر تهمسرة على ما هو دايهم ايامهم وكان على غير هذه الحكاية
فجاء من احسن الناس التي بهنس وبنى اله مع المشهور به وجعل امره
من الطمينة المحيرة وحصل له اوقاف من الموزنين واقراء والتخدمته فجاء من
احسن ما يكون وبنى باراد مدرسة تعرف بر اخصا وصفها عدة بيوت
للطاطين بها ودرس على مذهب الامام ابي حنيفة وجعل مربيا للطلبة
بها واتخذة راقب عليهم اربعة من الحصر لكل من الموزنين والامام والطلبة
وقد يلقى اشكر دلت ، وفي المصحة التي تحت القهوة يرفع بها كدر من
الناس يكات القهوة التي قسوى المصحة وجاءت من احسن ما يكون
وجعلها وفتا . وبنى السوق الذي به الحراثة ماوى للتجارم وهو من اعجب
الاسواق وكذلك الحصر الغرب من السوق المذكور وبنى عدة فنادق لسكنى
الطائفة النوند . وكذلك السوق الذي يباع فيه الرقيق من السودان

وغيرهم ويقال له البركة وهي من اجل الاسواق * وكذلك فتح باب
البنات بعد ما كان مسدودا وبوبه وحمل فيه حدة حوانيث فجاء من احفل
الاسواق وبني قريبا منه سوقا يدع في العزل وكانا قبل اليوم في غايته
العمرة وقد لايشي امرهما ولم تنق اليك رسومهم وعمرت تلك الساحة بعد ما
كانت خرابا من مكان يعرف من تحت حدة في باب البنات وكان المر
من هناك في النهار يحث على نفسه وعمرت تلك الساحة وهي اليوم من
اجل حرات تونس . ولم يمر ما ذكر من الخيرات التي بقيت بعدة تذكر .
ومن اكبر حسنات ان جانب الماء العذب على الحاية الشهيرة بدونه من مدحا
في المدينة في عدة اماكن منها القبة المربعة التي تحت المربعة المربعة
للتجامع لاسلم وديها في راس سوق البوك وفي اماكن اخرى واتبع الناس
يؤذي الماء زمسا وقد تعطل في زماننا هذا فتمت في البحر في شام واهمال
الحكام له ولا حول ولا قوة الا بالله * ومن خير ما يروى من السيرة العجبة
التي على والي سحره من ذرية المملوكين وحيات من المملوكين
اليوم من اصحاب الممونات التي لها ذكر بين الناس . كان عليها برج في
حياتهم ثم راد فسد من بعده مرارة التي نصرة اذاعة ثم سراج بعد وادع المرحوم
اجد شلى وصحة . ثم صار من بعده الى خليفة ابي الحسن على في دراه
صنعتهم الى ان صار يصير به المملوك وجاء بسعدته في اجل شكل وسب في
لذلك زيادة اصناف . ومن في عدة اماكن من ما ذكر في باب السرايا
الاماكن المعظمة وجلب اليه النساء من مكس بعدد مع اسعرون بها
وكسبت له صدقات عديدة منها لسطار الدرسين في المملوكين
اشرف جسة ريلات فكل متب حتى ان اكتسب ولو بطل في مدة
السنة يجي في هذه الليلة لاخذ ما هو معلوم انهم الله على صنعه * ومن
زار ايم دولته . وسلك في فعل المعروف طريقته . وكان يصدر من رايه
في قومتهم وقعدتهم . المرحوم بركة الله الخاج على فبث وهو رحمه الله على
حسة من حسنات يوسف ذي . وكان صاحب الحسان في زمانه في مكس

وله ذكر عند اهل تونس لاحتاج الى تعريف * ومن بعض حسنة
تسمية المسجد الذي بآراء داره داخل باب الجزيرة وجعل له اوقاف وكذلك
تشيده بالجامع خارج الباب المذكور والمباني التي بسوق الترك وجاءت
من اجل ما يكون ويتفق به الغريب وجعل له اوقافا لمن يقوم به وكانت
في غاية الحسن الا ان بعض حداثته استولى عليها واهرها مصير الى التلاشي
وله اخبار تحتج الى ديزان ومات رحمه الله في سنة احدى واربعين والى
وهو من كان يعس يوسف ذي على فعل السر ولو تبعنا حسنة يوسف داي
الطال بنا التسع لها * وفي ايامه في سنة اثنتين وعشرين والى كانت محلة
الحرار كالأول وله يقع بينهما قتال * وفي ايامه كان التمدد لاظم الذي يقول
له اهل تونس وداي سيدي ابي العيث لانه فيه نوي الشيخ رضي الله عنه
وشهد به وكان في سنة اربعين واحد وثلثين والى ومات فيه خلق كثير
وفي ايامه في سنة اربع وثلاثين اخذت غرابان من اغربة مالمطة وجي
بهما الى تونس وزينت البلاد لاحددهما * وفي سنة سبع وثلاثين كانت
الواقعة العظمى بين عسكر الحرار وعسكر تونس ومات فيها خلق كثير وكانت
في شهر رمضان من السنة المذكورة واستقبلهم الشيخ ثابت بن شريف
واطمعهم في البلاد ومسا الخي الجمع كانت المدايرة في اول يوم على اهل
الحرار حتى طالبوا الناس ثم ان الاعراب حانت وكان اعظمهم اولاد سعيد
فانكسرت محلة تونس ونهبت وعانت الاعراب في الوطن ومشت جماعة
من مشيخة البلاد مثل الشيخ تاج العرفس العثمني والشيخ ابراهيم المغربي
والشيخ مصطفى سيخ كالدس وغيرهم ونم الصالح بين الفريقين * وفي سنة
ثمان وثلثين كانت مجاعة الكدى التي م بنى شريف وكابد هذه الكاهول مراد
بن وكان صاحب دماء . ومسيه احدث النصرى فلاطيس لاهل تونس .
وفي سنة احدى واربعين نوي الحاج علي ثابت وفيها جاء منصب المشايخ
مراد باي . وفي اتي لاهل اخذت جماعة من اولاد سعيد وركبوا على الحراريين
في اوركان وفيها ظهرت لجة لجة محمد باي . وفي ايام يوسف داي فتحت

الحمامة بعد تفق سبع سنين ولم يزل رحمه الله الى ان سار الى رحمة الله مشكور السعي من الناس وكان مغرماً باصيد يخرج الى البادية ويقيم عندهم ايام ويصطادون معه ولم يكن له منازع في البلد ومات عن سن صليته ليلة الجمعة الثمان والعشرين من رجب الفرد سنة سبع وأربعين وألف ودفن في مسجدة المعروف به وبنى عليه ولده تربته بديعة اشكل وهم الله تعالى هذه الروح الطيبة وجازاه بما هو اهل به ومنهم من اصطفا مراد بن عبد الله من الاعلاج ببيع صبغة الليم الذي مات فيه يوسف داي وانفق على تقديمه جماعة واكرمهم ماضي من اكبر عماليك يوسف وكان يرى نفسه انه احق بالامر من غيره الا انه خفف من العسكرة انهم لا يقدمونه وراى انه يقدم اصطفا مراد فان رضوا به دبوا في خاعه واستبد هو بالامر . فعجله اصطفا مراد لما تم له الامر ونعده الى زغوان وقتل هناك ولما تم له امره باسر اسلاية بحش من . واول ما امر به قطع الخضرات التي بين الكوفة وكانت كثيرة وابطل نوح البستيون وابطل بيع التمتع الذي كان يساع به وابطل ايضا باعة السبيد والدقيق ونظر في معيش المسلمين احسن نظره وكان الرغب الذي يساع بنصري زشم ستا وثلاثين وقتة وبيع الاحم في زشم بنصري الرطل في فصل الشتاء وكان الناس في ارغد يشن وامر نائش الازبال الذي خارج باب الكهر وكانت كيما كالجبال وخدم فيه الربض والمدية نوباً بينهم وكان يحضر بنفسه وجماعته كل يوم . وفي اول سنة من ابيه جاءت علايط لجرار الى تونس وكان عددها مائة وسافرت مع علايط لتونس ودي نمانيا ايضا استمر السلطان في حرب اولونه محصرتها عدة الشارقة في مكان استحال الخروج منه فكان من رايهم انهم نزلوا الى البر باجمعهم ومن معهم من اسارى الصارى واحرقوا الحلائط كلها ونوحوها برا الى قسطنطينية فنعم اليهم السلطان بعلايط من عدة ورجعوا الى بلادهم وكانت هذه الواقعة سنة ثمان وأربعين * وفسيها جاء الخبر بان السلطان اخذ بغداد فزيت المدينة سبعة ايام وسكانت هذه الزينة من

أحسن ما شهد في تونس من الدعة والسنة . وفيه جاء الخبر بوفاة السلطان
مراد وتولية أخيه السلطان إبراهيم . وكانت أيام اضطراب هذا من أحسن
الأيام . وقد انفتحت جافة على القيام عليه فطش بهم وقتل منهم جمع كثيرا
وفوت من فر منهم . وكانت له صولة عظيمة وهيته وهو أول من جعل
القواد يلزمون بابه كل عشية بقصد الانصاف لمن يشتكي منهم ولم تكن
هذه العادة من تقدمه * وفي أيامه بني البرج الذي بغار الملح على يد
المعلم موسى وأمر أن تبنى هناك مدينته واستقر الناس إلى السكنى فيها
وسلّهم دراهم للتعمير والاعانة فاستوطنها جمع من الأندلس وغيرهم وهو السبب
فيه حتى صار من أجل المراسي التي يبلد للإسلام وكان قبل ذلك مكانا
للصاري ونحسب ضررهم وهذا بعض من حسناته . وبيع كثير النخع في أيامه
بأربعة دنانير نواصر ومطر الزيت بدينارين ومنع خروج النخع لبر النصرى
ودخلت هيثة في قلوب العسكر والعامّة من الناس حتى أن الذمي كان
لا يجار عليه ولا يظلم بشيء . وكانت كلّمه لا ترد ولا يراجع أحد ولو
كان ولده . وهو أحد من راس في البحر لأنه كان يخدم فيه قبطاننا
ورزق فيه السعادة التي لم يرزقها أحد من قبل * وكانت أيامه في
البحر من أجل الأيام ولتولى الحكم بتونس كانت أيامه من العدمّة
كذلك إلى أن توفاه الله وقدم عليه بعماله وكانت وفاته سنة خمس
والثب رحمه الله تعالى * وقسم بالامر بعده أحد خوجه ويقل
له أوزون خوجه باتفاق من العسكر ولم يختلف فيه أناس لأنه كان في
أول أمره وهو خوجه بالديوان يعامل الناس بالرفق واللين وخصوصا الأيتام
من أبناء العسكر يهش لهم ويتحن عليهم فمالت إليه القلوب وقدموه عن
رضى منهم فبشر الولاية بجهنوت وغبامة وكان جت ليل * وفي
أول ولايته جاءت أغربة مالطة ودخلت إلى خلق الوادي وأخذت منه
هذه المراكب أحدها مركب يو شاشية وحرّقا مراكب آخر وفعلوا فعلا عظيما
ولم يمنعهم البرج الذي هناك فعند ذلك أمر ببناء برج آخر لحصانة المراسي

ويؤيد أيضا سكان الغلاء المفرط الذي لم يسمع بمثله وفعل فيه بسوا
 طيما المرحوم محمد باشا واحمد شلي لانهما جعلتا صدقات من الارغفة
 للضعفاء تقوى عليهم كل يوم ويقع نزاحم بين الناس في مكان التفريق وربما
 مات بعض من الارواح بمقربة من زاوية الشيخ الجليزي وانقطعت
 الاسعار من اقمي والشعير ولكن كانت مدة يسيرة . ثم تدارك الله سبحانه
 عباده ونراجع الحال وانت السنة في غاية الخصب وارتحم الناس . وفي
 اول دولته وقعت المحاسبة بين المرحوم محمد باشا وسليمان باي وظهر قبل
 سليمان مل اخذ عرشه محمد باشا طبطم والرنذالة والسانية التي براس
 الطيبة فوجب كل هذا لاجد خوجه وهذا يدل على سخاء الباشا المذكور .
 وفي سنة ثلث وخمسين كان الفناء الاعظم ودُم سبع سنين . وفي سنة
 خمس وخمسين كان ابتداء العمارة لكديت وجاءت الاوامر السلطانية لقصد
 العسكر والركب اعانة للسلطان فندب احد خوجه الساس وحمل على اهل
 المدينة والربيع ابرالا لتجهيز المسافرين وجمع جمعا من الرعية للسفر ولكل
 واحد جعل من ذلك اهل مقداره ناسون كرونة لكل رجل وعين جلته من
 الاسحى والتمسان والتصف وبعثهم في المراكب وكذلك في السنة التي
 بعدت ثم قطعت بعد ذلك . وفي ايامه ابتدا المرحوم محمد باشا بتزويل الزبول
 وتويعت شركته على العربس وصلى فيهم الهيدان . ومات سليمان باي في
 ايامه واخرد الشا بتدبير وطنه ولم يكن له منازع وحصلت بينه وبين اجد
 خوجه مشاحنة ادخل بعض المكارين بينهما فسله الله من شره ولحكم فيه
 ومات على يديه في اشد احنة وكان اسمه جيدة عاشور وانقم الله منه
 واستقامت احوال اجد خوجه وكان مطاع في عسكرة بحيث انه استنفر
 العسكر الى غار الملى لاجل واقعة يطول شرحها فلم تكن الا ساعة من النهار
 حتى خرج العسكر من اخره ولم يبق ببلدية احد وهذا من نفاذ امره .
 وكانت قريته من موته فلم يعش بعدها الا اياما يسيرة وبدا مرضه الذي
 مات فيه وكانت وفاته سنة سبع وخمسين والى . وتسوى بعده الحاج محمد

لأز في صبيحة اليوم الذي مات فيه أجد حوجة وبسوي في جمع من أكابر
العسكر في سقيفة أجد حوجة وطلعوا به إلى القصة وجلس على بابها وجددت
يعتبر هنالك وكان مسكنه داخل القصة فكان يجلس عند الباب لتعاطي
الاحكام في كل مشية الى ان اسفل الى داره المجاورة لشربة الشيخ ابن خريسان .
وفي اول ولايته كانت الوليمة الكبرى التي لم يسمع بمثليها في اقليم المغرب
وهي الوليمة التي صنعها المرحوم محمد باشا لولده المرحوم مراد باشا بالحرّة
المجلىة ابنة يوسف داي رحم الله الجميع وأظهر في العروسة من ابنة الملك
ما لم يكن لغيره في الديار التونسية ومكث اربعين يوما في الاحتفال
لها وانفقت فيها اموال تجل عن الحصر وشهد الناس ما اذعاهم منها لم يسمع
بمثله ويتجلت الايام الاسطمة ممددة بلا طعمة الشاخرة مما يكمل منه
الوصف واكل منها اهل البلد قطبة ولم يرد احد منها وجاءت السس من
اقطار الارض والغنيون من سائر البلاد ولم تخل ليلة من الليلي من العرج
ويسرج من القناديل ما لا قدر له ويوقد من الشموع كل ليلة ما يشهد
له العقل انه لا يكون إلا بديار الملوك الصحمة وكانت تلك الايام تعد
من الاعمار وجاءت الوفود من كل بلد للشهنة واشدت الاشعار واجيزت
ارباب ووصل من الاحسان والبر لم يستحقه وبحقق صد اهل تونس انهم
م سمعوا بهنله حتى في راس بني ابي حفص وهي اول وليمة صنعها سامحهم
الله تعالى وفقر له بهنله وكرمهم * وفي ايام الحاج محمد لاز نحوى امر بلقاسم
المنستيري في الامارة ومنته نفسه بالغرور وذلك بمعاونة كشك مراد مملوك
الحاج محمد لاز وكان لاز المذكور يصدر عن راي مملوكه * وفي ايامه صودر
الدند عبد الله ابو خوران واستصفت امواله واخس بعد ما كان قائد القواد
على يد المرحوم محمد باشا * وفي ايامه صادر الشا المذكور بلقاسم
النفصي واحد جملة امواله واعتقل في راوية الشيخ سيدي ابي الحسن
الحلواني ثم رصي عنه فيما بعد ورد عليه ما اخذه منه وبعد استصفا اموال
بني صندل ونكبههم على يد كتبه احمد الماري ونحوى شان علي هو

الترجمان بمساعدة الباشا لم حتى اعجبته نفسه ومتمته بالمحال فنكسب على يد الباشا . وازاد ان يشتك به فعجل نفسه بان اكل السم ومات وهذا من حسن بية الباشا بحيث لم يفتنه من اعدائه احد . وفي اول ولايته الحاج محمد لاز كانت الطامة الكبرى وكادت ان تكون فتنة لولا ان تداركه الله برأي الباشا المذكور وهي التي بيعت فيها عدة نواصر من مرتبت العسكر على يد القائد داود اليهودي الذي كان صراف فكادت ان تكون فتنة بين العسكر فهدس الله الفتنة برايم السيد ورد لكل واحد ما نقص من مرتبه ودفع المال من عنده وجعل من دارة سالي اندريان اكياسا على اعناق الرجال وكان شيئا مستكثرا وسلم الناس من الفتنة وهذه المصلحة بعد من مائة الحسنة الجميلة . ودامت ايام الحاج محمد لاز الى ان توفي الله لثلاث وعشرين خلون من شوال المبارك سنة ثلث وستين والى بعد مرض طويل ودفن بترتبه عند باب القصبة . وقسم بلامر بعده الحاج مصطفى لاز ببيع في صبيحة اليوم الذي دفن فيه الداي المذكور وذلك بمشورة الباشا وهو اذ ذاك باي المحمل فبعثوا يشيرونه في سن يتولى دايا فشار بتولية الحاج مصطفى لاز فعندم جاء امره السيد بايعه العسكر . وعند حلوته بسبب القصبة دخل الباي المذكور من غد وكان قد رجع من سفره فاشتد به تصد الحاج مصطفى لاز . وكانت جماعة غيره اعناقهم ممثلة للولاية فطرح ما بايدهم ويئسوا . ولما استقر في الحكم وتمهد امره زوجم الباشا بمجارية من حواريه وجهازها بجهاز معتبر كاحدى بناته ووجب له دارا من اجل الدور وفعل معه من الجميل ما لا حد له . وفي اول ولايته نكسب بالقاسم المستيري على يد الباشا لانهم كان حاقدا عليه لأمور بدت منه وكذلك نكسب الشيخ مصطفى الاندلسي واستصغيت امواله وحرب الى وطن الجزائر ومات هناك وكذلك نكسب الشيخ صالح وفعل به ما فعل بغيره . وفي اسم الحاج مصطفى جاءت مراكب الانكليز الى غار الملح واحرقت مركبا كان خارج المرسى ورمث على الحصار بالمدافع واستنفر العسكر الى غار الملح

وكانت واقعة مشهورة وذلك في سنة خمس وميتين والى * وفي السنة التي تليها كانت الوليمة الثانية من الولائم المشهورة التي صنعها لولده محمد باشا. الحفصي على ابنة عبد الرحمن باشا وكانت ايضا تعد من عجائب الدهر * وفي ايام الحاج مصطفى بعث محمد باشا هديته المشهورة مع ابن قطن ولم تدخل الى الديار الرومية هدية افخر منها من بلاد المغرب وطلب منصب البشارية فاجيب الى ما سئل وجاءته الاوامر العثمانية سنة ثمان وستين وخوطف فيها الباشا ابن الباشا . وفي ايام الحاج مصطفى لاز كانت الزينة المشهورة التي ضرب بهما المنزل لما كان بها من الدعة والترف وجاءت من احسن ما يكون وهي بشرة بلخذ السلطان اوليا من بلاد المسية . وكانت ايام الحاج مصطفى ايام هبة وراحة لان غالب ندير الامور كان يصدر عن رأي الباشا رحمه الله ولذا فالحاج مصطفى كان لين العريكة ويكوه سفك الدماء لئلا ما كان من واجبات الشرع واكثر الاحكام يقلد فيها الشرع * وفي ايامه كانت الوليمة العظمى التي اجتمع فيها ثلثة باشاوات وهي وليمة احمد باي بابنة عثمان باشا صاحب طرابلس واحتفل فيها المرحوم محمد باشا غيبة الاحتفال وكانت سنة تسع وستين . وطالت ايامه الى ان توفاه الله ليلة الجمعة التاسعة عشرة من ذي الحجة سنة خمس وسبعين . وقسم بالامر بعده الحاج مصطفى قرة كوز جلس عند باب القسبة في صبيحة اليوم الذي مات فيه الحاج مصطفى لار من غير اتفاق من العسكر وانما قدم نفسه بنفسه واستولى على الامر بشهامة وكان مهاب وفيه اقدام فهابه الناس . ويوم ولايته ظهرت عليه سكيته وابتدا امره بتنقية اهل الجرائم ومعاقبتهم بالشنق والخنق على ادنى شيء وخصوصا من انهم بالسرقه فكان لا ينظر في امره بشيء ولا يعرف له الا نقطة حبل فسق خلف كثيرا وفر من المدينة كل من كان يتهم بشيء وتفرقوا في البلاد ولم يعد اكثرهم الا بعد موته . وكان فيه بعض هرج وتعطل غالب الاحكام في ايامه وصار غالب اهل الديوان وغالب المحكمات لا يتصرفون

بشوي خيفة من باسمه وشرة وربما تعطلت بعض احكام الشرع وهو الذي
 عزل الشيخ مصطفى بن عبد الكريم عن منصب الفتيا وقدم عريضة الشيخ ابا
 المحسن يوسف شهر درغوث فباشر الفتيا بعفاى وصلابة في الدين والحق
 الى ان توفاه الله شهيدا كما سيأتي وهو يعد من حسنة قرة كوز * وفي
 ايامه كانت وليمة محمد باي ابن المرحوم مراد باي بابنة احمد شلي ابن
 يوسف داي واحتفل الناس كعادته في غيرها من الولايم . ولم يزل قرة كوز
 في تشديده على الجناة والاقدام على سفك الدماء حتى ان اكثر المعاملات
 كادت تبطل وانحسم الشر عن الناس وخافه البعيد والقريب وانتطعت
 السرقة من البلد الا ما قل ونزلت العافية حتى في البادية ولكن لم تطل
 ايامه . وكان في سن الشيخوخة وقيص الله له قرناك منهم احمد صابلي والحاج
 حسين شاقال فذهبا به كل مذهب وعاجلاء بان اطعماه سما فتغيرت امراجه
 ونضعف ما كان فيه من طبع السوداء حتى صارت تحدث له حالات
 متناقضة ولم يفعل ما فعلا الا ليم لاحدهم الامر بلولاية . ولما ازدادت فيه
 السوداء انتفج جماعة من الاكابر ووافقهم بعض رؤساء الوقت فخلعوه وقدموا
 عريضة الحاج محمد حاج اعلي . وفي شهر رمضان علق الحاج علي الثلاري
 وكان ترجمنا . وفي عشية منه ايضا علق خمسة اشس على دعوى من غير
 اثبات . وفي آخر دولته توفي المرحوم برجة الله محمد باشا وبموته انتفج
 الرنق وصار كل احد بقدر اجتهاده وانتفج باب الخلع على الدايات فخلعوه
 او اخر ذي القعدة سنة سبع وسبعين والى واخرجوه من القصة الى دارة بحومة
 كتاب الوزير فلم تطل ايامه ومات في العشر الاول من ذي الحجة من
 السنة المذكورة . ويوم خلعهم نفي من المدينة حسين شاقال واحمد صابلي
 ولم يتم لهما ما املاه الله سو في تقلبات الزمان * فتولى الامر الحاج محمد
 حاج اعلي المتقدم الذكر جلس على باب القصة يوم خلع قرة كوز وابى ان
 يدخل دار الامارة حتى اخرج قرة كوز منها فعند ذلك دخلها وهي دار معدة
 لمن يتولى هذا المنصب . والحاج اعلي هذا ممن تريس في المراكب وكان

يعد من القبايطيس المشهورين وكانت فيه سكيته زائدة فلاجل ذلك قدومه
 طد منهم انه يحبس السيرة في البلاد فظهر منهم خلاف ذلك فقل نذبيرة
 وصار لا يامر بشيء إلا فيما قل وربما يامر بلشي وينهى عنه كأنه ما امر
 به وتلاعبت لا يدي في الاحكام ولم يرد احد عن مراده . ونفى جمعة من
 الاكابر وسال عنهم بعد ذلك وقيل انه لم يامر في امرهم بشيء وصارت
 الاحكام تصدر من غيره ويوهمون انها صادرة عنه . وصار الكائنات اللذان
 بالديوان هما صاحب الحل والعقد وهما شعبس خوجة والحاج محمد بيشارة لا
 ترد لهم كلمته . وفي ولايتهم امر بخدمة الربلة التي عند سيدي عبد الله
 الشريف نفع الله به وخدم فيها الربصين والمدينة عدة ايام وكان يحصر
 بجماحة هنالك ودام على حاله الى اول سنة ثمانين وقيل احدى وثمانين
 فحاجوه كثيرة واخرج الى داره بمقربة من دار الديوان وبعد ايام حجر عليه ولزم
 بيته الى ان توفي الله وقيل انه خوطب في عثله فلهذا خلعه . ومنهمم الحاج
 شعبان خوجة المذكور جلس مجلس البدايات في القصة في السنة المذكورة .
 وفي تلك الايام كانت الوليمة التي صنعها مراد باي لايه حس باي
 ولولده علي باي وجاءت من اجل ما يكون ومشى على طريقته والده وأرى
 منه واطهر من الاحتفال لا يوصف . وفي ايام الحج شعبان كانت الزينة
 العظمى لاخذ كندية في ذي القعدة من سنة احدى وثمانين . واول امرة
 بأمر الولاية بتعطف ونظر في معيش الناس وربما بأمر بنفسه ميران الخبز
 في الاسواق وكان مهذب وسكناه بالقصة فاخذ له المرحوم مراد باي دارا
 ووزن ثمنها وراة الحج شعبان في بنائها على ما كانت عليه فجمعت من
 اجل الدور وسكن بها . ثم خالطه بعض اهل الفساد واعزوه بعبادة
 البدايات يزينوا له كل قبيح واضمر ان يفتك بهم وفشا الخسر بين الناس
 وبلغ الى ارباب المملكة فمكروا به قيل ان يكر بهم . والذي اعراه على
 ذلك ابن القائد جعفر ومحمد بن احمد خوجة على ما قيل . فسلما رحع مراد
 باي من محلته محلة الشتاء سنة اثنين وثمانين ابي ان يدخل الى المدينة

واضمر الشر لشعبان خوجته فلما فطن لذلك خاف على نفسه وكان مراد
 باي كاتب اكابر الدولة واخبرهم بما نوي الحاج شعبان فمالث قلوب الناس
 عنده وتحقق ما اضمره بما صنع قبل من امور فيها بعض هضم في جانب
 البايات فلما احس بالشر بعث بجماعة من اصحابه الى الباي يستعطفونه
 وحلف لهم بايمان وكان الباي مراد لم يظهر ما في ضميره الا بعد ما استحوذ
 على القائد احمد بن جعفر وعلى محمد بن احمد خوجته واراد ان يجعلهما فتنه
 فلما وصلت الجماعة الى مراد باي تكلم معهم في خلعتهم فخلعوه بالحلة اواخر
 ذي الحجة من السنة المذكورة وقدموا عوضه الحاج محمد منتشلي ويوم
 دخولهم المدينته دخلوا لقصبتها واخرجوه منها الى بستانه براس الطائفة وبعد
 ايام بعثوا به الى رغوان فقام بها يسيرا ومات يوم الثلاثاء تسع عشرة مضت
 من ذي القعدة سنة ثلث وثمانين واثب وجيء به الى تونس ودفن بارزاء
 دارة وقبره معروف هناك * ومنهم الحاج محمد منتشلي بويج في
 المحلة كما سبق وحدث بيعته يوم دخوله القصبة واستوطنها وكانت فيه
 بلادة لم يجرب الامور وغالب الاحكام في ايامه تصدر عن البايات وهو مساعد
 لهم لا يخرج عن امرهم بشئ وتنع بالمنصب واسمه قدام علي سيوته اقل من
 سنة وانعقت جماعة من اهل التمساد وزين لهم الشيطان ما نووه فدخلوا
 القصبة على حين غفلة وحاصروا منتشلي وبعثوا الى الباشا صاحب المنصب
 اذ ذاك وكان متفق معهم فخلعوا منتشلي وقدموا الحاج علي لاز واخرجوا
 منتشلي وبعثوا به الى رغوان الى ان مات هناك وجيء به الى تونس
 ودفن بتربته قبالة دارة وقبره معروف هناك * ومنهم الحاج علي
 لاز بويج في النصف من ذي القعدة سنة ثلث وثمانين يوم الثلاثاء ووافق
 ذلك اول يوم من الحسوم فتطير الناس من ذلك ومساعدة قوم غيره واصيب
 وزينوا له بجالات عتلية ويوم ولايته فر محمد باي الحفصي ولحق باخيه
 مراد باي ودخلت محلة الشتاء ولم يدخل مراد باي ولا اخوه الحفصي وكان
 اجتماع الحفصي باخيه مراد باي فوق القيروان ثم اتفعا توجهها الى ناحية

الزواريين . ولما استقروا مشى بيدهم الرسل وكل منهم حاقد على صاحبه وصار له سوء وحذت في المدينة أحوال تؤذي بالناس وتحزبت جماعة الحاج علي لاز وزاد ضررهم . ولما علموا أن مراد باي أخذ حذرة منهم عزوه وأقاموا عوصد محمد عاغا ولبسوه قفطانا وركب في المدينة ونادى المديني بولايته ولما يستجلب الناس والرعايا وينفق لأموال وهو لا خبرة له بالأمور . وبعد أن كان ذلك كذلك بعث مراد باي بعدة أوامر يحذر الناس ويناديهم إلى الرجوع مما فعلوا فلم يزد هم إلا شرا ثم بعث إليهم اعتقادا من الخيل وغرروا على ماحول البلد فخرجت إليهم جماعة علي لاز وخيله فالتقى الفريقان ووقعت بينهم الحرب في عدة أيام . وءاخر الحال جاءتهم جماعة من أولاد سعيد والثالوث وغيرهم من الأعراب فخرجوا بمحلة طاهر البلد وكنوا قتل ذلك جعلوا سوالا وحكم فيه القاضي وافى فيه بعض الفقهاء بما وافق أغراضهم فبعد ذلك نهبت ديار البايات وغالب عائلاتهم وكان الخطب جليلا . ولما خرجوا وأقاموا بظاهر البلد وجاءتهم البايات وظهرت طلائع خيلهم بادروا إلى لقاءهم وخرج من المدينة كل من يقول بقولهم والتقى بعضهم ببعض فلم تكن إلا ساعة من نهار حتى انهزم محمد عاغا ودخل المدينة مكشوف الرأس وخلف صكرة فتحكمت فيهم أيدي أصحاب مراد باي فقتلوا منهم خلقا كثيرا ولم ينج إلا من بعد أجله وهذه الواقعة تعرف بخطرة الملابس وكانت بعقبة الجزار ونهبت الأعراب ماحول المدينة ونحس الحاج علي لاز وجائته بالقصبة ومن قد أصبح بابها معلقا وباتت المدينة في سوء حال . وبعث الباي إلى باقي العسكر بالأمس وأمرهم بتولية الحاج عامي جمل فبعثوا له وبايعوه في الديوان وبعثوا إلى الحاج علي لاز وأصحابه فخرجوا بالأمس ومشوا إلى رايته الشين سيدي محرز بن خلف فلم تكن عنهم وحوصروا بها ومات هنالك أكثرهم وبعث بالحاج علي لاز إلى الحمامات فقتل بها ونهبت عدة أماكن بالمدينة وتبع السي عاثر المفسدين فقتلهم وكانت وقعت له لم يسمع بمثلهما بحيث مكث القتل أكثر من شهر . وكتب

الباي وأمر وبعث بها وفودا إلى الباب العالي مخبرا بما وقع وجاءه الجواب
بما في مراده وزبدة القصة أطول مما ذكرنا وكانت هذه الوقعة منتصف صفر
سنة أربع وثمانين * ومنها ————— الحاج مامي جمل ببيع منتصف
صفر كما تقدم وسار على سيرة مششلي في مساعدة الزمان إلا أنه كان فيه
مرج وغفلة وكان يظهر السدين والعفاف ويميل إلى الفقراء وذلك منه لآمر
ما وفيه امسك ويشسكي من الفقر وما ازدان أول دولته إلا برأي البايث
ثم تغير حاله فيما بعد . وفي أيامه نفق أبو القاسم الشوك بوسلات فقاتله
مراد باي وحاصره وفتح له من سائر البلدان والتم عليه جميع العمالة فطاب
له الجبل وقطع رأس الشوك وجاعته وجميع براسه إلى تونس والقصة طويلة .
وفي أيامه أخذت غياطة محمد باي أخذها عنو الدين . وفي أيامه
مات المرحوم مراد باي في جادى الأولى سنة ست وثمانين . وفي أيامه
وقع الخلاف بين محمد باي وأخيه علي باي وقدم عنهما محمد الحفصي .
وفي شهر رمضان من السنة المذكورة سافر محمد الحفصي إلى بر الترك . وفي
أيام الحاج مامي قويت الوحشة والفتنة بين الأخوين وأكثرها بساءدته
وغلبت على أمره جاعته من أصحابه فكانوا يهونوا عليه الصعب ولم يزل أمره في
لشيت إلى أن خلع بالحاج محمد بيشارة وأخر ذي الحجة سنة ثمان وثمانين
والم خرج من القصة ودخل الزاوية القشاشية إلى أن كان من أمره ما
حذكرة بعد . وفي أيامه كان الوباء العظيم وابتدا في سنة ست وثمانين
وارتفع سنة سبع وثمانين ومات فيه يوسف بشا وقدره بمقربة من الشيخ
سيدي محرز نفع الله ببركانه وقبر معه ولداه وبنيت عليهم قبة حسنة . وفي
سنة سبع وثمانين المذكورة خرج علي باي إلى ناحية المغرب . وفيها
كانت وقعة وسلات مع محمد باي ومات فيها خلق كثير وسياتي طرف
من ذلك . وفيها جاء محمد الحفصي من بر الترك ولم يقبل . واضطربت
أمر الحاج مامي حتى خلع آخر ذي الحجة كما تقدم وأقيم بدله الحاج محمد
بيشارة * ومنها ————— الحاج محمد بيشارة ببيع في المحلة على يد الأجد

علي باي آخر ذي الحجة المذكور وجرى به الى تونس فجددت بيعته
واخرج الحاج مامي واسم يتعرض له بمكره واستشر عسكريا لاعنة علي بي
وبعث بالمذافع الى الكاف وسكن بالقصبة ايام ولايته وكان فيه طيش في
احكامه وهو من كتبه الديوان في السابق وكان يظن ان فيه سياسة فلما
تولى لم يظهر عليه شيء منها وكاتبه علي باي في مسائل تصلح به فلم يقبل
منه . واخذ العسكر في ايام مرتبها واحدا وبعث الى الحاج مامي مرتبه وهو
مقيم بالزاوية . وخلق في منتصف صفر من سنة واعيد الحاج مامي الى
الولاية وذلك حين احتوى محمد باي على المحلة عند الكاف ورحل علي
باي الى الجريد كما سيأتي خبره فبعث محمد باي الى تونس وامر بمدة الحاج
مامي فخرج من الزاوية وطلع الى القصبة واخرج ببشارة ونفاة الى راس
الجبل وبعد ايام امر بقتله ولم يف له بما فعل معه ومن يوم رجوعه لم يهنا
له شيء . وبعث بجمع من اصحابه الى الكاف لكشف الخبر والزم اهل البلد
بالعس لا وجعل العسكر على الابواب نوبا ومشى طارق الفتن في غالب
الاقليم وبدأ نفاق القيروان ومكنت تونس في جهد من العس نحوها من
اربعين يوما . ومن اغرب بلادته وهرجه ان الجماعة الذين ارسلهم للكاف لما
رجعوا وجدوا رجلا في الطريق مسلوبين فسألوهما - من فعل بكما هذا -
فقالا - اصحاب من جماعة مصطفى سينيول وهو بمكان كذا - . وكان مصطفى
المذكور طرق ذلك الجانب فلما سمعت الجماعة من الرحيل ذلك ما اول
من ذلك الطريق وانوا على خيرة خيفة من السينيول المذكور ولما احسروا
الحاج مامي بذلك لم يصدقهم فقتلوا له هذان الرجلان المسلوبان فسألهم
فاخبراه بالصدق فامر بضربهما فضربا اعدنا اللد من قلعة الشوفيق . ولم يزل
يتربص الاحوال الى ان فشا بين الناس ان علي بي رجع من الجريد
والتقى مع اخيه في الحصص وهي الكائنة العظمى وهرب ابو رخيص وابن
ثمان وجماعة كانوا في تونس في صندل من البحيرة . وبعد اسم جاء الخبر
مع بلوك باشي وحسين بن مامي قراش فعند ذلك هرب الحاج مامي الى

الاتفاق والله الامر وهو التعليم الحكيم * ومن الدايث العظم
 وأهل الرتب الخدام الذي جاء في آخرهم وهو صكاولهم لاسجد الانجد
 محمد داي عرف طابقي معدود من الرؤساء الذين بلغوا درجة الثبوت
 ونال سعادة وافرة وعلا اسمه وجرت له امور اصبر بنا عنها الى ان بلغ هذا
 المنصب على يد المكرم علي باي بويغ له بالحققة بالفحص آخر ربيع الانور
 سنة ثمان وثمانين والف واقبل الى تونس فسرل بالجبل الاخصر وبعث
 الى تونس جماعة من اصحابه فقصوا على الحاج مامي جل وجائته وسيرهم
 اليه وكان ذلك آخر العهد بهم * ويوم الخميس آخر اشهر حرج الديوان
 الى لقائه ودخل المدينة وبوم دخوله كان بعض الناس يعصي من جنابه
 وبعضهم راي عليه محايل الولاية ولما نزل عند باب القصة جاءه لاس فبايعوه
 هنالك وتكلم بكلام يدل على لينه ولم يعلموا ما وراء ذلك ودخل القصة ومن
 الغد امر بخارج من بها ما عدا جماعته وبعد ذلك بشرا الامور بمشاهمة
 وحدة ونفى جمعا من الاكابر وشنت كثيرا من المخالفين وقم بنصرة الباي
 احسن قيم * وفي ايامه ابتدا الغلاء واجتهد في صبط السعر غاية الاجتهاد *
 وبعد ايام بعث الباي احد المدايك واقامه خليفة لالاشا * وفي شعبان من
 السنة المذكورة جاء خليفة اليه من بر الترك ودخل المدينة بري الباشوات
 واجتهد في امور المملكة وغير السكة لانها كانت غر مرصدة فجاءت على
 وفق المراد وفرح الس به * وفي ايامه تقوي الخلا في القيروان والمنستير
 وصفاقس وبعث ارسالا للقيروان والمنستير فلم تقبل منه * وفي ذي القعدة
 من السنة زادت الاراجيف في البلاد وطالت غيبة الباي وخبره عن
 الناس * وفي ذي الحجة كانت الواقعة العظيمة التي احرق فيها
 ابواب المدينة وتعطلت المساجد من صلاة العيد والجمعة وكان الخطب
 جليلا ودخلت جيوش محمد باي المدينة وعانو كيف شاءوا ولم ينازهم احد
 وانخذل اكر العسكر واستنفرهم مرارا فلم ياتوا اليه ومكث ثلثة ايام يتدارك
 الامر وفلق باب القصة هو ومن انضاف اليه وانحصروا هناك وكان قد عا

خليفة تقوم به وبيع العسكر في مدة الحصار ساقلي حس وروما على
 القصة بالبندقيات ودام الحصار والحرب ليلا ونهارا ورمي على الحصار
 بالمدافع عدة أيام وحفر تحتهم لغم وأطلقت فيه النار وجعلت المتاريس في
 عدة أماكن ونار الحرب مشتعلة في كل جانب وانقطعت الأسعار من المدينة
 حتى بلغ صاع القمح نصف ريال عشرة عن ستة ريالات الويعة فكان
 مبلغ الفيز ستة وتسعين ريالا وهذا شيء لم يسمع بمثله في تونس * والنز
 أهل المدينة والربصين بالعسس في داخل المدينة وخارجها وعظم البلاء واشتد
 الخوف وانقطع النار من عدة أماكن من الطرق ودهم الناس ما لا قبل لهم
 به ولم تزل الحرب في المدينة والأبواب مهدمة والناس في جهد أربعة
 وعشرين يوما * وفي تلك الأيام قبض على جماعة من أهل البلد والزمو بأداء
 المال وقبض على العاملين المفتيين الشيخ محمد فتانت والشيخ يوسف درغوث
 فاعتقلا فاما الشيخ محمد ففر ليلا واما الشيخ يوسف فقتل * وآخر الأمر استنفر
 محمد باي العسكر فخرجوا معه إلى قليلا منهم فكان من أمرهم ما سذكرك بعد
 وفكحت القصة رابع المحرم أو سادسه سنة سبع وثمانين وصلى أهل باب
 السويقة ووقع منهم حرب لأهل المدينة وبنى باب السويقة حاجزا بين
 الفريقين فهدموا وجاهروا بالعصيان وجاءت الأخبار بوزم العسكر الذي
 خرج ثم تناقصت وحرب أهل النوبة التي بحلق الوادي حتى لم يبق به إلا
 رجلان وبعث موضعهم رجال آخر فظهروا أخلافي وكانت آراء مختلفة في
 كل مكان إلى أن جاءت رؤوس انقتلى وحطت عند باب القصة ومات خلق
 كثير من أكابرهم ساقلي الذي تولى دولتي وكان في أيام الحصار الحاكم
 في القصة طاباق وفي المدينة ساقلي المذكور * وفي تلك الأيام أرجف بهوت
 علي باي من مرض كان أصابه وعافاه الله منه ثم أخذت الفتنة في الانحطاط
 وتماذى العلاء إلى أن من الله بمراكب جاءت من بر الترك بالقمح فحط
 السعر قليلا كل هذا وطاباق مكابدة هذه الأحوال ومتحمل لصعاب الأمور صابراها
 رواد لاجتماعه التي كانت محصورة بعد خمسة أوامر ترقب لكل واحد في منزله

وهذا لم يسبقه اليه غيره وصف عن الذين لم يدخلوا معه القسبة وعلم عليهم وكان الذي حمله على الصبر معاصدة الباي لم الى ان تم له ما تم فعند ذلك هابه الناس قاطبة وخافوا باسه واظهر شهامة على من خالفه واشتدت شوكته . وفي آخر شعبان اقبل محمد باشا الحطمي من الديار الرومية في زي حبيب ودخل المدينة بشعار السلطنة بما لم يدخل به احد قبله ومعه من الاعلاج والطول والانقرة والآلات الباشوات ما لا يوصف فكانت التوبة تعزف عند العصر فيلتذ بسماعها خلق كثير ويقع لذلك ازدياح كبير واحضر معه امر السلطان نصرة الله الحكيم علي باي برفع ركاياه وتعظيمه واجلاله . وفي ثلث شوال من سنة تسع وثمانين والى كانت الزينة العظمى وثبتت هذه الزينة سبعة ايام بيليها وفي الثامن منها وقعت الوحشة بين الباشا والداي فخرج الباشا مغاضبا وسكن في برج كرنباية . وفي تلك الايام نزل الباي على المنستير وحاصرها اياما ورحل عنها . وفيها جاء الخبر ان محمد باي ركب البحر . وفي ربيع سنة تسعين رجع الباشا الى سانيته براس الطاباية ولم يفتح بينه وبين الداي اتفاق . وفيها خرج الباي الى محلة الصيف واقام هنالك وخرجت له محلة الشتاء قبل اوابها فارسلها للجريد لعصين البرج الذي في نوزر واحذ في سنة احدى وتسعين والى . وفيها استنفر الداي العسكر للكاف ومنعهم مرتباتهم . وفي ربيع الثاني من هذه السنة بعث الداي العسكر نجدة لاهل سليمان . وفي جادى الاولى جاءت الرسل من الجزائر لاجل الصلح وقبلهم الداي بعنف . وفيها صادر اهل المرتبات ومنعهم لقلته استعصامهم امره وفي رجب خرج الباشا الى الثيروان وكان من خبره ما سيأتي ذكره . وفي شوال خدمت صفاقس . وفيه جاءت رسل اهل الجزائر ونزلت محلتهم في الحداة . وفي الحادي والعشرين من شوال جاء الخبر بخدمة الكاف وفرح الداي بذلك . وفي ذي القعدة جاء الخبر برضاء السلك مع الداي . وفيه خدمت اولاد سعيد علي باي وتعطيت مرتبات العسكر في

هذه المدة الى ان دخلت سنة اثنتين وتسعين والف . وفي اول ربيع الثاني منها قام العسكر على ساق وطلبوا مرتباتهم فالان لهم الداي القول فابوا فغلق باب القصبة واحس بالشر وعكث ثلثا وكانت هرجة عظيمة لولا ان تداركها الله بالباي فقمع اشرارهم وهدن الثمة ووعدهم بحذ مرتباتهم * وفي سابع ربيع الثاني كلف اهل المدينة والربضين باداء الرمية فاستنعدوا ثم اذعنوا وتمشي الاداء في الوطن كله * وفي جادي كادى كان الختان في برج باردو لحفيد الباي وكانت تلك الايام نعد من الايام * وفيه قويت الوحشة بين الداي والباشا * وفي ثاني جادي الثانية سافر الباشا الى الديار الرومية وبقيت البلاد بلا باشا والمرتبات والمجاني فحظي الديوان * وفي هذه الايام وقع الرخاء العظيم وكثرت الغلال والخيرات بحيث وصل قفيز القمح الى اربعة ريالات واقل من ذلك والله تعالى يلهم هذا الداي التمسك بالصلاح . ويصلح حال من تسبب في اقدمته بهذا المنصب ويبلغه النجاح . كيف لا وهو حسنة من حسنات الامير علي باي نسأل الله تعالى ان يوفقه لما يحب ويرضاه *

وحسب اني بجملة من اخبار الدايث وجب ان نأتي ببندة من اخصر البايث وان كانت هذه التي جعلتها لم تدون قبل وانما تلقيتها من كان قبلي واخبرني ومنه ائتمد في نقلها على سبيل الاختصار وذلك ان في مدة بني ابي حفص سلاطينهم كانوا يخرجون بمحالهم لجباية خراجهم وفي ايام الدولة العثمانية تقسمت البلاد بين القواد وصار اعظمهم يخرج بالمحلة وكانت الاعراب في قوة واستحوذوا على جل البلاد كعرب افريقية اولاد ابي الليل واولاد بوسالم واولاد حزة وغيرهم واولاد شنوف بوطن الكاف واولاد سعيد واولاد مدافع واهل الجبال غالبهم مصاة وحكام صاحب المحلة يعاملهم بالمخادعة والرفق والقواد يتعاقبون في الترامات المحال فكانت احوالهم مضطربة وكثرت الحكم بالمدينة فكانوا في جهد مع الرعية والعرب اشد شوكة في اول الامر فكان تعمس الخلاص معهم وخصوصا اهل

جبل صمدون وجبل وسلاث وجبل مظاطة * واول من سما واطهر ناموسا
لهذه الطريقة وتسمى بين هذه الرعاية بهذا الاسم على الحقيقة القدس
رمضان من الاعلاج واصله من اهل الجزائر وخدم المنصب هناك وانتقل الى
الديار التونسية وتحصل على هذه الرتبة وكانت فيه سياسة وتدابير فاقني
الماليك وصلت همة وتخرج من معاليكم عدة رحل اخذوا المناسبات
في حياته وتسموا بهذا الاسم قبل مائة فممنهم مراد باي ورمضان باي
وحسين باي هؤلاء مشاهير مواليه وكان اعظمهم همة وابعدهم صيت مراد باي
وكان فيه حذق زائد على التدبير الرعية وجبته خراجها استولى في حياة
استاذة على الولاية الصخمة واستحله في حياته وكان يتفرد فيه النجابة
عن غيره حتى عن اخيه رجب * وكان مراد ايضا يتفرد في ممالك
استاذة حتى اني سمعت ممن سمعته يقول عن مملوكي استاذة حسين ورمضان
اما حسين فلا يموت حتى يفتقر ويعمى وكذلك كان يطلق على رمضان
اسم الفقير فنبحث فراسته وكان يفتخر بنفسه ويقول انا ملازم لخدمته
استاذي وعندى كذا وكذا مال وعندى شيء معتبر ولم يزل يترقى الى ان صار
بعد استاذة في هذه الرتبة * ولما مات استاذة في ايام يوسف داي
اراد اخوة رجب باي ان ينفرد وحده فسمى عند يوسف داي قتل له من
اصبح عند بابه الصغير ابن صندل فهو باي المحال لم يعلم من ذكاء ابن
صندل وكان اذ ذاك قد هرب الى الراوية فصبح عند باب مراد فخدمه
فاحتوى على المنصب وزاحم رجب باي واستخدم أولا خاخم فلم يتم
باعتناء المنصب كقيام ابن صندل فاذا خرج مراد بمحلة جباها على وفق
المراد دون غيره وربما اشتركا * وفي ايام محلة الجزائر كان كل واحد بمحلة
وهرب غالب ممالك استاذة اليه فكان يستخلف حسينا * ولمسب وقع
عليهم في محلة الجزائر وعاد من سنته الى محلة الكاف ساس اموره على
وفق مرادة وكثرة الروساء مصره لافتراق الكلمة ولم يرل يعلو وعيرة يسفل
الى ان منته نفسه بعلى المراتب فبعث الى الباب اعلى وجاءه التقليد

من السلطنة وذلك في سنة احدى واربعين والف * وكانت فيه سياسة لم تكن لغيرة الى ان تم له ان اراد بحسن تدبيره ونزل به عظم الامور فلا يتصعصع لها وكان مغري يقتل اولاد سعيد وتمزيق شملهم وكانت له القدرة عليهم الا انه لم يتعد بتدبيره بلاد مشاركتة الغير له فيها * وفي اخر شرواه التي جلاهم فيها وقطعهم واخرجهم من البلاد الى وطن طرابلس ولم يستقروا به وهي اخر محاله جاءه خبر المنصب وهو على مدينته صفاقس وتسمى باسم الباشا ونخلف لولده على المحال وباشر هو منصب الباشوات ولكن لم تصف له لايم ومات من ستمه ودفن في تربته باراه الشيخ سيدي احمد بن عروس نفعه الله به ثم نقله بعد ذلك برمان طويل ولده لاسعد محمد باس وجعله في تربتهم بالجامع الذي اخترعه وسمي به وجاء من اعظم المسجد وسياتي ذكره بعد ان شاء الله تعالى رحم الله الجميع وتجاوز عن سيئاتهم انه سميع مجيب *

* محمد بسماي *

من احبي رسوم البيت في الديار التونسية وشيد معالمها في البلاد الافريقية واظهر من ابنته لامرأة م لم يظهره غيره وفعل ما لم يفعله ملوك بني ابي حنص في زمانهم ولا غيرهم لا مير لا مجد ابو عبد الله محمد بسماي ابن المرحوم برجته الله لا مير ابي الطاهر مراد باشا رحم الله الجميع استقل بالامر بعد وفاة والده وكان والده تخلق له عنها في حياته لما ترقى الى الباشوية علما مات ابوه انفرد بالامر وباشر الولاية بجنات قوي وقابل الرعية برزق واحسان وقرب القاصي وقهر العصي وهو اذ ذلك في عتوان شبابه * وكان رحمه الله معتدل القامة تلم الخلقه ازهر اللون بديع الشكل لا يمتلي منه الماظر فحسن اعتداله ولم يكن في زمانه احد من امثاله فيه حدة ولين وحقل وزين مثله كاتبه ووزيره الصغيز بن صندل وكان كاتب ابويه من قبل وخليفته في السفر رمحن باي وحسين باي وحعفر باي ومصطفى باي استبدلته في اخر الامر وكل من المذكورين لم يميت وسدعت

ويعلم بين الأمراء ورفعته وحقه من المشهورين من مملكتهم وخدمته وكرامته .
 ممن لا بد لكل واحد منهم أن يمثل لامرأة ويتوقف ببابه . وتخرجت من
 مواليتهم عدة رجال . ممن باشر الأمانة وجباية الأموال . وغيرهم جم غفير لو
 تتبعنا أسماءهم لصاقى بنا القرباس . وكفاه شهرة ما لهجت به البلاد وروى
 من أخبار الناس . وكانت له أخلاق رضية . ونفس أئمة . وفيه ذكاء مفرط
 وراي مصيب . إذا اضمر شيئاً لا يبدي سره لأحد ولا يظهر عداوته إذا أراد
 المدة محبة لا تظهر الفصائل بذالاً للأموال وربما يعطي عطاء من لا يخشى
 الفقر وعم أحسانه البعيد والقريب . وشهد له بذلك العدو والحبيب .
 وكان مجلسه مجمع العلماء والفصلاء ويكرم أهل العلم والصلاح ويحب الغرباء
 ويود الفقراء ويستحسن أن ترى ثروته على أحبائه ويعجل بالإحسان لأهل
 حضرته وأصحابه وبمجلسه العلماء والأدباء وتتبع بين يديه المباحث ولم
 مشاركة بفهمه الذكي . وجعل لأهل مجلسه المرتبة السنوية بحيث يعم الجميع
 بالإنعام وجعل لهم دفترًا فيه أسماءهم ويعطوا على قدر مراتبهم وتجري
 عليهم عاداتهم من البر والغنم والبقر والتمر والتفصيل والدراهم وغير ذلك مما
 هو من عاداتهم . وكفاه فخراً أن العلامة أبا عبد الله محمد بن مصطفى الأهرري
 فزيل نونس كان يقول - لو سئلت من ثلث لأجبت بلا ولو قطع رأسي -
 وقد تقدم ذكر السرائر والملك الموعود به - ولو قيل لي هل رأيت أكرم
 من محمد باشا لقنت لا - فكفاه مدحاً شهادة هذا العلامة . التي بقيت في
 وجنات الطروس كالشامة . فان قال قائل - ما صدرت هذه المقالة من الشيخ
 إلا بما غمره به من الأحسان . ولهذا وجب عليه أن يمدحه باللسن والحنان .
 لقوله صلى الله عليه وسلم - جبلت القلوب على حب من أحسن إليهما -
 وهذا الشيخ من كرامة أحسن إليهم أطلق لسانه بالمدح وحلف هذه
 أمقاه تروى عنه . قال له - سئلاً لك هذه ولا نسلم لك غيره مما هو مشهور .
 وإذا جاء الحق دعب الباطل والزور . هذه خزانة باغية من بعده .
 يصنع به تفرقت بين الناس وحسنت أكسبه بجدة . والدم مطبوع

على مدحه وقوة سعده . ولا يخلو ارباب الصدور في كل وقت من اصدقائه
واعداً ، وهذه المحاسن شهد بها الصديق والعدو ، والتدخل ما شهدت
به لاعداً ، وسيتلى عليك بعد هذا ان شاء الله . ولو تتبعنا بحاسنه لاحتجنا
الى تليف محشقل . ولكن ناتي في اخر الفصل بما هو مشهور ويصوب
به المثل . ونرجع الى الاول فنقول لما استحل دلامر بعد والده كان المشرک
له في المنصب رجب هاي ثم سليمان هاي وكانا لم يلبعا شواة . ولم يجريا
جراه . الى ان لحقنا بالله واغرد بنفسه . وفي ايام مشاركتها له في الولاية
عائت لاعراب في غالب الاقليم . وخصوصاً منهم زريعة الخبث والاصل
اللثيم . اولاد سعيد لا اسعدهم الله لان طبعهم الفسادي البلاد . ويهلكون
الحرث والنسل والله لا يحب الفساد . لان امرهم كان متشتتاً مدة من
السنين . الى ان ظهرت على اهل نونس الواقعة المشهورة بين العسكريين منة
سبع وثلاثين . وقد مر ذكرها فقامت قيامتهم على ساق . ونمادوا في النفاق
والشقاق . وغالب اوقانهم بجوار على تنهاج القصر . وبقيت نفوسهم اخيصة في
الكر والفر . وكان المرحوم مراد باشا مقاوم لهم وحريصاً على تبديد شملهم فعاجله
جامم . ولم يبلغ منهم مرامه . وكانوا ياجتئون الى بلد الحامة ويتحصنون بها
لانيها ساعدتهم في نفاقهم نحو سبعة اصوام فكانوا بها يتحصنون واليها ياجتئون
وعرب افريقية كذلك الا انهم اقل ضرراً من غيرهم واولاد شتوف متغلبون
على وطن الكاف الى ان من الله تعالى بهذا الامر . فقطع دابرهم والحق مهمم
الغني بالفقير . فخرج بمحلمه الشتائية ستة احدى واربعين الف . وشدا زر
بلاد القيروان بعدم كاد ان يلحق بها من اولاد سعيد الخسف . واستوثق امرها
واولى عليها مملوكه القائد شلي الحنوشي وكانت فيه غروسيمة . ودخل
بمحلمه الى بلد الجريد وخلص بجلاء وظهرت همتهم ورئاستهم وبلشوا امورة
على وفق مراده . وتقدم انه كان معه عند ركا في وظائف رجب هاي
الا انه لم تكن له فطنة . وانما بلغ باسم اخيم من قبله . ولقد ان
اهل نونس يذكرون ان ثلاثة من الرجال كانوا نجمة . وكل واحد منهم لم

أخ ومات الثلاثة قبل اخوتهم فلم يبق منهم أحد مقام أخيه أحدهم رجب
 باي المذكور لأن أخاه رمضان باي كان في غاية الذكاء فلم يبق رجب
 مقامه وإنما نال ما ناله بساقيته أخيه ولما مات خلف ولده سليمان فدخل
 بمخالبه بين معتزك الفرسان فلم يتم له مراد . وانفرد المرحوم محمد باشا
 بأمور المملكة واخذ في تهديد البلاد . وقمع أهل الفساد . وأغرى بين أولاد
 شتوف وسلط بعضهم على بعض . إلى أن حوّل رسمهم من الأرض . وانتقلت
 إلى الحمامة فخرج إليها بمحطته سنة أربع وأربعين واللف وأرسل المئونة
 في البحر والعسكر في البر وحشد إليها من جميع البلاد . وكانت على نفاقها
 سبع سنين وهي منجأ كما قدمنا لأولاد سعيد . وكان نزوله عليهم يوم
 . . . من السنة المذكورة فنصب عليها المدافع والمنجنيقات وحفر اثنا عشر
 وأمر بقطع النخل فقطعوا منه شيئاً كثيراً وحاصروها من كل جهاتها ودام عليها
 الحصار وكان تقدم منه انذار لهم مع الرابطين وأمنهم فلم يغب شيئا فعند
 ذلك أقسم أنه لا يرحل عنهم أو يحكم الله بينه وبينهم فناوشهم القتال
 وجعل العساكر نوبا في مقابلتهم ودام بهم الحصار وضائق عليهم ومات من
 الفريقين خلق كثير . وجاء إليها المدد من أخوانهم المتمردين فلم يجد نفعا
 لكبير منهم ولا صغير . ومع ذلك كان يبالي في الأوسال إليهم بالاعذار ولا نذار
 ليقيم الحجّة عليهم فلم يردهم إلّا طعنانا . كَأنَّ لكل متهم منهم شيطانا .
 وصكّنت الحمامة هذه في غاية من الحصانة . ولاهلها خبرة بالحروب
 ومكانة . وهي في مكان منيع والنخل محقق بها . ولها خندق دائر من
 كل جهاتها . ولما نفذ القصة دارت عليها الدوائر وكان المتعصبون يقولون
 لو مكث عليها صدة أعوام . لن يتيسر له بهت مرام . ولاقدار مخالفة
 للظنون . وما قدر الله به يكون . فدام عليها الحصار . والقتل لا يفتقر
 بينهما في الليل والنهار . وهم كل يوم في مدد مزيد . وتورد من غوايته
 شيطان مرید . وكأما يرسل يستخدم في الرجال . ويجرد بالمل . إلى أن يسو
 الله عليه بفتحها . وانتقلت له بعد جهده . فقتلت رجالها . وسبيت

نساها ونهبوا أموالها . وبيعت أولادهم ببيع الرقيق . وصبغت صخورها
 بدماء أهلها صبغ العقيق . وخرب المساكن . واجلا منهم المساكن . وكانت
 وقعت مشهورة . وأخبارها بين الناس مذكورة . ولما تم له ما أراد منها .
 أص الذين هربوا عنهم . وأمرهم بالسكنى خارج البلد . وضرب أهلها بسيف
 العفر بعد سيف الحد . وأذعنوا لأداء الخراج . ودخلوا في طاعتهم فأجراهم
 على أحسن منهاج . وكان هذا الفتح أوخر ذي الحجة سنة خمس وأربعين
 ألف . ولما سمعت بهذا الفتح جيرانها من البلاد العاصية . جاءتهم الوفود
 مستأنين من البلاد القاصية . وشاع ذكره بين البلاد . وعم اسمه الحاضر
 والبد . وصارت له سمعة عند أهل الطنق . وطار خبر أخذ الحامة في
 كلاف . لأنها مكثت نحو سبع سنين هامة في هلالها . واستصعبت
 عن غيره إلى أن أخذها وكان من فحول رجالها . وكان جبل وسلات قد شمع
 بأفنه في هذه المدة . فلما بلغه ما حل بالحامة لانت صخرة بعد الشدة .
 ولما تم هذا الفتح رجع إلى حضرته العلية . وقد سار الرعب في قلوب
 الرعية . وعلم أن طاعه أخذ في الصعود . وطالع أعدائه في السعد الذابح
 وهو في سعد السعد . ثم تهيأ لأولاد شنوف وقومهم بالكفاح إلى أن أنزلهم
 من صياصيمهم . وقتل جل رجالهم وجلا باقيهم وجز نواصيمهم . وما زال يتبع
 فلهم واحدا بعد واحد إلى أن أفناهم ولم يبق منهم بقية . ومن نجا بنفسه
 صدقت عليه الأرض وطلب منه الثقية . وكانوا قبل ولايته مغلبين على
 الكاف ورعيته وهم أهل الفتنة بين العسكرين وقد مر بعض أخبارهم .
 وكان من تقدمه من البايات عاجزا عن أن يحل بدارهم . إلى أن يسر الله
 لهذا الأمير ما لم يتيسر لغيره . وفتح له كل صعب ورزقه من خيرة .
 واحتوى على ما كان بيد أولاد شنوف . واجلاهم من مساكنهم وديارهم
 وأنزل من تبقى منهم منزلة الخوف . ولم يبق شيئا من دارهم . وكانت لهم
 سمعة في البلاد بين عرب أمريقية . وتحكموا في وطن الكاف مدة من
 الأيام وحجوا الجبايات من الرعية . إلى أن قتلهم . ودخلوا تحت أمره

وآلهم . فدانت له منذ ذلك جميع العربان ، وحلت بهم العقرة ونزل بهم
 الهوان . ثم التفت الى اولاد نعيم . الذين لم يكن لهم رئيس الا ابليس .
 فنخذهم بكرهم ولحق اولهم بأخوهم . الى ان قطع دابرهم . فكرم عليهم بغزوات
 متواترة . الى ان جعلهم في المحصيص كالأهد رفع الله بما فعله بهم درجانه في
 الآخرة . فمدرسهم المرة بعد المرة . وانثى عليهم بحماله الكثرة بعد الكثرة . الى
 ان اذاقهم الذل والهوان . وفك ما بيديهم من جباية الاوطان . وحل بهم
 الصغار . والزمهم اداء الدرهم والدينار . وصاروا يفزعون من انتسابهم الى
 النسبة السعيدية . وان سئل منهم احد عن نسبه فر الى النسبة اليهودية .
 ونشبتوا بعد اجتماعهم . وركنوا لاداء الخراج بعد امتناعهم . وثقروا ايدي
 سبا في الخسافين . وقضي الامر وقيل بعدا للقوم الظالمين . وامر الله البلاد
 والعباد . وقمع بهذا الامير اهل البغي والفساد . وامنت السبل في ايامه من
 الاغاث العادية . وصارت الطعنة في ايامه رائحة غديية . ولو لم يكن
 له من البرايا الا قطع هذه الطائفة الرذيلة في ايامه لكانت له من اعظم
 المنصائل . ولو توسل بها في الدار الآخرة لكدت من اكبر الوسائل . ولم
 تنم لهم قائمة مدة حياتهم . الى ان بعثوا من قبور الدل ولكن بعد مماتهم .
 صلى الله ان يقطع دابرهم . ويهلك اولهم وءآخهم * ومس وقائع البشا
 المذكور ادخله عرب ورغمة في صلاتهم . وكانوا قبل ذلك يعدون انفسهم
 من عجود العرب فدخلهم في طائفة . ونظمهم في سلك اهل جبيتهم . ولهم
 خبر يطول . ويعجز له الوصول * ومس فزواتهم المشهورة ووقائعهم المذكورة
 اخذه لجمل مطامطة وكان مستمرا على النفاق . فخرج اليه بمحلمته سنة
 سبع وأربعين ألف واقام فيه الحرب على ساق . فلاراه بالحصار . وضيق
 على اهله من جميع الاقطار . الى ان سلموا له بآداء الخراج عن رؤوسهم .
 ورضوا منه بالامن على اهلهم ونفوسهم . وكانوا قبل ذلك يعدون انفسهم
 انهم اهل حرب ومنعة . واستعصموا بجملهم الذي لم بين الجبال رفعة .
 واداء المربر الذين كانوا من اهل جالوت . فسلط الله على ءآخهم هذا الامير

كما ساط على أولهم طالوث ، وبنى في جبلهم حصارا ، وجعل فيه انفصارا ،
والزهم من الخراج ما طبع به نفسه مدد السنين . وعظف بعنانه
وقابل قوما آخرين . ومن وقائع المشهورة التي اذقت اهل عيرون
المرار ، وفعل بهم ما فعل بغيرهم والزهم البوار . بعد ما كانوا متحصنين
بجبلهم ويصعب الوصول اليهم . ولا نسمح نفوسهم بشئ من الاداء إلا ما
هان عليهم ، لان جبلهم في غاية الحصانة . ولهم به قوة ومكانة . فنزل
عليهم بخيلهم ورجلهم . وصايق بهم الى ان دانوا له وداس جبلهم برجلهم .
وسى منهم النساء والاولاد . بعد ما قاتلهم وقتل منهم واباد . ودخل جبابهم
عنوة . وقطع منهم الشدة والنخوة . وعف عن بقيتهم بعد ما ذهل كل خليل
عن خليله . واجراهم كاخوانهم جرى الاداء وسيلهم . وذلك في ايام العربان
والزم الصغار لمن كان له منهم شان . مثل اولاد ابي الليل الذين كانوا
في زمن بني ابي حنيفة اهل حل وعقد . فاداهم الى ان سمحوا باداء
الماشية والنقد . وكذلك اولاد حرة واولاد صولته . وغيرهم ممن كانت له
شوكته وصولته . ولازم مدة حياته في تتبع اذاهم . الى ان مح ذكرهم
واخلي ديارهم . وهؤلاء ممن كان يشق العصا في السابق . فلارهم الاداء
الى ان اتصل الاول باللاحق . وهذه الطوائف ممن افنى ابن نجي بتحريم
مبايعتهم والات الحرب . وكذلك البرلي قال عرب افرقيته اهل حرب .
وكذلك الشيخ اللعاني ضرب بهم المثل قال المحاربة من عرب افرقيته
وبالجملته فان صرهم كثير . وهم من الذين لا يراصون إلا ولا ذمة ولا
ينبتك مثل خيسر . فحسم الله هذه الطوائف الخبيثة في ايامه . الى ان
صار المسافر يتوجه حيث شاء ببصاعته يهز باكمه . وامنت السبل
والطرق . وانقطع المتمرد والطغاة . ودانت عرب افرقيته ولزهم الدين .
واشتهرت عليهم الجبديته في كل حين وحيان الحين . ولما مهد رسوم عرب
اوطنه . وجعل كل واحد منهم مشغلا بشئ . البت الى صطمة مسائنه
العرب . مثل علي بن صمد الصمد وولده من بعده ابي زيد . غدرتهم في

عربهم ، واجلاهم عن معانهم واطنهم . وشنتهم في القفار . واخلى منهم
الديار . واصناف دريد الى رعيته . واحسن للمحسن منهم والزم الجاني
بخطيئته . وركب منهم عدة من الفرسان وجعلهم من جملة رجاله * ولما
صزم على ممارسة قبائل العرب شرع في تزميل فرسانهم . فجمع منهم
عددا وجعل كل زمالة في قح من فجوج اوطانهم . ولكل زمالة رئيس من رجاله
كالثائد حسن المنسب لحسين باي وهو اشجع رجاله وعقبه موجود وهم
جماعة من اولاده واحفاده كلهم معدودون من فرسان العرب وسياتي ذكرهم
والثائد علي الحاشي مقدم زمانه ايضا والثائد احمد الرقيعي هولاة مشايخهم
وغير من ذكر كثيرين وركب عدة رجل من صكر زاوة يقل لهم الصبايحية
وجعلهم بركابه حيث سار يسرون . وجعل صبايحية آخر وقرر سكناهم
ببلد القيروان وجماعة منهم ببلد الكاف وجماعة ببلد باجة لتأمين الوطن
فامتت الطرق في جميع بلاده * ومن اشهر سعادته ممارسته لطاغة العرب
في وقت الشيخ خالد بن نصر الحناشي . وكان خالدا المذكور اشهرهم
سمعة بين قبائل العرب ولم منعة وعدة وقائع مع عسكر الجزائر عمر عمر
طويلا ومارس الحروب وكان يتشامخ بانفتته على العمالة التونسية ويبتد
في وطنها لانه مجاور لها ويتعرض الى محلتهم فيستكفون شره ويهادونه
بلهدايا الى ان قبض الله له هذا البطل الهام فتماذى على ممارسته الى
ان هزمه سنة اربع وخسين والف بمكان يعرف بصراط . وهي واقعة
مشهورة وكان تعرض على الوادي وحال بين الماء والمحلة فزاجته فرسان
الرجال . وكان ازعمهم في ذلك اليوم الثالث حسن وظهرت منه شجاعة قوية
ضربت به الامثال . وهو اول من باشرة بالحرب فرحل عن الماء ضوة
بعد قتال شديد وانهزم هزيمة شناعة ولم تقم له بعد ذلك قائمة مدة
حياته واخذ يلاطمه ويهاديه ويهادنه ولم يكن له ذكر بعد ذلك . ولم
يمت الباش حتى خدم ركابه اولاد خالد المذكور ووقفوا ببابه واحتاجوا
اليه * ولما سارت هذه السمعة بين القبائل من العرب خفوا من سطوته

فأذنوا بالطاعة وجاءته الوفود من كل مكان وهادوه على قدر مراتبهم واتوه من جميع الجهات بالتهنئة ودانت رعاياه وبلغ مائه وأقبل إليه شعراء العرب وشعراء الحواضر والتمدن وأشعارهم وأجازهم الجوائز السنية وانتشر ذكره في الافق الى ان طلق الوجود ولم يسبق حي من العرب إلا وعنده خبير من سعادته فتكلم كل متمرد بعد ذلك وود كل شيخ من العرب ان يكون معلوكا . وكذلك شيخ مشايخ العرب الذين في ناحية الغرب الشيخ ابن علي دخل في سلك الجماعة . ولم تسعه إلا الطاعة . وكان من المتمردين على عسكر الجزائر وهزمهم مرارا عديدة * فص سعادة البشا المرحوم اقم كان يتصرف ص اذنه مدة حياته . وأوصى بأولاده اليه بعد مائة . فكان لا يتشيخ احد منهم إلا بعد مشورته . واذا اصابعهم صيم دخلوا في مائة * ولما دانت له جلته هذه الجبابة وصفا له زمانه جعل رعيته على احسن طريق . وانقطعت قلوبهم مع بعد اوطانهم من خوفه الى ان صار كل مسافر لا يحتاج في سفره الى رفيق . وربما سافر عدة ايام وليس معه إلا زادة وبضاعته ولم يلف من يتعرض له في الطريق . وامتدت المسافرون في جميع الافاق . ولم تكن مدة حياته قبيلة من العرب تميل الى الشقاق * ولما ساعدة القدر على مراده حظ بكل كلمه على من اراد ان يكون من اصداؤه . وذلك ان جماعة من اكابر المحاصرة والقواد كانوا يريدون التنقص من ايمته . ويتطاولون الى وثبته . والقدر يقول له انت امير دولتنا . تصرف بما اردت انك باعيتنا . فرد عزمه الى اهل البلد وبدأ باكبر قولدهم القائد عبدالله بن خوران وهو اذ ذاك قائد القواد فصادته واستصفي ذخائره وامواله بعد ما كان منحرفا عليه . فدخل في طاعته وجث بين يديه . ومن كان يانف من مقامه . ويأبى ان يكون من خدامه . الشيخ مصطفى شيخ لاندلس مكث عدة سنين في انحرافه وخلافه فذاقه هوانا . والبهه من ثياب الذل الوانا . واستصفي جميع من كان له ومات طريدا في غير وطنه * وكذلك شيخ عرب طرود الشيخ صالح احذه مثل من اخذ غيره . ودمر ذكره واستصفي خبره . وثم لم الامر وما بقي له

سرع في دولته ، وهلك عدة رؤساء ممن كانوا في خدمته ، مثل الصنادل
الذين هم كتابه وأبي القاسم القفصى وعلي هو كل هؤلاء من المحولين
في نعمه لما كفروا بها أخذهم أخذة رابية واسترجع منهم ما كانوا اقتنوه من
أموالهم ولم يبق في المملكة إلا من كان مطعما له ويصرف بأمره ويقف
مند حمدة ونال سعادة لم ينالها أحد ممن تقدمه من المنطين . وجلس في
رتبة تصاهي رتبة بني أبي حفص وكان يعد من السلاطين ، وتصرفت
المملكة من نهية وأمره . ونال ما لم ينال أحد في دهره * ولد صف له الوقت
من أقرانه ، وخلف كل أحد مشغلا بشأنه ، نادى لأهل زمانه هل من
مبارز فلما لم يجبه أحد جل الدهر على كاهله وتصرف كيف شاء . والله
سبحانه وتعالى يؤتي ملكه من يشاء . وكانت مجاله السعيدة إذا خرجت
كعادتها لم يكن لأهلها تعب وكانهم يتنهضون في العمالة والأموال تجي بلا
تعب وأكثر معيها خسور يوما * وهو أول من اتخذ قاصيا لمحاسبته كعادة بني
أبي حفص واتخذ الكروسة لوفاءه السفر وشالب أحكامه لا تخرج من
أحكام الشرع إلا ما تدعو إليه الضرورة من قمع فساد أو سد ذريعة مما
يستحكم بالقوانين . وأخرجت من مواله عدة زعماء لا يحصى عددهم كل
واحد منهم يعد من الملوك وجاءه الشريفة الملوكة ، والأوامر الخاقنية
وطار صيته في البلاد الرومية . وبعث الهدايا الجليلة إلى الأتاب السلطانية .
وهاجر إلى حضرته العلماء والأدباء وجاءه كل طالب برحق من البلاد
الحجازية . وانتشر ذكره في جميع الأفاق ، وهدوة من مصر ومن الشام ومن
العراق * ولما تم له ما أحب من دهره تفتت نفسه إلى الرتب الملكية .
وأراد أن يتظم في سلك الفرائد السلطانية . فطلب من الباب العالي منصب
الباشوية . فبعث هدية حافلة لم يدخل من الغرب مثلها للدير الرومية .
وعرضت على الحاضرة العنصرية . فسيرت له الخاق الخاقنية . وكانت
هدية في ستة ثمن وستين ألف صحبة ابن كهر فكانت يضرب بها
المرل وبلغه الثقل في أواسط رحب من السنة ننسها ودخل إلى الحاضرة

ببشارة السلطنة * وكان يوم دخوله يوما مشهودا تباشرت به اهل البلاد
وباشروا الولاية على اكمل حال ولم تنقع في ايامه مظلمة مثل ما كانت في
زمان غيره ، وشمل الناس بعدله وخيره ، ومدحته شعراء وقته ، واثاب كلا منهم
من قدر مرتبته ، ونمشت المرتبات على احسن حال وكان الناس في ايامه
في هناء لم يروا مثله ، وايدمه عدت من حسنات الدهر تستقبل الله منه سعيه
وفعله ، واستمر في منصب البشوية الى سنة ثلث وسبعين والفر ثم بعث
الى الباب العالي واستغنى من المنصب وجله فقبل منه وفعا عنه وكان
خليفته بالباب في رتبة صالبة وله الشفاعات عند اهل الدولة وكل ذلك
بهمته استددة ، وبعد انفصاله عن البشوية طلب الراحة لنفسه وكان
سابقا تخلص من جميع بلاد لاولاده وقسم بينهم المناصب فقدم ولده الاكبر
مراد بي على المحل وحراجها وجعل بيد اخيه الذي يليه وهو ابو عبد
الله محمد باي صبحق القيروان وصبحق سوسة والمنستير وصفاقس وجملته
رمياهم ، والمذكور هو باشا زماننا ، وساني لم خبر بعد هذا وقدم ولده
حسن على صبحق افريقية وكلهم تسموا في حياته وتلقوا بالباب البايات
وكل واحد منهم له صيت وسعة ولم يخرج من الدنيا حتى راي ماسرة
من بنيهم وبني بنيم وتلقب بنو بنيم بالبايات في حياته ولا زال متعاديا
في افعال البر والا حسان ولاخذ بقلوب اهل العلم والصلاح ومن اصابته
فنايته من اهل البلاد ياجا اليه فياخذ بخواطهم ويتجوز من هفواتهم الى
ان لحق بالله تعالى وكانت وفاته ررعا على اهل تونس سمع الله بمنه
وكرمه ، ولذكر نبذة من مآثره التي بقيت بعده على سبيل الاختصار ولو
تبعناها كلها لاحتجت الى مجموع مستقل فمنسبها تشييده منارة
الجامع الاعظم ببناء ضخيم وجعل في اعلاه درابز ثقي الموزنين الحجر في
الصيف والبرد في الشتاء وجعل رخامة تقبل الناظر اليه ، ومزجوا اسمه
عليها ، وتاريخ البناء بابيات من انشاء كلاديب الشريف السوسي *
ومنسبها الحنايا المجلوب عليها الماء من مسافة بعيدة من عاب رقصة

صاحي بها الحديثة القديمة في ضخامة البناء وانفق عليها أموالا لا تدخل تحت حصر ونعم بنائها في عدة سنين وادخل ماءها الى المدينة وفرقه في ازقتها ووقف عليها اوقافا للقيام باصلاح ما يتعطل منها فانتفع به الناس إلا أنها في هذا الوقت تعطل بعضها من شدة الفتن * ومسن حسنة انشاء المارستان بحومة العزافين وفيه عدة بيوت في اسفله واعلاء للمرضى وجعل له اوقافا للقيام بلوازم الذين يحلون به منهم وخدمته يخدمونهم وطيبا ينظر في علاجهم وما يحتاجون اليه من اشربة وادوية ومن طعام وكسوة وفراش وغير ذلك وجعل له باطرا ينظر في اوقافه وهو اليوم جار على احسن اسلوب تقبل الله منه * ومسن حسنة بناء الجامع الذي براء تربية مقام الشيخ سيدي احمد بن عروس نفع الله به وكان موضع دورا فشتراها من اربابها بثمن طابت نفوسهم به وببلغه شيء كثير وبناء في غاية الحسن والضخامة بجيث لم ير في المغرب اسر منه وضخامته ثني عن ضخامة بانيه ووقف عليه اوقافا جليلة لامامه وللوذنين والقراء وما يحتاج اليه وجعل فيه مدرسا للعلوم الشريفة وجعل امامه من السادة الخفية تقبل الله سعيه . وجعل فيه تربية بديعة وهي لم تكمل الى اليوم ونقر اليه جملة والده وقوهو به ومن مات من اهل بيته وبقيت فيه اماكن لم تكمل الى زمان هذا قبله الله بحسانه * ومسن محبة في الشغل الجميل ما سارت به الركبان افتكاكه المراكب التي اخذت للجزائريين من ايدي النصارى المرة بعد المرة بمسل جزيل وانعم على الماسورين وكساهم واحسن اليهم وصرفهم الى بلادهم وعدة اسارى ممن سواهم بعث بطلبهم من بلاد الكفر وخلصهم * وكذلك احسانه الذي كان لاهل القيروان في كل سنة يفرق بين صعدتهم واهل السيوفات منهم * ومن سخائه وعلو همته انه سمحت نفسه في يوم واحد بما قيمته مائة الف دينار وهي الواقعة التي جرث بينه وبين سليمان باي عند محسنة اداء واحدة منه العلية طرة والزندالة والسانية التي كانت لبني ابي

حدث في رأس الطائفة فسمح للجميع لاحد خووجه الذي كان سردار العسكر في ذلك الوقت * ومن المآثر التي بقيت من بعده ما احياه من منزل باردو وشيد بها القباب الرفيعة وزاد على ما كانت عليه في ايام الخنيسين فمن شاهدها حكم بعلو شأنه على من تقدمه وكان موكبه بها كمواكب السلاطين ويحضر موكبه في سعة وحضرة جماعة من الخنيس والمهين والعلماء والمتكلمين والشعراء والادباء ويجلسون في مجلسه على طبقاتهم ولهم جوائز سنية ومرتببات سنوية تزيد على الخمسين الفادون ما يتبع من هدايا وملبوس وهذا غير ما يصرفه في عساكرة واصلاح شانه وما يحتاج اليه اهل بيته وعلمائه وحشمه واتباعه ومرتببات اجناده وهذا شيء لم يسمع به لاحد في اقليم المغرب * وبعث بصدقائه الى الحرمين الشريفين وحاجته جماعة منهما فحس اليهم وكان فضلاء الحضرة يحضرون سحله وقت اقامته بتونس وجعل لاهل القيروان صدقة سنية وكان يميل بيرة وراثة عليهم ومن اهل سيوة من كان يفد اليه في غالب السنة ، ونال وجدة عنده مفتاحا الشيخ ابو العباس احمد عرف العلي والشيخ ابو عبد الله محمد عرف العروي وهو شاعره ومادحه له فيه وفي ولده القصائد الطنانة ، وكان اديب وقته وشاعره من غير مدافع ، وكان يجله ويحس اليه ويانس به . وللشيخ المذكور ولد نجيب قدمه والدة في حياته للفتي وكان يروي مسند البخاري بحضرة والدة في مجلس البشا في السنة التي مات فيها ، وقد ابتدا به مرصعه فكان يحضر الاستماع للتبرك بالمحدث الشريف وبه ضعف وهذا من حسن فتيه بحيث ختم صرة بهذا الختم الشريف ختم الله له بخير الاموال * وربما نائي له بحساس اخر في غير هذا الموضع عند ذكرنا بحاس تونس وخاصة هذا الكتاب ان شاء الله تعالى * ومات رحمه الله في شوال سنة ست وسبعين و الف وحل على الاعناق وكان له شهيد عظيم ودفن في تربة والدة في جمعة الذي بنة وكانت وفاته رزقا في المدينة سامحه الله وحف عنه * ومنهم الامير الناصح ، وصاحب الفخر الام ، قمع المرددين من اهل السداد ، المرحوم

هزجة الملك الجواد . ابو النصر مراد باي انشرد بتدبير الاوطان بعد وفاة
والده المرحوم وكان تخلى له منها في حياته ولما توفي والده تم له الامر *
وكن صدرا من الصدور تمام القامة بديع الشكل اشهل العينين واسع
الصدر بعيدا ما بين المنكبين علامات الملك ظاهرة على شمائله من رداءه
ادركته حينه منذرا بتدبيره لا يتكل على احد قد تربى في نخوة الملك عن
والده وله سطوة وصولته قامعا للاغراب لم نعم لاحد منهم قائمة في ايامه
متثندا لاحوال ريشته قاهرا من عداة همد البلاد كتمهيد والده واجرى الامور
على عادته يحب الصيد والقنص ومكابة صيود الخيل وهي مودة من اغنى
الفرص ولم تجر في ايامه حادثة تفكدر عنها الفوس إلا الواقعة المشهورة
التي يعبر عنها بواقعة الملاسين والتي قبلها الواقعة في تغيير دولته شعبان خوجه
له ارادة الله تعالى من تغيير النعم . وبهذه الواقعة انفتحت ابواب الفتن .
واجدها اهل تونس الشدة والباسة وصدروا بالحق . ونذكر بعضها على وجه
الاختصار . وذلك ان الباي المذكور لم يكن له اهتمام إلا بامور الرعايا التي
في الاوطان . ومدير المدينة واهله على مثل ما سبق هو الدولاتلي والمستولي
في هذه المدة الحاج شعبان داي وقد تقدم ذكره فاعراه بعض الاعداء
من ابيع الرائي ومن كان تحت نظره * وقد سولت له نفسه ان يقوم
مؤامره واتفق مع جماعة وحشوا للداي المذكور ما لم يكن حسنا ولا راد
لاموالله وانتفتت اراؤهم الفاسدة على الفتك به وذلك موجبه الحسد لما
خوله الله من خيرة واطلع على ما اضمرة من الشر وكتب اليه بعض
اصدقائه بالخبر فلما ثبت عنده ما اضمرة رجع بمحلمته كعادته وكتم سره
ولم يظهره إلا لمن يشق به من بطانته * ولما قرب من المدينة بمرحلة
خرجت وجوه السس كعادتهم الى لقائه وخرج ابن اجد خوجه واجد بن
القائد جعفر وهو احد مماليكه وثبت عنده انهم اصل الفتنة وهما اللذان
اغريا الداوي فلما سلما عليه قضى عليهما ورجع بهما الى محلمته فلما شعر الداوي
بذاك علم انه المطلوب فبعث جماعة من اكابر دولته يعتذرا الى الباي وانه

ما اراد شيئا وانها اخبار كاذبة وحلف بايمان ولا مرئقرر بخلاف قولهم
فلما وصلوا الى المحلة التقى بهم واعلوه ما ارسلوا به لهم فاخبرهم بدلائل
قاطعة فاتفق معهم على خلعهم فخلعوه بين يديه وقدموا بذلك من اراد
وهو الحاج محمد متشالي وبايعوه بين يديه ورجعوا به الى تونس وعند
وصولهم القصبة دخلوا على الداي الحاج شعبان وخلعوه واخرجوه وجلس
متشالي مكانه وكفاه الله شره ارادوه ودخل الى حصرة تونس مريدا بجورا
فخافته نفوس اعدائه وتصرف في البلد بنفاذ الكلفة وتيسر له ما لم يتيسر
لآبائهم وبعث بآبن احمد خوجه الى بلد تستور وحسبه هناك ففر من
محسبه وابن القائد جعفر ارسله الى بلد الجريد فكان ذلك اخر العهد
به وهذه الواقعة سنة ثلث وثمانين والى ولما اطمأن بحصرتهم احسن
الى وجوه اهل الدولة وفرق فيهم اموالا واستجلبهم وطيب خواطهم واطمانت
نفوسهم والتج اليه محسنهم وخافه مسيئهم وتصرف كيف شاء ونفذت
الامور على ما اراد وخرج في السنة المذكورة كعادته الى بلد الجريد
لجباية الخراج فجاءته الاخبار ان اهل طرابلس وعسكرها عصوا عن باشاهم
وحاصروه في قلعتها الى ان مات بها وانه اوصى باولاده الى البهي المذكور
فسر الى طرابلس ليكشف الخبر فخرج اليه عسكر من طرابلس فاعذر اليهم
وحذرهم وانذرهم فابوا الا قتاله فقاتلهم وقتل اكثرهم واسر باقيهم فغنا منهم
وجاءته مشايخ البلاد والمرابطين وطلبوا منه ان يرجع عنهم ولا يتعرض لاحد
بمكره فقبل منهم ورجع الى بلاده وانتشر الخبر فخافته نفوس اعدائه واضمر
له اهل الشر في قلوبهم داء فعجل لهم بدوائه وذلك ان جماعة من العسكر
زرع الله في قلوبهم الحسد على ما رزق من النعم وارادوا المكر به كما
فعل الذين من قبلهم فقبولوا بالنظم فاتفقوا في غيبته هذه ودخلوا لقصبة
البلد على حين فلتة وخلصوا الداي الذي بها واجلسوا عوضه داي اخر وهو
الحاج علي لاز وقد مر ذكره وتعاقدوا بينهم على المكر بالديات جميعا وبعث
نعلهم كان يوم الملاء وهو يوم دم واول يوم من الحسوم فنبذت اهل اعتقل

بأراقة دمهم ، وحكمت بحسبهم * ولد فعلوا ما فعلوا حرج المكرم محمد الباي
ولحق بأخيه وأتزر بعضها ببعض ورجعا الى بلد الروارين من ناحية الكاى
وبعث الحاج علي لاز يخاصمهما فلم يفذه شيئا فعند ذلك امر ان تنهب
دير البايات فاختلوا من متاعهم ما قدروا عليه وصارت هرجة في المدينة
وخرج الى الباي جماعات ممن ينتمى اليه وكرة الناس هذه النازلة لما وقع
بسببها من الفساد في المدينة واستعظمو الامر * ولد فعلوا هذه الفعلة قدموا
على انفسهم محذاهة وجعلوه مقام الباي وركب في الاسواق وطيف به
وحلس في بعض منازلهم واخذ يستعد لحربهم وبعث الى طائفة من العربان
واستنصر بهم وخرج بمحملة ونزل بالملاسين وبه سميت واقعة الملاسين وهو
المكان الذي في طريق سيحيم فبعث اليهم الباي يحذرهم على فعلهم فلم
يرجعوا عنه لانهم جماعة من اشرار العسكر وروساءهم لم تكن لهم عقول
للتمييز وغلبت اشرارهم اخبارهم فبعث الباي اليهم بعثا بعد بعث فكانوا
يخرجون كل يوم الى خصرج البلد ويستشرون معهم من هو على رايهم
وجاءتهم مشايخ العربان وسخروا بهم وهونوا عليهم الامر واخذوا منهم دراهم
وثبوا على الرحيل فلم يجدوا من يحملهم فلم تكن إلا ايام يسيرة حتى اقبل
الباي اليهم باجدة وزمولة ونزل بمقربة من سيدي علي الخطاب وتاهب
لتنالهم فلما سمعوا به استنفروا بقية العسكر وخرجوا الى المكان المذكور واخرجوا
مدافع كانت معدة لهم وتقدموا الى مكان يعرف بعقبة الخزار فطلعت عليهم
الخيال من ناحية الباي وكان الباي في مرادة ابقاء الحرب الى غدا فلما انتهى
الجمعان وتندوشوا القتال لم تكن إلا ساعة من نهاري حتى ولوا على اعقابهم
منهزمين واخذت مدافعهم وامتعهم وقتلت منهم مقتلة عظيمة لم يسمع بمثلها
فيم تقدم ومن نجا منهم دخل المدينة واتجه الى القصبة بقية الجماعة واعلقوا
عليهم الابواب واحصنوا بها * وهذه الواقعة كانت يوم الجمعة في النصف من
صفر سنة خمس وثمانس والعب ومن غدا أصبحت القصبة معلقة الابواب واهل
المد في حيرة لم تكن في حسب وحدث الاعراب في اطراف البلاد وكان

الخطيب جليلا . ويوم الأحد قدموا دايا وآخر وهو الحاج مامي جمل وبعضوا
أكابر العسكر الى الباي يعثرون اليه فقبل منهم وأمرهم بخراج المفسدين
من بينهم فبعثوا الى الجماعة المتحصنين بالتصبة فتخادعهم الى ان اخرجوهم
ومشوا الى زاوية الشيخ سيدي محرز فلم يعن عنهم فاخرجوها منها وقتلوا . وتبع
الباي كل من ركن اليهم ولافعالهم وقتل اكثرهم وما نجا إلا اقلهم واسترجع
ما نهب من امواله إلا ما قل * وهذه الطائفة فعلت الاوابد وانفسدت
وخربت ولم يكن فيها صاحب عقل وكادت ان تحرب البلاد لولا ان نذاركم
الله بهذا السمر . وكانت هذه الواقعة مرة لاهل العصر . ونذاركم الباي
المذكور احوال البلاد فصرف عنها العرب الذين اتوا معه فودعهم الى اوطانهم
وامن الناس على ما بايدهم وكفى الله المؤمنين القتال واقام ببنار في
باردوا واخذ يتبع اهل الحمايات الى ان افنى بعضهم واجلا بعضهم وكب
اوامر وبعضها مع جماعة من كبار العسكر الى الباب العالي وجاءه الجواب
على مقتضى مراده . ومن هنا رأت صولته وعلت همته وسافر في سنه الى
افريقية كعادته والامور الاحكامية تنفذ في المحصرة باوامره ومشورته وقادت
همته على من تقدمه من ابيه وجده . وذل ما لم ينله احد في اقليم المغرب
بحزمه وجده * وفي هذه السنة اخذ اهل وسطات في الشقاق . واعلموا
بالفراق . وكان قد لما اليهم ابو القاسم السوث لانه خاف من سطوة مراد
ابي لانه تحقق عنده انه كال من وانس اليه . وساعد بعض اهل
سرا وكاتبه وميل اليه . فخاف على حسنة نفسه . وانضم بالجمل مع ابناء
جنسه . لان هذه الواقعة المذكورة كشفت احوال كثير من المفسدين .
واظهرت خيانتهم الباطنة ففعل بهم ما فعل بقوم آخرين . وكانت لها سعة
بين اهل البلاد الغربية . واتصل ذكرها بالبلاد الشرقية . وكنت مدحمة
على ذلك بقصيدة دالية فجاءت بسعادته على وفق المراد . وقرئت بحضرته
على المسامع الشريفة وحليتها باسم مراد . وهي اريد من مائة بيت استوفيت
فيها الواقعة من الزمان الى اخرجها . واظهرت اسمه واسم اخيه ولديهم وجعلتها

وسطى جواهره * واول القصيدة من محسن ما يذكر بين الناس . وهما
 اب اذكر شيئا منها كم اذكر اسم المدوح ولا بأس . اوله -
 زمان الصبا هل له ان يعد وان كان ماضي لا يستفاد
 وهل للشبيبة من رجعة تنابني بعد ذلك العباد
 وما رلت مستمرا في تغزلها . وشكاية الدهر وما فعلت الايام بمثلها ،
 وتخلصت الى المدوح بقولي -

ولله من عصابة رفقتسي بعدم ركاب وعدم المراد
 يسألني بعضهم في المسير الى اين قلت لقسم يراد
 ونطقتم بعض م في الصمير وشاورت كلا على الانفراد
 فقلوا نوم لبعض الملوكة فقلت اصبتم فهذا مراد
 بتونس اتسها قسدره فصارت كما قيل ذات العمد
 امير جيوش محال الهنسا ورب الثنا لجميع البسلاد
 له همة بلغت للسهل وصورتهم عن ظهور الجياد
 اذا ما علا اظهر الصافنات يزحزح في الارض صم الجماد

ومنها -

ايا ملكا فاز بين الملوكة والصد والمال جعا اباد
 فلو عيش كسرى لهذا الزمان اطع والتقى اليك القياد
 ومنها في ذكر ولديه النجيين

ولنفردين به نسبة فلانس ذكر الكرام الجيد
 محمد نحمد اوقائسه علي اخوه علي النجساد
 هم كاليدين وكالمغنيين وكالبيريق لمنع العباد

ولو لا خوف الاطلة لاثبت بها عن اخرها * ومدحت بقصيدة لامية
 لا مير الاسعد ابا عبد الله محمد الحفصي واتيت به يلقى بكل واحد منهم
 حصلت الجائزة من الاخوين . جراه الله بنواب الدارين . ولكل واحد
 ثمر وحسنات تتلى . وكلهم مستحق المدح والمدح لهم اولى . والله تعالى

هو المشرك ان يذهب عن جميعهم الصير ويقيمهم كالأوثان . ويلهمهم الرشدي
 الماسي والحال وما هو عاثر . ولترجع الى بقية اخبار المرحوم مراد باي
 فله تحقق عنده نفاق الجبل . اخذ في استعمال المكر به والحيل . وكانت
 الشوك يخوفه ويحذره وهو عنده على نفاقه الى ستة خمس وثمانين والـ
 خرج اليه بمحلتين عظيمتين واستشرجعا نظيما من اهل البلاد وخرج اخوة
 معه بمحلت من صبيحته ونازل الجبل واداروا به من كل فج وبعثوا الى اهل
 جمعة من الثغراء والمشايع فلم يتفق لهم طاعة فعند ذلك امر بقطع اشجارهم
 وصايق بهم الحصار الى ان دهمهم وحل بدارهم ودخل الجبل عنوة . وقطع منهم
 النخوة . وفر الشوك امامه بعد قتال شديد . وقتل نفسه بيده وجيء براسه
 ومربك بظلام للعبيد . وكان هذا الفتح في شهر صفر من السنة المذكورة .
 ورجع بعساكره ومحلته النصورة . ويوم دخوله الى الحضرة عد من حسنات
 الايام . وعام سعيد على اهل تونس يفتخرون به على الاعوام . ودخلت المحل
 على كرنين . وقسمها بين ابنيهم لانس . دخل ولده الاكبر المولى محمد باي
 بالمحلة في اول يوم ومن غد دخل اخوة المولى علي باي . وهي اول محلة
 دخل بها . وظهرت عليه ذلك اليوم محائل الامارة والجه . ووقع لانس الخرجة
 في يومين . وعوذت لانس الاميريين الانيين بناني اثنين . ونشرت على
 رؤسها لاعلام الحاقانية . وصربت الطبول العنانية . وكانت هذه الايام من
 تمام السعادة . وبها حتمت حياته الى ان ختم الله له بالسعادة . وهذه اخر
 سفراته . واما اخر ايام حياته . ولم تطل له الايام من بعد . وتقدمت من بين
 اقربائه ولايام مولعة بالشد . وتوفي بمنزله السعيد بلاردو في العشر الاواخر
 من جادى الاولى سنة ست وثمانين والـ . وحمل على الاندق ودخل
 الحضرة ودفن في تربة ابيه وجدة بجوارهم المشهور . وانتد بعلمه بعد ما
 كانت عامرة به المنزل والقصور . وكانت جدرته حافلة وغلفت بالاسواق
 وبكت عليه الناس . وبمنه انفتح الخرق وجار على اهل البلد الشر والباس .
 تسمى الله ان يرد كل خائف الى مأمته . ويلهم ولدهم امثولي منيما اصلا

وظنه انه مجيب الدعاء * ومن محاسنهم رحمه الله تعالى استيلاءه مسجدا
ببلد بنجة من احسن المساجد وجعل امامه من الطائفة الحنفية واقف
عليه ما يحتاج اليه ، وكذلك مدرسته بديعة الشكل عند باب الربع بمدينة
تونس واشتهرت باسمه يقال لها المرادية وبعضهم يقول لها مدرسة التوبة
لانهما كانت مسكنا للأجداد قبل بنائها ويقع فيها الفجر فغير رسمها لأول
وجعلها لخدمة كسب الله والعام وبها امام ومدرس وعدة بيوت للقاطنين بها
ولهم مرسى واقف عليها عدة حوانيت بارائها ، واقفا اخر بحيث تكمل
جارية اهلها ، وسئلت عن تاريخها فجاء بالجمل ، مدرسة علم انابه الله على
ما فعل * ومن محاسنهم قدره ، ما ساد بين الخافقين بذكره ، الوليدة العظمى
التي صعد لولده الامجد مولى النحر الجلي والتمدر العلي ، ابي الحسن المولى
علي ، ولا حيه حسن باي ابي اخي مراد باي كانت من عجائب الدهر .
وتذكرة لاهل العصر ، صاهاى بها الولايم السابقة لابيه ، وارى في التجل
كعادة اسلافه وراد فيه ، وكانت سنة ثمانين والت واتفق الساس انهم لم
يروا مثلها الا فيما سبق لايه ونايه الاجاع حصل ، وعليها ان هذا الفرع من
ذلك الاصل ، حتم الله له ولهم بالسعادة ، وانا بهم الحسنى على صنيعهم الجميل
وريادة ، انه واني ذلك والعاذر عليه * ومن البيات الذبح حصلت لهم
الرئاسة وحصل الاجاع على تقديمهم الى ان دخلهم المافسة ففاسى كل واحد
منهما ما فاسى وحما الامر ان لا جالس الاخوان الشقيان اللدان رصعالس السيادة
من ثني واحد ، ولم يكن لذي مثل ان يفضل واحدا على واحد ، الا ان الله
في خلقه اسرار ، ويعلم ما جرحهم بالليل والنهار ، واولا قدر الله الذي سبق
في علمه ، لم يكن واحد منهما ان يتزحرج عن رتبته ورسمه . ولست بنبذة
ما وقع بينهما الى ان من الله تعالى على اهل الحاضرة بمن صلح بينهما وذلك
يوم وفاة المرحوم مراد باي كان واده الانجد ابو عبد الله محمد وهو اكبر ولده
في المحلة كعدنه لان والده كان بنويرة في حبائمه وشقيته ابو الحسن علي
- حضر وفاة والده سار الى رحمة الله اتفق اهل المحل والعتد على توليته

اللائس، لانيهما كالتيرين ولا فرق بينهما ولا فصل لاحدهما في السياسة والتدبير، إلا كما يثقل في المثل فصل الكبير على الصغير، قسيروا له صحة اخيه جماعة من اخوات العسكر وصحبتهم خلع سلطانية واوامر شريفة بولايتهما جميعا وقرئت بالحللة على العسكر والسلاطين وصربت الطبول ونشرت على رؤوسهما الأعلام الملوكية وتباشرت الناس بهذه الولاية الجديدة فقام المكرم محمد باي بلامر احسن قسيم، واستوفى خلاص وعيته على التمام، ونفذت الاوامر على وفق مراد الاخوين، واستوفيا، كان على الرعية من الدين، ورجع الى حضرتيهما في شهر رجب من السنة، فله قرن من المدينة خرج اليه الناس على العادة للسلام عليهما واجتمع بهما من لا يخشى الله والقي لهما كلاما بطلا لفعلا منه وكادت ان تكون فتنة لولا لطف الله ومن غدا دخلا في موكبهما على العادة ولما حلا بدار عزهما دخل المكرهون بينهما بالتميمة واظهروا لكل واحد منهما الصمحة واغروا بعضهم على بعض وكان باي الغنم على اساس فرادوا ان يتنص فشح بينهما باب العنق وحرث بينهما محاصمت في السر والعلن وكل مهم يذم اسم المبغي عليه، واراد كل واحد منهما ان يعلم ما لم وما عليه، وطلب المكرم محمد باي ان يثرد بلامر على ما كان في رص ابيه عليه، وضاب احوه المكرم علي باي ان يكون مساركا فيه لديره، واني كل منهما ان يسام كلاما لغيره فجرت بينهما مناجرة وحاصم، وعال امرهما الى الحكم، وحضرا بلديوان المصور ونذارت بين يدي الكبر العسكر وصناديد بعضهم بعضا، واتفق ان يسلم كلاما الى عبيد الاكر فرصيت جبهة اهل الديوان بذلك وقدموا عليهم، وجعلوا بيده التصرف في الحضرة والمهالك فخدمت عليه خلع الولاية وركب بشعار السلطنة ونادى المنددي في البلد واعلم الناس بولايته فجاس به اس حكامه، وخرجت الاوامر بسهم، وهو الابد الانجي المولى ابو عبد الله محمد الخنصي ابن المرحوم المولى ابي عبد الله محمد بن المولى المرحوم رحمة المائت المولود مولانا في الطغر مراد بن المرحوم.

ولما لم يلازموا في اصلاح شأنهم وانعم بالهبات والصلوات على جميع من يستحق احسانهم فالتفت نفس المكرم محمد باي من تقديم عمه وسكنهم سورة ولم يظهر لاحد خبره فعزم على الفرار من المحصورة ووافقه ابن عمه وبعض جماعته وطلسمه وخرج الى طاهر البلد كعادته واخذ متوجها الى بلد الكاف اواخر شعبان سنة ست وثمانين فجد في سيره الى ان بلغ الكاف . فكثر في المدينة الاراجاف . وانقسم الناس واختلفت آرائهم واهواهم وتزايدت الاقويال . واختلف الثقال والقيال . ولما حل بالكاف اجتمع اليه خلق كثير من كل الجهات فانعم عليهم واحسن اليهم واستخرج من ذخائر والده وانعم على وقده و تجهز لمحاربة عمه . وكان من قدر الله انه قبل خروجه من المحصورة اقبل الركب الحماري وشيخ الركب محرز بن هندة وكان من رحل الدولة في زمن الالفه فلما حدثت هذه الحوادث خاف المولى الحفصي ان يتهاقم الامر محسم الماده بان خلع نفسه ورد الامر الى حفيدة وبعث الشيخ المذكور الى بلد الكاف لاعمال ذات يمين فيما وصل الكاف حكم العداوة اكثر مما كانت عليه وفي غيبته كثرت الاراجيف . وبتيت اهل الاهواء في كرفور وعظم على الناس الفتن وتسامعت اهل المحصورة ان الباي غزا من الكاف على بجة واحذ منها ما يستعد به ثم غزا الى ناحية القيروان واخذ شيخ الرملة احمد الرقيعي وقتك به وانه معول على المجيء الى تونس لمحاربة اخيه وعمره . فلما سمع عمره بذلك خرج من المدينة وخرج معه ابن اخيه المولى علي باي ليجبعا امرهم ووقعت هرجة في البلاد وفي اثناء ذلك رجع محرز بن هندة من الكاف فالتقى بهما وهول الامر عليهم وذلك بخلاف ما في ضميرة فرجع الى البلد وحلف لهما العسكر ان لا يفضلوا احدا على احد ولكن من موافقة من اكابرهم . ورجع محرز المذكور برسالة غير الاولى فراد بمكيدته في تأكيد الشر وترادفت الاخبار وتواتر ان الباي اقسم لا يدخل البلد وعمره فيها او يعتك به وذلك في شهر رمضان المعظم من السنة فلما صح الخبر عند عمر كره اراقة الدماء بين الفريقين فعزم على الخروج من البلد

وهيا مركبة حل فيه ما يحتاج اليه وسلم ملكه ومتاعه وخرج بس يلية وركب
 البحر من ناحية رانس ويوم خروجه تفتت الكباد ، وتطعت قلوب اصابه
 من اهل البلاد ، وكان الهول عظيما ، وكلامر جسيما ، ولا حول ولا قوة الا بالله
 كيف تفرق الشمل بعد الشامة ، والعقد بعد نظامه ، وهذا هو السبب في
 رحلته الى الديار الرومية ، والقدر يحمله الى ان بلغ الى الرتبة الملوكية ،
 ورجع بشعار الباشوية الى الديار التونسية ، وقد مر له خبز قبل هذا في غير
 هذا المحل ولما سمع خفيده بخروجه من الحصرة اقبل الى البلاد ، بمن صحبه
 من روساء وقواد ، فخرج غالب الناس الى لقائه ، وخرج اخوة مع من خرج
 فغص منه واظهر له التنكر والمقد في باطنه اسكر وحل في منزله بساردو
 وجاءه الناس وهنوة ، ثم وقع بينه وبين اخيه انسق على ما رهوة ، ولم يتم
 ذلك والرمه لاقامة ببعض قصورهم خارج البلد وان لا يدخل الحصرة في
 غيظه وتيه الى المحلة في شول سنة ست وثمانين وخرج تحت الصندق
 وسفر الى بلد الجريد على العدة ، وفي غيظه تقوى الطاعون بتونس ومات
 من اهل بيته جلته من اقاربه واخوة لم يحضر جنزة احد منهم وماتت
 زوجته ولم يحضر جنازتها ، ولا خبر واردة بما نعيمت منه الشوس وفي انداء
 ذلك مات عمهما حسن باي ابن المرحوم محمد باشا فحضر المكرم علي باي
 في ذلك اليوم جنازته ، وبعد ايام ظهر الخبر وذاع بين الناس ان المولى
 علي باي توجه الى ناحية الغرب لسبب تحقق عنده وخافه والله عظام
 وسياتي بعد ، واسا المكرم محمد بي فاستخلص ماله من الجريد ورجع من
 هناك الى افريقية ورجعت المحلة الى تونس وزادت الارجف من اهل
 البلد واضطربت نار الفس ، وخرجت المحلة الصبية من سنة سبع وثمانين
 لاستخلاص الوطن لا فريقي ، وفي تلك الايام وردت اخبار من الديار الرومية
 بان عمهما وصل اليها ووردت اخبار اخر اعربنا عنها فرجع المكرم محمد
 باي الى الحصرة والتفق مع اكابر الدولة بانهم لا يقبلون احدا من عمر
 واحيد ، وراى العسكر الى قوله وعقدوا محضرا بجماع اربثونة وانفقوا على

كلمة واحدة ، وفي أثناء ذلك جاء الخبر بأن المحطة التي للمسيحية ومائت
 قريبة من عمدة اخذها تبع المكرم علي باي . وهو القائد مصطفى
 سبيول في عدد من الأعراب فخرج محمد باي من فورة من المسجد . وجد
 في سيرة ومن عند بعث برعوس أعراب لشعكين لأحوال ولكن الأراحيث كل
 يوم تزداد . ولم فرغ من أمور أفريقية توجه من هالك إلى ناحية القيروان
 لأنه بلغه نفق وسلاط فسار اليد بخيله ورجله وحاصره من كل جهات .
 وبعث إلى أهل الجبل جماعة من المرابطين فرضوا بالطاعة وأداء المال فلم
 يقبل منهم إلا أن ينزلوا عن حكمه فحضر من ذلك ورضوا بالموت في منازلهم
 ثم بعث إلى الحاضرة فامدوا بعسكر . وذلك في شوال من سنة سبع وثمانين
 ورجع هو في أثناء ذلك إلى الحاضرة واستحكم من العسكر بها أراد . وغلب
 العسكر مبتذل لأمرة ونهيه منقاد إليه أحسن قيساد . مما منهم إلا تن يفديهم
 بنفسه . ورجع من فورة إلى محلاته وتبع بعث رساله إلى أهل الجبل ولم يتم له
 ما أراد فعزم أن يستصلح من أوله إلى آخره فهبها له جوعه بعد ما ترادفت
 عليه من كل الجهات . ودخل إلى الجبل من طريق شقي ودهم أهله بها لا قبل
 لهم به ولولا ما سبق في علم الله لمعلم دكا فلما توسط جل العسكر في الجبل
 ووقع الحرب بين الشريطين وكادت أن تكون الدائرة على أهل الجبل
 فكان من قضاء الله أن المكرم علي بي كان في الجبل بطائفة من جناته .
 وكان قائده القائد مصطفى بكيم خارج الجبل فلما علم توسط العسكر في
 الجبل بذروا إلى المحطة وكان بقي بها جماعة ليحرسوا الامتعة التي بها
 والدواب فدار عليهم من خارج الجبل وأخذ مدقة من الخيل والجمال . وكاد أن
 قاتل على آخرها فحاربهم من بها من العسكر ورموا عليهم بالمدايع وطهرت
 له في ذلك اليوم شجاعة وإقدام لم ير لاحد مثله حدث به من شهداء .
 فلما سمع من في الجبل من العسكر حسن امدافع علموا بواقعة حدثت بعدهم
 فوجئت قلوبهم ودخلهم الرعب فولوا منهزمين لا يأوي صدديق على صديقه .
 لا يطرششق إلى شقيقه فركب أهل الجبل أدبارهم يقاتلونهم مثلات لهم

يسمع بمثلها ولم ينبج منهم إلا من وثق بأجله ومات غالب الروساء من
مقدمي العسكر وخليفة الباي القائد محمد بن علي وجماعة من فصلائها
وكاد الباي أن يقع في المكره لولا لطف الله به ونجده بنفسه وخلق المدافع
التي دخل به للجبل في مواضعها ورجع إلى الكهنة بمن نجه معه ومن
عد رجع إلى المدافع وأتى بها ورجع راحلا إلى القيروان . وكادت هذه الواقعة
تعد من الوقائع . وبها انسح الخرق على الراقع . وكانت في ذي القعدة من
سنة سبع وثمانين ولف ووردت الأخبار إلى المحصرة ولكن لم تشتت الناس
بين مصدق ومكذب . ثم بعث إلى العسكر يستنجدهم فأمدوه بعسكر ثلاث
ولكن لم يخرج إلا والنشل دب في أكثرهم وخامرهم الرعب ولم تطمع نفوسهم
بالجاءة إلى القيروان فله وصلوا إلى من بقي من أخوانهم من العسكر انخبط
منهم جماعة مستغيصة وبعث إلى الجريد بحملة مشحونة وسردارها محمد
رايس عرف طهفي وقد مر ذكره عند ذكر الدايات كما سبق وقائدة
ثلاث مراد وبقي هو بمحلتهم وجدة الخمر بان أخاه رجل من الجبل وأنه في
جمع قليل فطمعت نفسه بلقمة فاحتته وطش أن ما أصابه إنما كان بدل
الجبل فجد السير في طلبه إلى أن لحقه بمكان يعرف بسبيسة وكان يوم
عيد الأصحاء والمكرم علي بساي مقيم فلم يشعر إلا والخيل أفلت وخبرته
بأخيه فقدم عليه فستدركت امردهم جمعهم ودهم أخيه بمن معه . وكان
غالب من معه أدركهم التعب لعنف سيرة والتحقوا إبلا كثيرة فاخذوا منها
وبدا النهب من العرب كعادتهم . فلما منعوا في النهب دهمهم علي بساي بمن
معه وجلا جلة منكرا ومن كان في نجد له ذلك اليوم صبرة وخميرة شيخ
العرب الشيخ سلطان بن منصر بن خالد وجده من الصبايحمة فقبضوا
بنفوس أبيته والله يويد بنصرة من بشاء فام تكس إلا ساعة من نهار حتى
هزمهم . وسكان عسكر المحلة أدركه التعب فما وصلوا وبهم قوة فلما إذا
المنهزمين نصوا أخبيتهم وتحصنوا بها وبعث إليهم علي بي يدمرهم أن
بذاعوا عن أنفسهم خيفة منهم فأبهم وفعل من الشرهين وفروا إلى بيت قدر

عمر . ورحسح الى الكنف وضم اصحاب الابطاح علي باي ما خلفه اخوه
وعجز عن حملهم وكان شيئا مستكبرا لانه رفع في وحيته هذه من الذخائر ما
لا يصنف فملئت ايدي العرب بن من المال ولا منعة . ولمس انفصل الحرب
بعث الى اكابر المحلة وامنهم وسكن قلوبهم ثم بعث جماعة من اصحابه
من يتق بهم الى المحلة المتوجبة لتجريد فاستوثقوا بها وحيث المجاني
بسمه . ولما تيسر له هذا الفتح بعث بالخبر الى تونس فكان وصول الخبر
اليها يوم ثالث العيد فزاد الهول على اهل الدولة واختلعت اراؤهم ولم يفتح
لهم باب الى ان هياوا جماعة من اكابر العسكر وبعثوهم الى المحلة وبعثوا
جماعة من العلماء والمفتيين فكان من امرهم ما سبق ذكره من حلع الداي
الحاج مامي جل وتولية الحاج محمد بشاره . واحتوى المكرم علي باي على
منصبه وتصرفت الامور من اذنه وهذه اخر محلة خرجت في تصرف الامير
محمد واول محلة دخلت في طاعة الامير علي ولم يزل المكرم محمد باي بعد
هذه الواقعة مختطبا في الغمرات . طالبا اخذ الثارات . واحوا مقابل له
في ذلك . متعرض له حيث توجه من المسالك . وكل منها له وقائع تذكر .
وصولات وسطوات لا نذكر ونشكر . الى ان اصلح الله ذات اليس . وجمع كلمة
الاخوين . بعد ما كان بينهما حرب ولا حرب الاخوين . عسى الله ان يقيهما
الحوادث . ولا يدخل بينهما ثالث . ان شاء الله تعالى . ومن البنيان
الذين شاد ذكرهم في الامصار . وانتشرت اعلامهم في هذه الديار . الامير الشهير
الاسد الصفار . والبطل الهمام . صاحب القدر العلي . ابو الحسن المولى علي .
باي البلاد التونسية . المتصرف في المملكة الافريقية . احسن الله اليه . واجرى
الصالحات على يديه . وهو الذي سر ذكره في الافق . ولزمن الحداة باسمه
وحلا ذكره بين الفساق . وحل في رتبة المعالي في سماء العز واشرق سناه
شروق النيرين . وارتفع محله الى ان صار قطب المملكة التونسية وعلا على
حل السهي والفرقيدين . وبلغ من السعادة ما لم يبلغه ابوه وجده . وبذل
نفسه في طلب العلماء وركب الاحوال وساعدة جده . وخاطر بنفسه في

ركوب الاخطار . ولم يكل عزمه في طلب السرى وجد السير وركب الليل
وامتطى النهار . وكافح الابطال . وباشر النزال . ودخل وسط الحرب . وقابل
الطعن والضرب . وهان عليه ركوب الاحوال . وانفق الطارف والتلبد
والاموال . ولم يشع بروحه وان كان غيره بها لم يسمح . وساس الامور الى
ان دان له تنجيم وتنجيم . ولم يرل متطيا ظهور الصافيات في طلب
السرار الى ان بلغ المراد . وجاءته السعادة متفاداة لما يامر بها به وامتثلت
لابر مراد . وتصرف في المملكة تصرف الملوك . وخصعت لدولته الايام
قائلته لله ابوك . تقى الامراء اجالا لمهايته . وتخصع له الاسود خروفا من
مطونه وشهامته . كم اثار من حروب وباشرها الى ان خصعت له الرفاق .
وقارع الابطال وقرع بابا لم يفتح لغيره وفتح له الباب . سرى في طلب العز
كالهلال فعاد كدر النعام . واحتجب في سماء اليجماء بين نجوم الاسنة
وبروق البارق وظهر من تحت سحاب القشام . ونازعه نفسه في الرتبة
الملوكية فقل انا له . واقتحم عظام الاحور الى ان بلغها ونالها . فكم له من
واقعات ضربت بها الامثال . وكم له من فتكات في اعدائه عجزت عن مثلها
الابطال . كيف لا يحقق له ان يدل مراسمه وهو جالس في مكانه . وكيف
يحق لمن لا يخاطر بروحه مخاطرته ان يعد من اقرانه . ورث السيادة من
ابائه وشيدها على ما كانت عليه . وان جمعت عن غيره فقد جءته متفاداة
بين يديه . وفي المثل - بالسعود لا بالجدود - وهذا جمع بين الاثنين . وساعدة
الزمان مساعدا العبيد موالياها واقتضى ما كان له على الايام من الدين .
وفضله وقدره اكبر من ان يذكر . ومحاسن ايامه معلومة بين الناس فلا
يحق لها ان تنكر . وانما مد القلم لسانه لانه وجد في هذا الميدان مجالا .
وان كان يعد من الخرساء فقد اشتق ونمثل فقال -

وقد وجدت مكان القول ذا سعة فان وجدت لسانا قائلا فقل

وهذا الامير مالك تناف . وحاكم اوطاند . ومتصرف في زمانه . جل
الله بمحاسن الايام . وجعل عليه كل نار حرب اضرها اعداؤه بردا وسلاما .

ونأتي بشيء من أخباره ونذكر شيئاً من آثاره . كان الله له وهو من الذين
 وضعوا لبأس السيادة . وكان أبوه لا يفارقه حيث سار وهكذا جرت العادة .
 فكان يتخلل بالخلق أبيه . إلى أن أخذ الله من جديده . وفيه سكينته
 ووقره . وتجنب عن العار . وبطش وسدة وليس وحده ودقل رصيص . وجانب
 معين . وثبات جنان . وكثرة احسن . وكان والده يتفرد فيه الرئاسة وكذا
 كان . ولم يقدّر الله على والده الموت المحتوم كان حصوا عنده وبلغني أنه
 دعاه له بالخير ومات وهو راض عنه فقبل الله دعاءه فأم يزل في حفظ الله إلى
 أن بلغ مرامه . وكان من قدر الله على ما سبق في علمه أن يقول لأمر إليه .
 وأرادوا خروجه عنه فجاءه الأمر إلى يديه . وم أحسن قول أبي دلامته .
 لما منح المهدي وأخذ الكرامة -

أقسم الولاية مشادة إليه فحجرت أذبالهسا
 فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها
 ولو رامها أحد غيره لزلزلت الأرض وزلزالها

ولما قدر الله بأثارة الفتن كما سبق الخبر منها في أول الفصل وخروج الأمور
 من يده والرامم للأقامة في منزله بمنزل صرو وكان الطامعون في تلك الأيام
 ومات من أهل بيته جماعة وهو كالحجور عليه وتواترت عليه الأخبار بما نشتمز
 منه الناس وكان بعض أصدقائه وكاتبوه فكتم سره وعزم على الخروج
 من العدالة والتقصاء يقول له أنا رادوك إن شاء الله على أكمل حاله .
 وسافر في عدد يسير . ورافقه من ختم الله له بالخير على هذا الأمر العسير .
 المرحوم بوجه الملك الواحد . الشابي ابن يوسف داي أبو العباس أحد .
 سقى الله ثراه عن صوب الرحلة وساروا على غير الجمادة ووقعت لهم في طريقهم
 أمور اضربا عنها لاق الخبر المأثور عنهم فيه اصحح والسقيم . ولما خلاصهم
 الله من العدو الذي تعرض لهم ركبوا في البحر من مكان يعرف بمرسی الحرز
 ومن العجب أن كيف حل البحر الملح هذا العذب الفرات . وكيف ملا
 فوقه الدر العاخران هذه لأحدى العربات . وسارت بهم المركب وتلا

التمثل باسم الله بجراها ، الى ان بلغوا ما منهم من بلد الغناب فمكن هناك
مرساها . فتسارع به اهل البلد وحشر الناس ضحى الى رويته وكان ذلك
اليوم من اعجوبة الدهر عندهم ولقيهم اهل البلد واكرموا مثواه وقابلوه بما
يستحقه . ومن هناك اخذ في تهييد امرة وبعث خاله الى مدينة الجزائر
لقصد نصرته فكانت نريسه وقبرة والتحق به سن كان يتسبب اليه من
رجل والده وانته جماعة من اولاد سعيد وجم غفير من دريد وتلاحقت به
الناس وتجمعت عليه الجموع وغرق الاموال في جميع الاجناس ووافقه باي
الجزائر ووعده ان ينصره ولم يوف له . وبالنصران من عند الله ينصرون
يشاء . ان ينصركم الله فلا غالب لكم . وجاءت حملة الجزائر الى قريب من
العائلة ورجعت واكثر المرجفون في المدينة بالاخبار التي ليس تحتها طائل .
بحيث يقرّبونه مرة ويبعدونه اخرى وقد بعدت عنهم المراحل . وبعده
في غيبته هذه لما اراد الله به مصاهرته لأكبر مشايخ العرب الشيخ سلطان
ابن منصور فشرف الشيخ بمصاهرته هذا البطل . وسعد حيث دخل في سلك
دولته الى ان صربت بسعادته المثل . والتحق به قائدة القائد مصطفى
سبيول وهو من رجال دولته . وفي ايام ابيه ككن معدما على جماعة
الصبايحية ونخرج بتربيته . وكذلك انضم اليه الشيخ محمد ابن القائد حسن
واولاده وهو من رجال العرب ودهاتهم وان كان اصل ابيه من العجم إلا انه
ولد بين الابل والخيول وتعلم نزال الفرسان ومدرسة الابطال والغزو بطياري
والسرى بالليل وغير هؤلاء بشر كثير . فول واقعة سعد بها في تونس اخذه
لمحلة الصبايحية الى يد قائدة القائد مصطفى سبيول وقد سبق خروا ثم غزا
غزوة ثانية الى ناحية الكاف وساقى احدى الرمايل وسار بها كل ذلك والناس
يستصغرون امرة وفار حربه احرقت الاقليم وهم يكذبون خيرة وبعث صدة
اوراق الى العسكر يعتذر ويحذر وينذر فلم يسمع له وكل سن وجد ورقة من
تلك الاوراق كتبها وذلك لما يريد الله به من نفذ حكمه . وبعث الى
جبل وسلاط فاتفقوا اليه واظهروا فدفعهم بحبة فيه ولا زال امرة في صعود

وكل يوم في اقبال الى ان كانت الواقعة المذكورة قبل هذا عند كسوة المحلة
في الجبل المذكور وفلك هناك كثيرا من الترك وفداهم بمنال وعفا عنهم ولم يرد
تعرضا للعسكر بمكرهه ، ثم الطامة العظمى كسرت المحلة الثانية قريبا من
سيطلة بمنزلة المريقب يوم عيد الاضحية سنة سبع وثمانين والغب واخذ
المحلة وعفا عن اهلها وامنهم ، وانه اكابر العسكر وبايعوه واظهروا له الطاعة
وحذه اول محلة نفذ امره فيها وجاءت الاخبار الى تونس ثالث العيد فطارت
عقول اعدائهم ، وصار كل واحد منهم لا يعرف ارضه من سمائه ، وخامر جل
العسكر الفشل ، واستولى على غيورهم الخوف والوجل ، واشتعل كل من العوام
بما لا يعنيه ، ولكل امرء منهم شأن يعنيه ، وانت المكاييب من المحلة
واحبوت بما وقع وكانت في المحصرة هرجة عظيمة وانتفق اهل الحل والعقد
ان بعثوا جماعة من اكابرهم وجمعت من اكابر البلد ومفتيها شيخ الاسلام
الشيخ اب عبد الله محمد عرف فتاثة شيخ مشايخ المالكية والشيخ ابا المحاسن
يوسف درغوث مفتي مذهب السادات الحنفية ، فلما وصلوا الى الباي حفظه
الله عرف مقامهم وقبلهم بطلاقة وجه واحسن فرلهم وتن معهم واجرى لهم
مؤنة وقام بواجب حفظهم ثم جمعهم واكابر عسكرهم وعد عليهم ولائهم وحاجتهم
وقطع هجتهم وشهدوا له ذلك اليوم برجحية العقل لانه كان في سيق الامر
لا يتعاطى شئ من المنصب لانه تحت حجر والده ولم يظهر منه تصرف
به يستحسن إلا ما كان يستحسن من خلفته وحلقه وعقله راده الله تعالى
على الذي هو احسن ، ورفع قدرة بين الروساء الى ان ينال مراده ويتمكن ،
ولما اجتمع بفصحاء المحصرة انتفق منهم على خلع الحاج مامي جل ومبايعته
الحاج محمد بيسارة فبايعوه بالمحلة المذكورة في مكان يقال له باطن القرن
قريب من القيروان فرجعوا به الى المحصرة وخلعوا الحاج مامي وجلس بيسارة
في دار التعصبة الى ان كان من امره ما تقدم ، ثم ان الاحب ابا المحسن علي
باي رحل من هناك بعد ان كانت له واقعة مع الثرويين اضر بنا عنها
وكانت سببا لثاقبهم لما اراد الله لهم ورجع الى ان نزل بالحصص واقام به

اياما حتى تلاحق العسكر وجمع رايه الى التوجه الى الكافي فنزل قريبا منه
وبعث الى تونس بطلب المدافع فسيروا له ما اراد هنالك جمع جوعه
وعساكره وقصد محاربة البلد فنزل قريبا منه وركب المدافع عليه ورمى به
وجعل العسكر نوبا في المتاريس ووقع الحرب بينهما واصابت المدافع اماكن
من الحصار وكاد ان يتزعزع ونصدمت منه اماكن إلا ان الله تعالى جعل
لكل شيء حدا . ومن قدر الله كان في العسكر جماعة لهم ميل الى اخيه فبعثوا
اليه يستجدونه وهونوا الامر عليه وكان في ناحية الغرب فجند في السير
راجعا ودخل الى بلد الكافي ليلا ومشت بينه وبين العسكر صدة ارسال
وانفقوا معه ومكنوه من المحلة وكان ابو الحسن استشعر بعض شيء من ذلك
وكانت اقامته بمحلته الاخرى فلم يشعر إلا والمدافع مالت اليه . والعسكر
الذي كان معه صار عليه . وامل العسكر الى اخيه . ووقع النهب في خيمه
ومن يليه . فطاح ما بيده ورحل من ساعته بجموعه وجنده وكر راجعا الى
الجريد وكعد في سيره خيفة ان تصل الاحصار الى من هنالك . ولما وصل
لمدينته قلصت لم يظهر لاهل المحلة التي بها ما يترابون منه وامر برحائها
فرحلت وليس لاهلها علم بما وقع ورجع كعدته على الطريق الجادة وفقد
الخبر بالمحلة وهرب منها اناس فلم يتم لهم مرادهم واقبل اليه في وجهته
جل مشايخ العربان مثل الشيخ احمد بن نوير وجماعة من الحمديد والجمع
الاعظم من نواجع دريد وشياطين العرب اولاد سعيد وسلطان العرب بمجيلة
ورجله وجاءته الاحساب من كل فح صيق واقبل بجمع لا يعلم إلا الله .
ولما قرب من القيروان اظهروا له الشرف فلم يعص بهم ووقع بعض مناوشة
بينهم وبين جماعة من الصبايحية ورحل عنهم الى ان نزل بالفحص والجمع
تترافى اليه من كل مكان * ونرجع الى خبر اخيه وقد تقدم انه لما احتوى
على المحلة وجدده عهده مع اكابرها بعث الخبر الى تونس فحين بلغ الخبر
بمجردة قام العسكر على ساق ومضوا الى الحج مامي جل وكان مستترافي
الراوية فاخرجوه وطلعوا به الى القصبية واعادوه الى منصبه وخلع بيشرة

وبعد أيام امر بقتله وقد تقدم ذكره فيما سبق ، ومن هنا بدأ التخاذل وعظم الارحاف وكثر الخلاف وتفرق الناس ، ولم يبق للعقل قياس ، وتبددت الاراء والعتول ، وكل انسان بما يختلج في صدره يقول ، إلا ان غالب الناس على جهة واحدة ويشككون بكلام لا يحسن السكوت عليه ولا نصيح به الفاتدة وكل يوم ثاني اخبر ليس لها صحة في الخارج وتزاحمت الاراجيف بما لا يعقل عند الداخل والخارج وبعث الداي جماعته من اصحابه لياثورة بالخبر ، فمنهم من قضا نحيبه ومنهم من ينتظر ، ورفعوا الاسعار وقطعت الاسفار ، ووقع العسس بالليل والنهار ، ولما زاد الوجع باهل تونس اجمع راينهم على ارسال جماعته من العلماء واکابر المملكة من اهل البلد لاصلاح ذات البين ، والجمع بين الاخوين ، فغابوا مدة في ترددهم بين الاثنين ، فرجعوا يخفي حنين ، ولم يتم لهم الامر الذي طلبوه ، وكل من الاخوين طلب شيئا لم يساعد عليه اخوه ، فلما وجعوا خائمين خلف الناس من نار الحرب التي وقودها الناس ، وشياطين الانس مشيدة لقصور النفس وليس لبينهم اساس ، وقام سوق الخوف من بعد الامن ، وانتشر النفاق في شلب الوطن ، وقطعت الطرقت ، وغلت الاقوات ، وكل احد من الفريقين يرجح من صحبه بالكلام ، ولم يبق لاهل تونس من العقل إلا قال قل والسلام ، وهذا من اكبر اعاجيب الزمان التي لم يتبع مثلها والاخبار كل يوم متواترة بما ليس فيهم طائل ، والعسس في الابواب كل يوم على الخارج والداخل ، وجاءت الاخبار ان ابا الحسن علي بابي قارب النجاص في جوعه والمحلة التي انى فيها من الجريد معه وبعث بهذا الخبر الى تونس فلم يقبله احد وبعثوا الى من بالمحلة يامرونهم بالهروب فهرب منهم جماعته ، ولما سمع به اخوه تفاؤل من المجيء ثم ثاب اليه راينهم وجمع جمعا عظيما واستوثق من اهل محلة وجاء في نجدته الشيخ الحاج بن نصر وجماعته واقبل في عدد لا يعلمه إلا الله تعالى وجاءته الاخبار من العرب وهونوا عليه امر اخيه فجدد في السير الى ان التقيا بالنجاص يقول من شاهد ذلك اليوم رايت من الفريقين ما يذهل

العقل لما شاهدته من الفرسان ووثقت بلازم شيخ يحرض الناس فعلت
انه سلطان ورايت من افسدام الباي ابي الحسن علي وهو ثابت الجنان ،
ويجول بين الفرسان ، وقدمت العرب هواجها كعادتها والتقى الجمعان
وجلوا حلة رجل واحد فلم يثقف احد منهم ساعة واحدة إلا وقد رزق الله
النصر الى جماعة المعظم ابي الحسن علي باي فغنموا مغنا طيما من الخيل
والسلاح وحرب الحاج وجماعته وخلف امرائه قال سن شاهده وهي راكبة
على بغل حين اني بها قد عنها وردتها الى صاحبها فلم يكن له ذكر بعد
هذه الواقعة ، ولما فتح الله هذا الفتح الغريب في الرمس القريب وكان الحرب
من الفريقين بين النخيلة ولم يكن للمسكر مدخل لان المحلة التي جاءت
من الجريد بعثها الباي علي الى زغوان وقال لهم اقيموا هنالك فان كنتم لي
رحتم معي وإلا رجعت الى صاحبكم فحلفوا له فلم يقبل وكان سردار عسكرها
محمد ريس عرف طاباق وقد تقدم ذكره والمحلة التي جاءت من الكاف
كفاه ان منعت نفسها ونزلت بمكان عال وخندق عليها اهلها ومنع الباي
علي من التعرض اليها ، ولما ارتفع الحرب بعث الى اكابر المحلة فعدد ذنوبهم
عليهم وكان ذلك في اخر العهد بهم ، ثم بعث الى محلة زغوان فجاءته وبعث
قائده مصطفى سبيول الى تونس وبلوك باشية ليخبروا بالواقع وهذه الواقعة
كانت في آخر ربيع الاول سنة ثمان وثمانين والف ، ولم يـ جاءت الاخبار
الى تونس عظم البلاء وارتجفت قلوب الناس وكان الخطب جليلا وبعث
قائده مصطفى فحصر المدينة وصايق بها الى ان اذعنوا له بالطاعة وبعث
اليها سردار العسكر الذي محمد طاباق بعد ما بايعه بالمحلة وقصد مرخبرة
فيما مضى وطلع الى افريقية كعادته لاستخلاص وطنها وتمييده وكانت له
واقعة اخرى مع جوع اخيه كابن الحاج شيخ الحنانشة واولاده ابي زيان
وجماعتهم من دريد ومعهم جوع من عرب افريقية وغيرهم فكانت الطامة الكبرى
ومات فيها الشيخ سلطان الحناشي لانهم دهموا عليه على ففلة عشية نهار
وبشر القتال بشده وكثرت عليه الجموع فطعن ومان ووقعت في عسكر ابي

الحسن رجة لولا لطف الله به وثبات جسده فبات على احتراس ومن
الغد اشتد الحرب واشتبك وزاد الخطب وصبر الفريقان صبرا لم يكن قبل
ذلك اليوم ومات خلق كثير وقعت الهزيمة على اولاد الشامي وتن معهم
وقم من اموالهم شيء كثير وملئت ايدي الاعراب وتن سواهم من الابل
والمتاع وكانت بمكان يقال له وادي ثاسه وعدة من الوقائع التي يصرب بها
الشل ورجع منصورا الى وطنه واستكمل جباه واحسن الى الشيخ احمد بن نوير
ورده الى بلاده فبات قبل ان يصل الى وطنه قريبا من الحمة في معركة
مع جنود محمد بن اي واخذ غالب نجعة هناك . وفي هذه المدة كثرت الراجيف
بتونس وقيل ان البايع مات واطلقت الاخبار الكذبة واختبلت عقول الناس
حتى انهم كذبوا بالضروريات وصدقوا بالحالات وبعد ذلك رده الله سالد
الى حضرته وصام بعض شهر رمضان فيها وخرج بمحله الشتائية في آخر
الشهر المذكور من هذه السنة وهي سنة ثمان وثمانين وكان خروجه تحت
الصناجق كعادة اباائه وصربت البشائر وكان له زبي عظيم وظهورت عليه
مهابة الملك ولم يكن خرج قبل ذلك اليوم على هذه الصورة فتبارك الله
احسن الخالقين على حسن خلقته وخلقه ولقد زانها حتى قلت فيه ذلك
اليوم قصيدة مطلعها -

بدر السما ام نور وجهك يزهر لما خطر ببحلية تبحث
من سندس خلعت قلوب حواسد لكن بها احبابكم يستش
ما عاين الرأون حسنك مشرقا الا وحقك هلوا او كبروا

وهي طويلة اضربت عنها ولم تساعد الاقدار ان يسمعها وسار في وجهه هذه
ونزل على القيروان في آخر رمضان محاصرا لها ورمى عليها بالمدافع ولولا
ان العسكر كان فيه اختلاف لكان استاصلها لانهم كانوا يقاتلون قتال تكلف
ولا نية وحيد عليها عيد الفطر ورحل منها وذلك انه جعلته الاخبار ان اخاه
خالقه الى بلاد الجريد فتصد الهم وارحل عن القيروان ومن العجب انه نازل
القيروان واقام عليها مدة ايام واهلها يحلفون انه مات وان الذي بالمحلة

غيره وهذا من اكبر الهذين وشهدنا وسمعنا بتونس ما هو اعرب من هذا
فسال الله تعالى ان يحفظ عقولنا ويلهمنا رشدنا . ثم توجه الى بلاد الجريد
فوجد اخاه قد احتوى على كثير منها وحسن حصار قفصة وشحنه فلما علم
بقدومه فرأى انه الى الزاب ودخل عدة مراحل في طلبه فدأته فرجع من
خلفه وحاصرت بالحصار المذكور وعمل له لعماء فطلب من به الامان
فامنهم واحتوى على الحصار وجعل فيه نوبة من قبله . ولما اتم تشيجه
واستكمل مجيئه من بلاد الجريد كر راجعا الى الحاضرة وكان اتصل به الخبر
من الامراء بان اخاه قاصدا الى تونس فبعث قائده مصطفى سبنول في
عسكر من الصبايحية لحراسة المدينة فلم يغب شيئا وكانت الطامة الكرى
التي لم يسمع بمثلها في بلاد المغرب وهي التي حرقت فيها الابواب ونهبت
الاسواق وقدمت الحرب على ساق ولقي اهل تونس فيها بلاء عظيم وحاصر
من بالقبصة وكانت الفتنة الكرى وخرج جميع عسكر الحاضرة الى قتل
ابي الحسن علي باي وخرج في ذلك العسكر الداي الجديد ساقلي وخرجوا
باموالهم واولادهم ولم يبق منهم الا القليل وقد ذكرت هذه الواقعة في ترجمة
الداي طيباقي واتصل الخبر بابي الحسن علي باي لطف الله به في اثناء
الطريق فجد في سيرة وكان معه جمع عظيم وبعث الى اكابر المحلة واخبرهم
بالقصة فحلفوا له على الموت فوعدهم بزيادة خمسة نواصر ترقيا لكل واحد
ورحل الى ان قرب من الفحص فالتقى هنالك بالمحلة الخرجة من تونس
ومعها محلة من القيروان وعينها من التوف ومثلها من صفاقس وعربان اجتمعت
معهم من الاقليم لا يعلم قهرهم الا الله فالتقى في اول المحرم من سنة تسع
وثمانين والتمس الحرب ورمى بعضهم على بعض بالمدافع والمكاهل
وصادق بعضهم بعضا في القتل والتقت الخيل بالخيول واشتد البس . وكثر
المراس . وتقارب الصفان . واختلط الجمعان . وصارت كل محلة يقول اهله نحن
اخذناكم يعني اهل المحلة الاخرى . ولما اجتمع العسكران قالوا بكلمة واحدة
ونكثوا ايمانهم وكان ابو الحسن علي باي بعيدا من الفريش لموت احد رجاله

وخليلته في العسكر القائد مراد فارادوا قتله فنجاة الله ومنع من بين أيديهم .
 فلما تحقق أبو الحسن خديعتهم رجع على عقبه بمن معه من صبايحته
 وزموله واجتمع العسكران وبعثوا إلى أخيه محمد باي وملكوة امرهم فوحد بهم
 في اثر أخيه وقد انسحب امرهم إلى مكان يعرف بالمنزل فلما توسطوا به
 سكر أبو الحسن بمن معه وتشجعت اصحابه وصادقوا في حلتهم فبددوا
 شملهم ومات من مات من بينته وكان قدر الله امرا محتوما ومات علم عظيم
 ووقع القتال من عشية النهار إلى الليل ولم ينح إلا من طدل اجله ومن
 عاش اخذته العرب وغنموا منهم مغنا لم يكن مثله في السابق من ذهب
 وفضة واثاث ما يجعل من الوصف وكانت هذه الواقعة من اعظم وقائع اهل
 المغرب ، ولما لم ما تم امر بقطع رؤوس القتلى وبعثها محمولة على الجمال
 وكان يوم وصولها إلى تونس يوم مهولا ، واغرب من هذا ان الرؤوس قبلت
 باب القسبة يشاهدونها والمرجعون يقولون ليس لذلك علم ولا اثر ومات
 ساقلي اكبرهم ولم ينح إلا القليل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .
 ولولا نفاذ ما سبق في علم الله لم تكن هذه الواقعة التي شاد خبرها في
 التاليس ، واضربت نار حربها بين العسكريين ، واقتتلوا في محبة الاخوين ،
 ولكن لكل اجل كتب ، يحكو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب . ثم
 جاءته رسل اهل القيروان يطلبون العفو فغفا عنهم ورحل ونزل قريبا منهم
 وامنهم ولم يواخذهم بما فعلوا ما عدا ابن الشاطر الذي دعم اساس النفق ،
 واجرى اهل القيروان على البغي والشقاق . فانه لم يعف عنه ومات في
 سجنه وكو راجعا إلى تونس واخذة في طريقه مريض خيف عليه منه فتداركه
 الله باطفه ووصل إلى منزله بيزردو وهو في اثناء مرضه واستبشر بقدمه احبابه
 وفشا الخبر في البلد انه مات . ولقد اتفق لي ابي كنت حاضرا يوم وصوله
 وعانيتهم بعين راسي وسمعت ذلك اليوم رجلا يقول لآخر انه مات ودفن
 فاخبرتهما بانني رايتهم فحلفاني فحلفت لهما ولم ادر اصدقاني ام لا . واتفق
 في تلك الايام ان جاءته رسل من عند أخيه لتعقد الصلح ولم يتم ذلك

وبعد أيام يسيرة دخل الى المدينة وعليه ابر الصعف ودخل الى القصبة وحشر
الناس الى رويحه واطلقت البشائر وكان يوما مشهودا عيّن فيه المحب
الغال ، والعدو القتل . وعافاه الله من ذلك المرض ولله المنّة . ثم استراح
وخرج بمحلتهم العيشية من السنة المذكورة لتحرك الاعراب بافريقية
فعاجلهم قبل التمامهم وخلص مجباه كعادته ورجع الى تونس قبل ابدنه
ليلتقي مع عمه لما اتي من الدير الرومية ، مستوليا على منصب الباشوية .
فجمع الله شملهما بعد العربة . وتجدد فرجهما في هذه النوبة . وصاعدا بالحصرة
شهر رمضان . وعيدا عيد النطر في حناء وامان . وحضر للزينة التي وقعت
في اول شوال من السنة المذكورة وقد سبق ذكرها وخرج قبل تمامها بيوم
وتوجه الى المستير وقد استنفر اليه جمعا من كل مكان وكانت محلتهم قد
سقتهم بايام فزل قريبا منها وحاصرها وقطع ما قدر عليه من زيتونها واشجارها
وفعل بها العاقرة . وكادت ان تكون له عليها الدائرة . ثم وردت عليه الاخبار
بن اخيه في جمع عظيم بازاء جريته فاستدركه قبل ان يعيث في بلد الجريد
فرحل من المستير ونوجه الى اخيه ففر امامه ودخل الرمل فتبعه عدة مراحل
فدائمه وام يلق قيدا ورجع الى الجريد فخلص مجبه على العادة ورحل عنها
مويدا منصورا واحدا في رجعه على طريق صفاقس فشء رائد عنها وبعث
الرص الى اهله واخذ جماعة من اهل البلد من خرج منها الى بسائينهم
على حين غفلة فعثا عنهم ولم يهرق دماءهم وكر راجعا الى وطنه ودخلت
بعثته الى تونس في آخر صفر سنة تسعين ولم يدخل معها وسار بمن معه
من الاعراب والصب يحية الى ناحية العرب لانه سمع باخيه رجع الى
تلك البلاد وخرجت طائفة السنة المذكورة كعادتهم وامتدت في البلاد .
لخلاص مجباه وهو مقيم بعسكرة من ناحية الحدادة لكيلا ياتيهم من قبل اخيه
شيء واتصلت به الاخبار ان اهل توزر اختلقوا عليه واخوه بني بها حصارا
منيعا وشحنه بما يحتاج اليه فبعث اليهم مددا مع جماعة من الصبايحية
فتلقاهم خيل اخيه هناك ومات ابن الجنان في تلك البعثة ثم وجه لهم

محنة الشتاء مع خليفته القائد مراد والتقى بجموع لآخيه هنالك ايضا وكانت بينهما واقعات وحروب انتصر القائد مراد فيها ونزل العسكر على البرج المذكور وحاصره اياما وجعلوا متاريس وصادقوهم القتل وحفروا تحته لغيا فهدم منه ج. نبا ودخله العسكر بالسيف وجاءت الاخبار بخذه الى تونس واطلقت البشائر والمكابرون ينكرون ذلك كله ووصل الخبر الى الامجد ابي الحسن فرحل الى الجريد واطلع على البلاد وهدنها وحكمل بجبهه ورجع الى ناحية المغرب وتن معه من العساكر اول سنة احدى وتسعين واقام قبلة اخيه لثلا يحدث حدثا في البلاد ونما اليه الخبر بان جماعة من الامراب من اهل افريقية بعثوا الى اخيه فعاقب سن فحدر عليه منهم وسلبهم خيلهم واقام بمن معه من العرب ومحنة الترك في ناحية الزوارين وبعث الى محلة الصيف خرجت له قبل اوانهم والتقت المحلتن هنالك واشتكى اليه العسكر من فلة ما بايدهم فبعث الى المحصرة يطلب الكتبة الموكلين باعطاء المرتبات فساروا اليه ودفع لهم مرتباتهم في المحلة وتصببت الاسواق في المحلة وجسدت التجار والباعة من كل مكان وصحارت عندهم ايام نزهة . وعزم في وجهته هذه ان ينزل بلد الكاف فبعث بالخبر الى تونس بان يرسلوا له المدافع وقرب من الكاف بجموعه ووقعت بينهم مناوشة في الحرب في ايام وذلك اول ربيع الثاني سنة احدى وتسعين والى وبعد م خرجت محلة الصيف استنفر الحاكم الذي هو داي العسكر بالامر الشديد وارسلهم الى الكاف نصرة وجاء الخبر الى تونس ان الحرب وقع بين اهل الكاف واصحاب المعظم ابي الحسن يوم الجمعة السادس والعشرين من ربيع الثاني وبلغ الخبر الى تونس ان المعظم ابا الحسن علي باي غزا يوم الاحد سادس ربيع الثاني اخلاء وكان قريبا منه فاحتوى على متن كان معه ولم يفلت الا القليل واخذ شيز النجع الذي معه وطافه واطلقت البشائر بتونس في السابع عشر منه وقعت الحرب بين اهل الكاف والعسكر وولت الهزيمة على العسكر وجاء الخبر الى تونس وفي الحادي والعشرين منه نادى المنادي في المحصرة سن

اراد مرتبه يمشي الى الكفى نجدة لمن هناك من العسكر وتوقف المرتب ومنعوا منه وحدد لهم الداي المذكور ان لا رجوع إلا لمن بيده تذكرة بطابع الباي علي فخرجت الناس ارسالا وكان القتال بين اهل الكفى والعسكر عدة ايام ورحلوا منه ناس جددى الاولى من السنة بعد القتال والحصار الشديد . وفي الثاني والعشرين من الشهر المذكور جاءت الرسل الى تونس من قبل اهل الجزائر لقصد الصلح بعد ما التوا مع الباي فارسلهم الى تونس فلم يقع بينهم اتفاق وقابلهم الداي بكلام حسن . وفي هذه الايام صدر اهل المرتبات الذين تربصوا عن المسير الى الكفى فمنعوا من مرتباتهم لقلته استماعهم . وفي اول رجب من السنة المذكورة خرج الباشا مغاضبا للعسكر ومكث اياما في منارة مرناق . ثم توجه الى الساحل وتعاطى خراجها ثم سر الى القيروان واجتمعت اليه اولاد سعيد وغيرهم فكان في جمع عظيم وذلك ان اولاد سعيد اهل تفق وشقق جبلوا على خبث الطبيعة صاغرا من كابر وكانوا في زمن المرحوم برجة الله محمد باشا في التحصيل الاوهد حتى ان الرجل منهم يتسبب لله وديته . ولا يتسبب الى السعيدية . ولم تنقم لهم قائمة مدة حياته . وكذلك في ايام ولده من بعده الى ان قدر الله تعالى بما سبق في علمه من اندرات النش كسرت شوكتهم ومالوا الى بساي الوقت فجابروهم ورفع منارهم فاحلهم البلاد . واطلق ايديهم فاكثروا فيها الفساد . وعاثوا كيف شاءوا وقطعوا الطريق ومنعوا الرفيق حتى صاروا لا يسلك احد في طريق إلا ومعه منهم خبير وقسموا اهل البلاد في طلائعهم واخذوا ما قدروا عليهم ولم يقدر احد ان يقابلهم بشيء وتحكموا في غالب الاقليم وفعلوا ما لم تفعله الكفرة بالمسلمين والباي مع ذلك معرض عنهم ويلطفهم وبعض احيان يعنفهم ومع ذلك يزيد شرهم في كل يوم . فليس ثبت عنده خبث طويتهم تربص بهم الدوائر والعاهم وصاروا يلتفت اليهم . فظنوا انه لا قدرة له عليهم . وان ذلك عجز منه عنهم فاعندوا وتمردوا وصاروا لا يلتفتون به إلا ارسالا خيفة منه الى ان قدر الله تعالى بهلاكهم . فلما توجه الى الكفى كما قدمنا بحث

اليهم يستبجدهم فقتلوا منهم ولم يعبوا به ونفروا في الوطن فعنهم تس ذهب
الى الساحل وعمات فيه ومنهم من اقام بوطن الحرية بازاء بلد سليمان
فوقعت بينهم وبين اهل البلد منازعة فاقتتلوا ومات ابن الكراي هنالك
لا رحمه الله فاشتدت حياستهم وحذقوا بلبلد وقتلوا من اهلها واشرفوا على
اخذها وحدثتهم امانتهم العاسدة بان بعثوا للداي ان يبعث لهم نجدة من
عسكر زاوية للاعانة على سليمان ومشت رسالهم لئلا يفسدوا فمناهم بمراحمهم وخادعهم
وومدهم باخذ الديرة فزاد طمعهم لعنهم الله فضيقوا على اهل سليمان فاخرج
الداي نجدة من العسكر لاهل سليمان في السابع عشر من ربيع الثاني
وخرج مع العسكر خلق كثير لقصد جهادهم لان ضررهم اشد من ضرر النصاري
فلما وصلهم الخبر بذلك رحلوا عن سليمان وجاءتهم الاخبار ان البي عازم
عليهم فانكسرت شوكتهم وتوجهوا الى الساحل وثبت عندهم انهم ان وقعوا
في يده لا يترك منهم احدا فلما حلوا بمغصبة اناسا مالوا اليه وطمعوا فيما
لديه فارضاهم وساروا معه الى القيروان واجتمع اليهم تس يقول بقولهم الى
ان كان منهم ما سذكروا ان شاء الله تعالى * ولم يزل الخبر الى الباي
اطف الله به بن العرب مجتمعين على عهده واخيه وان الحرب اعمرمت
فاره وثقوى شرارها بعث الى المحصرة فعينوا له عسكرا وارحل بزمولة وتس
معه الى القيروان فالتقى بهم ووقع الحرب بينهم ساءة من نهر فانهم
ذلك اجمع وهرب اولاد سعيد الى ناحية المنستير ودخل الشا الى القيروان
وقيل ان ذلك الجمع كان يقرب من عشرة آلاف فارس واما الرجال فلا تعد
ولا تحصي ولا يعلم عددهم الا الله تعالى وصرفت فيهم اموال جزيلا وكانت
هذه الواقعة في العشر الاخرة من شعبان سنة احدى وتسعين والفر . والله
يؤيد بنصرة تس يشة * ورحل ابو المحسن علي باي من القيروان ونزل قريبا
من المنستير وقد تحصن بها اخوة واولاد سعيد وصايقتهم بها الى ان فئت غالب
اهلهم ولم يجدوا الى اين يكون ذهابهم ولما طال بهم الحصار وصاق خناقهم
من شدة المحاصرة رجعوا الى خداعهم وبعثوا جماعة يطلبون من الباي ان

يرحل عنهم يسيرا لكي يخرجوا له وينزلوا على حكمهم ان شاء خدمهم واستراعهم وزعموا انهم مغلوبون من اخيه وان اظهروا الخروج على رضى منهم يعقبهم ولم يخف منه مكرهم فرحل عنهم ونزل قريبا من سوسة واصل زحيلة مما صدفت البلاد على المجموع التي معه لانه كان في امم لا تحصى . فاقم هنالك بقية رمضان وارسل الى تونس لجماعة من فضلائها وذكر اسماءهم ان يتوجهوا اليه لقصد ان يرسلهم الى عمه للصلح بينهما فساروا اليه وحدثهم بمراده وسمعت بعضهم يقول لله درة يعني الباي المذكور ما اجود ذهنه وما اقوى فراسته وماذا عنده من حسن السياسة وانه ليقول قولوا كذا واذا قال كذا اجيبوا بكذا حتى كانه مطلع على ما يختلج في الصنائع وهذا من اصابته في التدبير . ثم بعث بنس دون اناس شح بهم واظهرا انه خاف عليهم من ان يعرضهم احد في طريقهم بكرة ولم يتم له ذلك . وفي اقامته هنالك بعث اهل صفاقس له وطلبوا الامان منه وان يسلموا له مقابلتهم فاجابهم الى ما طلبوه وبعث معهم جماعة من اصحابه فسلموا البلد وهرب من كان بها من قبل اخيه وكفاه الله شرهم وشفاه من اهراق دمهم . وجاءت الاخبار الى تونس وامتنع الداي ان يطلق المدافع كما جرت به العادة لانه لم ياتهم كتاب من عند الباي واكثر المهجرون كعادتهم بالكابرة ثم بعد ايام جاءت اوامره وصح الخبر فطلعت البشائر عند ذلك ورحل بعد العيد متوجها الى القيروان فعلقوا الابواب ولم يخرج اليه احد فلم يتعرض لهم ونزل تحت جبل وولات . وفي خامس شوال جاءت رسل الجرائسين الى تونس مرة ثانية واظهروا انهم لم يكن لهم اوب الا الصلح بين الاخوين وذاع في البلد ان قصدهم غير ما قالوه وكثرت بين الناس الاقوال وذلك انهم نزلوا أولا عند الحدادة المعلومه ثم جاء الخبر انهم دخلوا في الوطن وتسامعت اهل المحصرة فكبروا ذلك وبعض المفسدين احبوه وبعث الداي الى اشياخ البلد واستخبرهم على ما في ضمائرهم فقالوا له نحن ندافع عن انفسنا واولادنا ولم نرض بعير عسكريا مكرهم على قولهم وطلب من اهل باب السويقة ان يعطوه

أما يكونون عنده رهب فاجابوه ولكن سلم الله ولو كانوا فعلوا ذلك لم يغن شيئا . وجاءت الاخبار ان الباشا خرج من القيروان ولحق باهل الجزائر ودخل بهم الوطن واباحهم ان يأخذوا ما يحتاجون اليه من الروابط . وجاءت الاخبار انهم بعثوا جماعة منهم الى الكاف لآخذ المثونة وانهم ارادوا الدخول الى الحصار وان يشتكوا بهم فيه فمنعهم كافل الحصار وقتكوا باهل البلد واظهروا فيها الفساد . وقد تقوى طمعهم في اخذ الكاف ومشت رسلهم الى الباى وهو في منزله السابق فاجابهم بما رصيت به نفوسهم وقل لهم انا قاصد اليكم ورحل واخذهم معه كل ذلك والاخبار متواترة في الحاضرة بكل ارجاف فمن مكثر ومقل ولكل امرء ما نوى . ولولا ما سبق في علمه تعالى من جيل اللطف بعبادة لدهمت اهل هذه البلد امور مدهشة ويقاسون من الالم حتى يقول المار بها للقاطن تغير اسم بلدك عن المونسة بل انه هي الموحشة . وك زاد الكرب بالناس . تداركهم الله بالفوج ولكن على غير قياس . لان الاخبار التي تصل اليانا عن حصانة الكاف شيء يحير العقل في توجهه وانه جاء غصته في حلق البلاد . وكاد ان يكون صالته مستقلة ولا اقول كاد . ومن الناس من يقول يعجز عنه جميع العسكريين . وهو كالحاجز بين الوطنيين . فكانوا يرون انه اذا طال امره تكثر الفس . ويخرب الوطن . والله تعالى لطيف بعبادة . والامور جارية بحسب مرادة . وفي الحادي والعشرين من شوال من سنة احدى وتسعين جاءت الاخبار من الكاف ومكاتب للداي من عند المحاكم فيه يطلب العفو وبذل الطعة فاطلقت المدافع تلك الساعة وكان يوما مشهودا يعد من الايام العظام وفشا في الناس الفرح وامنوا ذلك اليوم على دنائهم واموالهم واولادهم . وفي الثالث والعشرين منه جاءت الاوامر من عند الباى بذلك فصدق غالب الساس الا قليلا منهم . وجاءت الاخبار بعد ذلك ان اهل الجزائر قهقروا الى خلقهم لما سمعوا بخبر وكان زعمهم انهم يتحكمون عليه واذا حصل في ايديهم صار لهم الوطن كله ووردت الاخبار ان الهمام ابا الحسن علي باى توجه الى الزوارىس وبعث عدله وجماعته

معه الى الكاف ولم يصل هو اليه وهذا من الغرائب . ورزاقته العتل وثبات
 المجلس والراي الصائب . فكانه لم يكن له به اهتمام ولا قصده ونازله
 هذا العلم وذلك العلم والله انه لمن الدعاة . ومن له الاصابة في الراي
 والثبات . فالحمد لله الذي يسر له هذا الشرح الغريب . في الرن القريب .
 ولولا قارة الله حفت به في جميع المواطن لما جاءه النصر . والعاية الربانية
 تعينه في مواطنهم كلها ولو دعمه اهل العصر . ولم تزل الاخبار في كل يوم
 تنواتر الى سابع ذي القعدة جاء الخبر ان الباشا والبيي اصطاحا ولم تات
 المكاتيب من عند احد . وبعد خمسة ايام جاءت الاوامر مخبرة بما وقع
 وقرئت في الديوان وسرت الناس . ومنس العد جاءت بلوكباشية بالخبر
 ايضا واطلقت المدافع واخبروا بان الصلح وقع بينهم على التمام بما رضى
 به نفوسهم بوفاء وامان . وقيل لمن اراد الدخول بينهم بالفتن . قصي الامر
 الذي فيه تستفتيان . ولكن لم يحط احد بما وقع بينهم . وانما هم اهل بيت
 جمعوا امورهم بينهم وذعب عنهم ان شاء الله ترحمهم وبينهم . وكانت اولاد
 سعيد التتقت باهل الجزائر . وساعدتهم مدد من المفسدين من القبائل
 والعشائر . وكادت ان تقوم الحرب بين الفريقين . وان تكون لها رجة تهز
 الثقلين . ومن الناس من يقول انما جاءوا للاصلاح بين الاخوين . ومن قائل
 يقول انما ارادوا حسم المادة من شر الاعراب . وانهم ان لم يتداركوا هذا الامر
 يوشك ان يدخل عليهم الفتن من غير الباب . ومن الناس من يقول اذرتهم
 حية عن ابناؤهم وانفت . وبعضهم يقول لامر ما جذع قصير انفسه . والله
 اعلم بحقائق الامور . وما تخفيه الصدور . وعلى كل حال فالله جعل لكل شئ
 سببا والسر الخفي الذي جعل الصلح على يد سردار الجزائر واسمه حسن
 فكان هذا الاسم رزق السعادة من بركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم
 لما قال لولده الحسن عسى الله ان يجمع بولدي هذا بين فتين عظيمتين
 ظهرت الاجابة في ولده في الزمن السابق وبقيت البركة في هذا الاسم
 فكان هو السبب في التمام الكليته حتى صلح الله حال هذه الامة وتداركت

بطلانه احوال العباد . وقام سوق الامن بعد الخوف في جميع البلاد . وحدث
 فار الحرب بعد اضرارها . وبلغت كل نفس منيتها وفازت بصرامها . ولكن بعد
 ما بلغت النفوس التوفيق . واتصلت الحرب بالحرب خمسة اعوام متتابعة
 حتى قيل هي من راقى . وكثرت العداوة بين الهدي والحاضر وطن كل احد
 انه المرفق . وكم سبقت من نفوس الى حتفها في هذه ايام والى ربك يومئذ
 المساق . وما قصر كل من الاخوين في طلبه لثارة . وفارم كل واحد منهما
 صاحبه في المحاربة ورمى بنفسه في الحرب واصطلى بناره . فكم تلقت
 من نفوس . وقطعت من رؤوس . وكم انفقوا من الاموال . وكم اذلت من
 رجال واي رجال . وسمعت بين لائيس اقوام بالنفوس وبالاموال النفاس .
 وسمعت من حروبهما اهل المشرق والمغرب لم يسمع عن حروب الغبراء
 والداخس . وما منهما الا من خاطر بنفسه في مقدسة الابطال ومنزلة
 الفرمان . وادار وحى الحرب وعيشت في وجهه الاسود عند اللقاء حتى قيل
 هذه حروب عيس وصبيان . ولم ينفك احد منهما من حرب الى حرب . وكم
 وقع في صدور الفرسان بالرمح والسيوف من طعن ومن ضرب . واظلمت
 الافاق وقت النزال وارتفع القتم . وطلعت اسنة الرياح في سماء الهيجبة
 مطلع الهجوم ولاج برقي الصوارم فانرفع الظلام . فالحمد لله على ذهاب هذه
 الغمة . وتجديد الالفة بعد انقضية بالطف من الله والرحمة . ولما شاع
 بين الناس ما وقع من الاتفاق واتصل الخبر بلداني والناصي وتمشت
 الاخبار في الافاق استبشر الناس وكثرت الخيرات ورخصت الاسعار ورفع
 الله القم . فنعيموا نعيم اهل الجنة وقلوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن .
 واتصل الخبر اليها النقا ساعة من نهار . وسلم كل واحد لصاحبه ما طلبه
 الاخر بالرحمة والاحسير . ومن هالك توجه ابو عبد الله محمد باي الى مدينة
 القبروان وبقي ابو الحسن علي باي حتى اخذ بخواطير اهل الجزائر ورجعوا الى
 اوطانهم واخذ يستجلب خواتم اولاد سعيد ويماكرهم . ورحل بهم اقباعا لم
 يصلوا الى وطنهم وفي ضمائرهم نار تنلطي من فعلهم الخبيثة . واراد ان يجعل

لهم سمعة تغني عن اخبارهم القديمة والحديثة . ونزل بهم في الشخص على طمأنينة واراد ان يستاصلهم على بكرة أبيهم فغزاهم بليل بمن معه من خيل ورجل فسبق الخبر اليهم وانذروهم بعض اخوانهم من المشركين . واحاط بهم عند الصباح ونزل بساحتهم فساء صباح المندزين . فامر الله الرعب في قلوبهم واخذوا اخذة رابية . وتبدد شملهم ونهبت اموالهم فهل ترى لهم من باقية . وسبيت نسوهم وبيعت اولادهم وصق بهم مكروهم . وحل بهم من الهوان في السبي ما لا راحة ابائهم . ووصل الخبر الى تونس يوم الاحد الثاني والعشرين من ذي القعدة سنة احدى وتسعين والثلاث فطلقت البشائر في الحاضرة وفرح الناس باخذهم كما يفرحون باخذ الكفرة ولج اكلهم الى الاماكن التي تمنعهم من مساكن المرابطين . وقضي الامر وقيل بعدا للقيم الظالمين . ولم ينح من شياطينهم الا من دخل تحت ثوب الغاس . او من اخذ في رقعة ومنع بالنفس والفرس . عسى الله ان يطمع دابرهم من الارض . ويسلط من بقي منهم بعضهم على بعض . ولما كمل الله لهذا الامير بالسيادة والنصر . وصار ذكرا خيرا لرواة اهل العصر . رحل من مكانه وتوجه الى الجريد كعادته ونزل قريبا من القيروان وانتقلت له امور اضرب عليها وتوجه من هنالك الى قابس . وبعث محله السلطانية كعادته ونزل قريبا من جزيرة جربة فصالح اهلها واخذ في تمهيد سن هنالك من رعيته ومعارفهم برفق وعاملهم بها في نفوسهم ونزل بآراء الجبل لتسكين الفتنة التي وقعت به وهدن نفوس اهلهم ورجع الى بقية ما له من المجابي في بلاد الجريد . ورجع الى حضرته سالما شامكا كما يريد . فلج قرب من القيروان خرج اليه اخوه لقصد السلام فعنق بعضهم بعضا ورقت نفوس الناس عند النظر اليهما وافترقا ورجع كل واحد الى مكانه . وصره وسلطانه . وقال لسان حالهما هذه كرامة صرفها الله علينا . وتلا قوله تعالى انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا . ورضي كل واحد منهما على ما اتفقا عليه . وتحكم في مصالحهما واطلق ما شاء من يديه . فالحمد لله على هذه السمعة وذهب النحوس من اهل الحاضرة

وانصلاح احوال البلد واتى الله بالرحمة وانفرد ابو الحسن علي باي بتدبير
المحمل السلطانية . وتصرفت احكامه في اهل المحصرة والرفية . ونفذت
اموره في الاقليم كما يشاء . قل اللهم مالك اذلك نونى الملك تن نشاء .
ورجع الى مستقره وامنه واموره جدريه على الطريق المستقيم . ذلك الفصل
من الله والله ذو الفضل العظيم . وكانت غيبته هذه ثلثين شهرا ووصل الى
مستقر عزة يوم الثلاثاء ثلث ربيع الثاني سنة اثنتين وتسعين والعب -

والقت عصه واستقر بها الموى . كما قرينا بالاياب المسامر
وكان قبل وصوله بلغه الخبر بلواقعة التي كانت من قبل العسكر لما طالبوا
الداي جوارقهم وكادت ان تكون فتنة في المدينة وغلقت الاسواق ومدوا
الستهم وايديهم وقد مر سبب ذلك عند ذكر الداي المذكور واضرمت نار
الفتنة لولا تداركهم الله بحججه فهدن العسكر ولاطهم وساسهم برايه واخذ
فارهم وهذا من بعض لطيف الله الخفي ونزل بمستقر عزة ببردو ولم يدخل
الى المحصرة . وفي اول جمادى الاولى من السنة ابتدا في اصلاح الوليمة
التي ختن فيها اخاه وابن عمه واراد ان يجعلها مختصرة فجاءت على وفق
المراد واظهر فيها هتته العلية والرتبة الملوكية -

واذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرامها الاجسام
واحتفل كعادة اباائه وهرعت الناس الى السرة والفرج . وفتح الباب لهذه
الوليمة فدخل لها الناس من باب الفرع والفرج . ونصبت آلات السماع
عرسية واعجبية وصنائع الشعوذين . ومدت اسطة الطعام للاكليين . والحلاوات
والفواكه بالليل للمتزمين . وكانت تعد من الاعمار ولا ينكر هذه الفعال لمن
امده الله بعنايته لانه وعاباءه واهل بيته كلهم ذروا شان . وير واحسان . وهذا
بنيانه في المعالي كنيانهم . وبجهد الزاخر في المكرمات اجتمع من خاسجانهم -

وبحرك سن جازه يا علي لم يقبل الدر إلا ككبارا
وحيث اتينا بهذه النبذة واكتفينا منها باليسير فانها نقطة من بحر . وغرفة
من نهر . وربما اعرب اليسير من الكثير . ولو تتبعنا جلته اخباره مفصلة لصاقى

بنا المجال . وعجز القلم في ميدان الطرس وما جال . وكيف لتحصن اخبار
من رقي الى الرتب العلية بسيفه وجده . واحتوى على مفخر واصافها الى
مفاخر ابيه وجده . كم هزم من صفوف وكم انفق من الوف . وكم من
غرات اثارها . وكم من حرب اخذ ندرها . وكم باشر بنفسه من حروب .
وكم هيجاء باشرته بوجه قطرب . وصبر في ساعة الحرب والزال . والتقى
مروحه الى لقاء الابطال . وصارت لوقائعهم سيرة افنت عن سيرة البطال .
وان قالوا عشرة الفرسان . قلنا لهم هذا عشرة هذا الزمان -

خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل
وان قدمت في اول الكتاب اخبار تن سبقه من الملوك . فدني جعلته مسك
ختامهم ونظمت جواهر فعاله كظم جواهر السلوك . لانه حاكم زماننا .
والتصرف في اوطاننا . والناسك لارمة عندنا . الهمة الله الى طريق الخير
والسداد . وجعل الرحمة والرافة في قلبه لصالح البلاد . وحلده عليه الصالح
الى يوم التناد . ولما طلع هذا البدر في سماء هذا المجموع . ثبت ان لا بد
للكواكب من الطلوع . ولا بد للبدر من هالة . ويراها الرائي على تلك الحالة .
وهذا الامير هو بدر الدولة اذا حل بموكبه . والهالة اصحابه ومواليه الخافون
به . فمن الرساء القاتمين باصلاح دولته . والمساعدين له في قومه
وقعدته . والبذلين نفوسهم مفاة لنفسه . والصارفين همهم في يومه وامسه .
فمنهم المتعدي برايه الصائب وحقله الناقب . المشير والمستشير عند
مقارعة الكدث . اعجمي الاصل وعربي التربية واللسن الفارس النجيب
محمد بن الحسن . وهو من اقرب احبابه وانصح اصحابه متخلق في لباسه
وفي مواعده باخلاق العرب . ومحافظ على اصلاح الدولة بحسن الادب .
تشهد العرب بذكاء عقله . وبمنازلة الحروب كابيه من قبله . فهو عمدة
وعدة . ويالجأ لرايه في كل شدة . ولم لطف الله به اولاد يضرب بهم المثل .
والشبل من الاسد ومن البطل البطل . ومنهم من يستثله في سفره .
ولا يستغني عنه في حضره . يقوم مقامه في محنته اذا غلب . واذا حضر لازم

خُدشمر ومد الباب ، مولاه وتربيته نعماء . القائد مراد بن عبد الله رزقه
الله تعالى رضا ، ورضى سيده ومولاه ، وهو من تحبه الرعية لرفقه ، وحسن
خلقهم ، وفيه لطافة وثيق . وجهناب متين * ومحسن مواليه من يعتد
بيله في الحضرة بطسراة . والمطلع على مكاتيبه الواردة باخباره . الواقف
عند باب الرضاء وباب دارة . القائد مراد ايضاً ابن عبد الله من رجل دولة
استاذة محافظ على الطاعة . وملازم للجماعة . وفيه تدين ومحبة للفقراء
واهل الصلاح . ولم يشاركه في علم القيم يرجي له ببركتهم النجاح . هولا
اكبر مواليه . واقرب من يليه * ومنهم الفارس . والبطل الممارس . المعتمد
عليه في لقاء الأعداء . الملازم لصفوات الخيل وطوال المدا . الصابر على
الغمرات اذا لقيت الحروب . والثابت الجنان اذا وجلت القلوب . القائد
مصطفى سنبول . وغير هؤلاء كثير لا يحصرني ذكرهم * ومن ذوي البراعة
والمراعاة والاداب . جماعة من الكتائب . اكبرهم واکرمهم نفسا الفقيه الاكمل
النبي . كاتب جده من قبل وكاتب ابيه . المتصرف في حسابات البلاد .
وهو في هذا الفن واصابة الراي وتد من الاوتاد . صاحب الخط العجيب .
والراي المصيب . الزاهد في الدنيا وجده عند كعدم . الوزير الاعظم .
والفقيه الافخم . والدستور الاكرم . صاحب العلم والتلم . ومنصف المظالم
ممن ظلم . جمال الاسلام والمسلمين . واجل الوزراء في العالمين . ممد الله
تعالى بحم المملكت وشده ازرها . ووصل اسباب الدولة واعلى قدرها . كيف لا
وهو صاحب تدبيرها . والقائم بصلاح امورها . والكافل امورها وكبيرها .
من هو في الارض ظل الرحمان . والمأمور بالعدل والاحسان . راجي غفران
ربه الكريم . القاري ابن القاري احمد سليم . برز الله تعالى ضريحه .
واسكنه من بحبوبة الجنس فسيحه . ءامين * ومنهم اي من الكتب
من شهد له في ذلك بالفضيلة والشرف . الفقيه عبد الرحمان بن ابي
القاسم بن خلف . من ذرية اولياء ترجى له بركة جده ورثه خلف عن
سلف . وفيه حشمة ووقار . وتلاوة لكتاب الله ومحافظة للآثار . سدد الله

حاله . وجعل للصالحات مآكده * ومسكن الكتاب المتمد عليهم في حسن
الخطاب . والخط المتصرف في فنون الاداب . الفقيه ابو عبد الله محمد عرف
دحلاب . وكان قليل الاصراف بالدنيا * هولاء من مشاهير الكتبة . سلمهم
الله من كل نكبة . وغيرهم كثيرون . وما ذكرت هولاء الخدام الا بيانا لشرف
المخدوم . ولكي لا يظن الساطر في هذه الاوراق ان هذه الدولة سدى .
فلهذا اظهرت لهم ظمنا ليكون لمن امره هدى * ومن مشاهير الكتبة الفقيه
الاورع المودب الكاتب البليغ صاحب الخط البدیع الذي يضرب به المثل
كاتب مقلبة ويدقوت المعصمين وانظارهما الفقيه محمد صدام عرف اليميني *
ومنهمم الكتاب المتفنن ابو محفوظ محرز بن خلف حفيد الفقيه عبد
الرحمان السابق الذكر * ومنهمم الكتاب الفقيه محمد فارس ولم في علم
المقت ملكة وفيه نية وبلاهة وكانت بيني وبينه مطرحة في الشعر
المسحون . وغير هولاء كثيرون . وانما تعرف كل دولة برجالها . وتصلح
امور الملك باصلاح بطانتهم اذا اراد الله اصلاح حالها . وهذه الدولة ان شاء
الله تعالى حلت بالسعود . واحى بها الفرح في القصور المشيدة من باردو
واخذ السعد في الصعود . والايام ترفل في حلل شبابها كما يرفل صاحبها في
شبابه . والنصر والظفر مصاحب له في نهابه واياه . ولما طلع نور هذا
البدر في سماء تلك القصور . وتزينت تلك المنازة والقباب واحتفلت لفرح
الظهور . وسمعت الناس اصوات المآلث والمثاني . وطربت النفوس لما
ترنمت الحنين المعاني فكنت ممن شاقم الطرب . وساقم الادب . فظمت
قصيدة واشرت فيها الى هذا الهنا . فان اصبحت فبسعادة الممدوح وان لم
اصب فمن انا . والله تعالى يديم عزة وجناحه العلي . ويجعله كهفا للمتجملين
اليه ولن يستغيث ولن يخيب من لجأ الى حبه وقسال يا علي . وهذه
القصيدة الموعود بها -

اتاك هناء بالخندان مشاب وطابع سعد مقبل وشباب
اقامك فوق النيرين فمك يوم صعودا لمراقه رمة شهاب

فلا تخش كيدا من عدو فانه وحقتك من سهم القصاص مصاب
علوت على دست الرياسة يا علي فطئها كما تبغي خانت مثاب
تباشرت الدنيا بيسرك في العلا فكم كبد للحاسدين تذاب
وجددت بالدار الجديدة مرسما سماعن بني حنص حضرت وغابوا
وبالقبة الحمراء عيشك يانع يروقت منها سائح وشراب
منزل افراح لديك تجددت تشرف منها منزلة وقبساب
حالت بها كالبدر بين كواكب ونورك باد ما صلاه صباب
مفخر عن جد بجده وعن اب ورائته مجد ليس ذاك عجاب
وبابك مفتوح لتقصد مكارم وقد سد عن نيل المكارم باب
تهنا بهذا العز والدع طيسع لديك وهاتيك الحواسد خابوا
لك الله ما ابهى وابهر سوددا لغيرك عندي لا تشد ركاب
وان كنت في س الشبهة فالعدا وحقتك من صولات باسك شاابوا
وانك بحر المكرمات لمن يرد وغيرك فيه بلقع وسراب
لمن يرتجي صفوا لديك يناله وللهد يا نجل الكرام صذاب
اذا ما بدا بدر جالك طالعا تمد الى ذاك الجمال رقاب
ترفق فان الرفق منك سحبه واذك ما تدعو اليه يجساب
تروع ابطالا وثلاثن خائفسما واذك في ذي الحالتين مهاب
قباسك للأسد العريس مروع ولو مد ظفر من سطاء وناب
فكم من اعاد عن لثاك تحيروا وصاقت عليهم بيده ورحاب
وان غرقوا في بحر باسك فلتكن نكال طيهم ما عليك صباب
وان جنت الايام منك فانها انايت والجانبي لديك متاب
فلا تبتس من كيد ضد فانما عليك من المولى الرءوف حباب
ولا زلت عن رتب السيادة والعلی ورايتك في كل الامور صواب
وعمرک في عز وربعك عامر وربيع اعاديك البغاة خراب
وذكرک ما بين المحافل ذائع يغنى به لا زينب ورباب

فخذ من ثنائي ما استطعت فانه بجهد مقل قد جئنا صحاب
اقلد در المدح جيدك والتمنا كم الدر في جيد الملاح سحاب
فانت محل المدح ان جاء ماح وكل الذي فوق التراب نراب
واسا ذكرت هذه القصيدة وابتها في هذا المحل وجب علي ان اثبت
القصيدة التي مدحت به يوم لبس الخلعة السلطانية ، وخرج تحت الساجق
الملوكية ، وكان يوما من اعجب الايام ، وطلع بين الصفيين كالبدر من تحت
الغمام ، فقلت فيه -

بدر السما ام نور وجهك يزهر لما خطرت بحلة تنبخت -
هي خلعة خلعت فلرب حواسد لكن بها احبابكم تستبشر
فاعجب له من خلعة ديباجها يسبي العقول ونور وجهك انور
حل الجمل مع الجلال وزدتها من حسنها وجمال حسنك ابهر
ما حاس الرءءون حسنك بدي الا وحثك هلوا او كبروا
تحت المناجق قد بدا لالاوه نور على عام ووصفك اشهر
يوم لبست المجد كان تنساوه بين الخلائق في المحافل يذكر
م البدر في افق السماء ونوره باذي السناء فنور وجهك ابدر
قسوك بالشمس النيرة يا علي بين الكواكب في العلا تنبخر
لله سر في علاك وانهم يا كامل الاوصاف سر مظهر
ورايث نعمانا بخدك مشرق لى من بها تلك الشقائق منذر
وجهر الغرالة وانفال والمظمر تحت البهارق غير انك قسور
ولقد رقيت من المعالي رتبة الوصف بين الناس عنها يقصر
واستبشرت افاق تونس مذ بدا سعد السعود على المنازل يثمر
جبر السحاب الذيل عن ارجائها والرعد زمزم والحياء مشمطر
متن كان منلك في الرئاسة معرقا لايب فيه اذ يقول ويشخر
الناس من ماء وطين اصلهم فاعجب لذاك واصل جددك ضر
من جود الخال الزكي فلم يحجب نسلا ومثلك بالرؤسة اجدر

يا ذا البيت شاد حسن صنيعكم وروى ثناكم في البلاد المخبر
 الدهر منقاد لكم ما تأمروا طوعا لديكم أوردوا أو قصروا
 طاب الرمان بكم وزان بفعلكم كرمتم أو أخرجكم وطاب العنصر
 من قال نابر الكواكب في الوري فالفعل منكم في النجوم يورث
 المجد مجدكم وعبد ركا بكم مهسسا فعلتم قللوا أو كفروا
 عش يا علي في هذا مستقبل لا تحشني من دهرنا ما يحذر
 عطر الشا يروي عليك ولم يكن يوفي بحقك أن فخرت أطر
 الله أولاك البلاد فلم تسزل تسبي به ثوى الشوق وتدمر
 وهذه القصيدة لم تعرض على سمع الكريم وأدبها أضافت إلى مالي
 فيه وحسى أن نبت غيرها فيم يستقبل وسقدمت لي قصيدة أخرى
 وهي من القصائد التي عرضت على سمع ومحفلها تقدم ولكن نضمها إلى
 أحبابها وهي هذه -

وثقت بنصر الله تم لك النصر وعند احتباك العسرجاملك اليسر
 علي علوت الناس قدرا ورفعته تسعدك الدنيا ويخدمك الدهر
 فجعلك منصورا وانت مويستد وربك فعال وقد قضى الامر
 وان مكر الاعداء بسوء فعالهم فصاحب مكر السوء حل به المكر
 وما عذرهم والعفو منك سخيصة اكان نهر الكاف في غدرهم عذر
 لما يروا في يوم وسلاط ما جرى على صخرة لو كان يستخير الصخر
 وجر سبيب في سببته قسدهم الى اسرهم والعفو من به الحسر
 وقد غرست اوراقهم بعروسة وبعد عروس لا يكون لهم طر
 لك الله كم تعفو قبيح فعالهم ليس لهم عما مننت به شكر
 علي يا الهيجاء نكحوا لخواصهم حروبا فلا زيد هناك ولا عمرو
 فلا سيف إلا ما هزرت ولا فتى سواك لها يرجي اذا صعب الامر
 ويوم التقى الصفان يوم مجمل فاولم حشر وءاخرة نشسر
 بعثت لهم بالرحب كل كتيبة طيورا تؤم الحرب يقدمهم صقر

وجيش خيس بالكفاءة ثمسده
 على صافنات من جياذ سوابق
 قوادعها شهب لواحظها شمس
 وان كان جل القوم ليس لهم حجر
 بوارقهم برق اهلها البشر
 تمر بهم زحف وقد قصر العسر
 مذاقته هم ومطعمه مسر
 بخطيها والنقط يقبله السطر
 منقعة في السم نكهتها الخمر
 ولا عجب للراس مال به السكر
 وءاخر ملقى في جوارحه بسر
 الى احد من عظم روضه قطر
 وظل على الافاق ليس له فجر
 فكشفها رمي وفارقه السر
 زمان فعنهم نحبنا كم بكى الصخر
 فنكك لهم روع ومنهم لك العمر
 اذا كنت ممن شانه النظم والشر
 امام مقامها في علاه سرى البدر
 وبأي بلاد الغرب واتضح الامر
 يلوح على مرعى محاسنه البشر
 تمد بأعوام ويتبعها الدهر
 وفيه وفي مليه ينظم الشعير
 وهي قصيدة طويلة ولكن اقتصرنا على بعضها . وليس قضى الله تعالى ويسر
 بالسعادة عرضت على مسامحه و امايش من بعض محاسنه ومحاسن ابيه
 وجدة ولم يكن لي فضل فيما جعلته إلا اني انتقطت الجواهر من بحرهم .
 ونظمته في سلك الاماجد الذين من قبلهم . وان كان لهم التقدم بالسابقة

فان في الخمر معنى ليس في العنب وان كنت ممن ليس له يد بهذه الصناعة . واتيت الى سوق فضله بهذه المزجاة من الجماعة . فقبلها وقابلها بقبول حسن . جعله الله في بركات سمية ابي الحسن . فعمري بفضل واحسانه . واجزني جزئين بهذه ولسانه . وما عسى ان اقول في سن الهمة الله لتدبير الرعايا . واجرى على يديه الاحكام والعطية . اصلح الله حاله في دنيه وءاخرته . وعاءه كفاً من رحته . ولما عزم ركابه الشريف على التوجه بالمحلة كعادته ابتدا بزيارة الزوايا للتبرك كعادة ابيه وجده . فزار الشيخ سيدي محرز بن خلف والشيخ سيدي اب التسم الجليري والسيدة عائشة المنوبية وطاع لجبل الجبلار وصعد مقام الشيخ سيدي ابي الحسن الشاذلي على اقدامه تقبل الله سعيه وزار عدة اماكن اخرى واحسن الى اهله وبعث لعدة مشايخ بالاحسن . ثم رجع الى منزله بباردو واول جمعة من رجب الاصح دخل الى تونس وزار الشيخ سيدي احمد بن عروس وصلى الجمعة بالجامع الاعظم وعند اتصاله خرج الى زيارة والده ونطاولت الاغراق لرويته فدى حق الزيارة ودخل الى دار سكنى ابيه وجده وجاءه حاكم الرقة الى مكانه ففنى حقه بالتسليم ثم عاد الى منزله بباردو ويوم الاحد ثلث رجب توجه الى القنطرة واقم بها ثلثاً ومن هناك سافر الى عمله اعاده الله سال . وحيث ذكرت القنطرة وجب ان نذكر بعض محاسنها لانها من المستزعات العربية في الاقليم الافريقي . وهذه القنطرة من بناء جده الامام المرحوم برجته الله تعالى صاحب الخيرات والصدقات ابي المحاسن يوسف داي رحمه الله بناه من مله احتساب لله ليتفجع المسلمون بها وانفق عليها اموالاً جمة وكان بناءها سنة خمس وعشرين والعب فجماعت من احسن ما يكون وجعل بها ارحاء تدور بالماء وبني بها برجا لطيفا . ولما سار الى رحته ربه تولع بها حاديه نصر الطواشي فزاد فيها عمدة بسائيس ومن بعده تولع بها المرحوم احمد شلبي وشيد فيها المنارة الرفيعة واهتم بها غاية الاهتمام حتى جاءت صنع الله . ولما سار الى رحته ربه ووقعت الفس كاد ان يتلاشى حالها

فتداركها بعزمه وحزمه المكرم علي بابي فرادث محاسنها على ما كانت عليه
وصارت من الاماكن التي يضرب به المثل . وحدث احسن مما كانت قبل .
فلو نظره بديع مراكش لقننا له انت بدعة وهذا هو البديع . وان شمع ايوان
كسرى فانه تهدم ونلا هذا البنيان الرفيع . وان فخر النعمان بن المنذر بيناه
الخورنق والسدير . قلنا هذه القنطرة ومنارهم والوادي والغدير . كيف لا تفخر
هذه البقعة وهي دات المارة والقلب التي حيطانها ذات العماد . وشيدت
معابها ونزحرفت بالشرش المذهبة حتى قيل لم يخلق مثله في البلاد . وصنعت
العجب على حافتي الوادي . وجاءه طائعا فتبا لشهود الذين جابوا الصخر
بالوادي . وبكت حامة بدموع نواعرها وزاد حنينها لما صارت اختها بالغرب .
ودارت دوائر نواعرها وفقدت قلبها فهي تدور على القلب . وكان هذا
الدولاب الذي احدث بالقنطرة على طبع مجردة احسن مما عمل في حاة
واوى . وان كانت نواير حمة اسبق بالزمان فالآخرة خير لك من الاولى .
وهذه الابنية التي تمت محاسنها تذهب عن قلب ناظرها الوحشة . فلو رءاها
انوشروان لقال لصاحبها انت انا وهذه قصور الدهشة . فمن نظر الى تلك
التمائيل المصورة حكم بذوقه ان ليس لها مثل . ومن يزد الاكثار في وصفها
فعليه بالقال والقليل . وبهاء فردوسها يشوق ناظره الى فردوس الجنة . وبه من
الفواكه العجيبة ما لا يوصف وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ولم الفضل
والمنة . ولقد نزهت في تلك المحاسن . ونظرت الى عذب الماء الذي هو غير
هأس . وقد جرت جداوله ودخلت البستان فصر مروجاً . وتطلعت الى
المرج العالي المطل عليه فتلوت تبارك الذي جعل في السماء مروجاً .
ونظرت الى الكشك الذي في صدر الايوان وهو مطل على الخليج . فعابنت
من نقوشه وصنعتة التي اوتيت من كل حسن بهيج . فجعلت فيه مدة
اوقات تحسن ان تكون تاريخاً لمحاسنها . وتفاءلت بالسعد في
مصارع التاريخ وهو طالع السعد لسكانها . فقلت -

فسردوس قنطرة يا طيب الارج تبارك الله عن ذي المنظر البهيم

يسقى بماء معين من ينابيعهم فويسر التربة طيبا لنا لزج
ومنية النفس ملء العين رويته تنفي الهدوم على ذي الباطن المسبح
يا ايها الملك اليمون طلعتهم نفدى من الضيم بالارواح والمهج
نبارك الله عن لفظ يورخسها قد جاءك السعد في العالي من البرج
وهذه المسارة التي هي بالقطرة من اعجب المنزهات . واعجب من ذلك
السعادة التي حفت بها من هاي البايات . وكان الناظر على بنائه . المتصرف
في اتقانه برايه . البذل همته . الملازم خدمته . الواقف عند الاوامر
الشريفة . المشيد لتلك البنايات الميمنة . الناصح الوافي . عبد الرحمان
حرف الرفاعي . وهو من رجال الدولة العلوية . وله قتل ثاقب واخلاق
مرضية . وفيه طلاقة وجه ولين وعقل رزين والخدام يدل على المخدم . ولكل
مقام مقل معلوم . ولما حل ركابه الشريف به اقام ثلثة ايام . ورحل منها
كالهلال وعسى ان يعود كبدر النمام . فتوجه الى الكافي متوكلا على ربه .
فقال امنيته وبلغ ما اراد من اربه . ولقد سمعنا بيوم وصوله فكان احسن
وصول . ويوم دخوله قبله اهل البلاد باحسن قبول . وخرج الى لقائه ابن
خرطس وابن يوسف بمن معهما من جماعة الصبايحية . واديا حق الطاعة
فرصيت عنهما تلك الاخلاق الرضية . ودخل البلاد بهمة ملوكية . وتفرجت
اهل البلد في تلك الطلعة البهية . ولم يبق من اهل الكاف صغير ولا كبير
إلا من كان تحت اللحد . وكان يوما مشهودا سر به الشاهد والمشهد .
واطلعت البشائر في البرج وتكلمت بافواه المدافع . وتمشت اصواتها
واسمعت من به صمم وفالت هذا هو الفخر الذي ليس له مدافع . وبلغني
ان عدة المدافع التي اطلقت ذلك اليوم تنيف على السبعين . ولم يحص
احد عدد الزرايز والخزائن و بقيت من اول النهار الى حين . وتم الفرح بهذا
الفتح الجسيم . ذلك الفصل من الله والله ذو الفضل العظيم . ولما استقر في
دار سكناه . وبلغ ما تمناه . اقبل الناس بالسلام عليه . وما منهم إلا من
خصم وقبل يديه . وهنا نكثت تدل على ما فيه من الطرافة . ونعلم ان

اخلاقه مجبولة على السياسة والرافة . وهي ان جماعة من المتعصبين
 كانوا من بالحصار وحذروهم بطشه . فاراد بسياسته ان يذهب عنهم
 الوحشة . فبعث اليهم صاحب سره . الواقف عند نهيم وامره . المتخلق
 باخلاق العرب . المسمى الى العجم في النسب . الشيخ محمد بن الحسن .
 وكان شفيها بينهم في اول الامر وفي اخره بالغ فاحسن . وكان اهل الحصار
 في ريبة فازالها . وامانيهم متعلقة بالخوف فلك عقابها . ولما اراد عافته
 الحصار ان يودي حق الطاعة . وان يتسظم في سلك الجماعة . هبط من
 الحصار على وجل . وتردد خاطره بين الامن والاجل . فقال بعض اصحابه
 لمحمد بن الحسن سر معه ليحصل له الامان . فاقسم ان لا يبرح من مكانه
 الا ان يرجع صاحبكم حيث كان . وهذا من ظرفه وهو به امثل . والرسول
 صفته المرسل . ولما وصل الاشارة الى حضرة البايع قابله بنحسان . وجدد
 له ما كان اطاه قبل ذلك من الامان . وخلع عليه كركا كان اعدده له من
 قبل . ونشرت رايات العز على راسه وضرب الطبل . ورجع الى مكانه سالما .
 وبالقبول والاحسان من البايع غانما . وهبط بعده محمد الملقب كاهية الحصار
 المذكور . ومعه الاندلسية فقبلهم بالهبات والسرور . وكان دخوله
 الى الكاف في الخامس عشر من رجب الفرد . فنال من بركة هذا الشهر ما
 لم ينله احد . وبقيت البشائر ثلثة ايام . وظهر فيها من الطاعة ما ظهر
 من الصبيان في خمسة ايام . وفي السابع عشر منه تزوج بكريمة من كرام
 الاقبال . جعلها الله بالوفاء والبنين والاقبال . وطلع في العشرين الى الحصار
 وتفرغ في مناظرة . واحاط خبره بما فيه من اوله الى اخره . وانعم على من
 به باحسانه ولسانه وبالسبح في الاكرام وتصلوا بالاعتذار وهربوا من نار
 العصيان الى جنة الطاعة فصارت عليهم بردا وسلاما وهو متاهب للروح
 الى منزله ودياره . ليصوم شهر رمضان المعظم ويتملا من مأربه واوطاره . والله
 يبلغ لكل نفس مشتاقة الى روية اهلها . ويعيد شمس طلعه الى بروج
 سعادتها والشمس تجري لمستقر لها . وهما ما انتهى به خبري . وما املته

من ذكرى ، وبه انقطعت هذه الجواهر إلا من بحره ، ولا نعلت النظم إلا من
نثره . وإن مد الله في الاجل ، وجعل فسحة في العمر والامل ، لاجعل
كتاب مستقلا واشحنه بجميع مآثره ، وارصعه بדרر محسنه من اوله الى
آخيره ، ان شاء الله ، والله يبلع كل نفس ما تشاء .

الخاتمة

وفيهما اربعة فصول

الفصل الاول

قد تقدم في اول الكتاب التعريف بتونس وما نقلته من اقوال المؤرخين
هل هي قديمة او محدثة والذي صرح عنده انها محدثة مشى على قول
العلامة ابن السمعان ولكن لم يشف الغليل فيما نقله عن المؤرخين وهو
من العلماء الراسخين وكان في ايام ملوك بني ابي حنص واسط دولهم
وكانت تونس في زمانه في غاية الشرف مشحونة بالفضلاء والعلماء ومن
يقتدى بهم وصنف كتابه للخليفة ابي عمرو عثمان والعجب له كيف
رحي بهذا القدر اليسير وقصر في اماكن كثيرة ونهت على بعضها وعجزت
عن البعض لحشمتي منه لاني لست بكفو له . ولما تكلم على اصل تونس
وبدئته لم يستوف الكلام عليها إلا أنه قال احدثت بعد الثمانين من
الهجرة الى آخر ما ذكر وقد تقدم في اول الكتاب وعلت بعض امور ما
ذكره وربما ذيلت عليه وعلت ما قلته غيره ولكن بقيت امور تمس بهذا
المحل ناتي به ان شاء الله ونذكر بعض امور حدثت في هذه الدولة
التركية وبعض امور وقوانين احدثت بعد الدولة الحفصية وبعض امور
باقية على حالها كما كانت عليه الى ان نستوفي ما نستدر على جمعه
ليكون له من ياتي بعد ان شاء الله تعالى . وقد تقدم ان الذي صرح
صدي انه قديم من بناء الاول وانما فتحت في زمن حسان او في زمن
زهير على اختلاف في ذلك بين المؤرخين وانها كانت مسورة ولها خندق

يدور بها . ثم ذكرت ان المجاري على السنة اعلمها ان السور من بناء الشيخ
سيدي محرز وهذا القول عليه اجماع اهل تونس وكنت اعتذرت في الاول
وعملت قولهم بقولي واعلم جدده بعد المحنة التي وقعت على اهل افريقية
من ابي يزيد الخارجي وقد تقدم اكثر هذا الخبر والان اقول ان السور
الموجود في زماننا هذا هو غير السور الذي بناء الشيخ سيدي محرز رحمه الله
والذي بناء الشيخ دثر ولم يبق منه شيء والله اعلم واظنه هو الذي كان
دائرا بالارباش الذي منه باب الخضر وباب ابي سعدون وباب الاقواس
وباب الفلق وباب علاوة وغير ذلك مما هو معلوم عند اهل تونس وبشهادة
لهذا ما ذكره ابن السماع ان ابن تافراجين جعل نصف كراء المعاصر او
ثلثه وقف على بناء السور البراني وان الاوقاف التي هي الان على السور
من تلك الاوقاف والله تعالى اعلم . وبقيت من هذا السور بقية الى آخر
ايام بني ابي حفص لان احوال البلد تغيرت وتلاشت في آخر الدولة مما
كان يقع بينهم من الافنان والحن ونحن في طرف من ذلك نسال الله
اللطيف بمنه وكرمه وكذلك المكان الذي يقال له القلعة بمقربة من الجبارة
خرج الربيع القريب من مقابر الجلاز وانما سمي بذلك لانه كان ثلثة
في السور المذكور ولما دهم اهل تونس العدو من النصارى وفروا بانفسهم
خرجوا من هناك خيفة ان تؤخذ عنهم الابواب فخرج اكثرهم من هناك
فكان يقول بعضهم لبعض اخرجوا من القلعة او اخرجنا من القلعة وهذا الاسم بقى
الى اليوم . وسمعت ايضا هذا الخبر من رجل حدثني عن اذكر تلك الحادثة
والله اعلم بحقيقتها ذلك . وكذلك لم تكن تونس في اول امرها قاعدة من
القواعد لانها ان كانت مما فتح فتكون احوالها تلاشت او لم تكن عامرة
كغيرها وان كانت محدثة فقد تكون صغيرة في اول امرها ثم نزايد امرها بعد
ذلك ولكن الذي نقله ابن السماع مخالف لما ذكره لانه قل كان ابو جعفر
المصور العباسي اذا جاءه رسول من القيروان يقول له ما فعلت احدى
القبائل اعطيت لها وهذا مدل الى انها كانت في غاية العمارة في ذلك

العصر والله اعلم . وايضا لم اجد من تصدى لها او دون فيها إلا ما ذكره ابن
 السمعان او من تعرض لها غفوا من غير قصد ويمكن ان نكون فيها عدة
 درابين إلا انها فُهِيت في تلك الفس او ان عمالها كانوا يحتقرون اهل هذا
 الفن لحقارتهم عندهم ولكن ابن حلدون كان من علماء هذه البلاد وله تاريخ
 يعد من النواريح العظام حتى انه لما حصل في يد تيمور فما انجاء من شره
 إلا هذا التاريخ لغرابته ولولا خوف الملالة لاستوفيت قصته الى آخرها .
 ونرجع الى تونس فنقول انها كانت احوالها متلاشيت ولم يكن لها ذكر مع
 القيروان وانما ابتدأت في الزيادة والنمو لما سكن بها بنو الاغلب ولما
 تغيرت دولتهم ببني عبيد كانت دولتهم بالمهدية والمنصورية والقيروان ولما
 تملك صنهاجة على افرقيت كانت عمالهم بتونس وصحت عليهم غير
 مرة وقدم اهلها احمد بن خراسان ورضوا به فكان يذب عنهم وبنيه بعده
 فكانت احوالهم مثل الشانبيين بالقيروان واحدهم الشيخ الذي بمثربة
 السكاجين بازار دار الحاج محمد لاز والناس يقولون انه من السلاطين
 العادلين ولم اقف له على ترجمة لاصحح خبره . ثم لما اراد الله باصلاح
 حالها قامت بها الدولة الحفصية فعظم قدرها بين البلاد وما ذلك إلا
 لانهم قاموا مقام الخلفاء وخطب لهم بامير المؤمنين وجعلتهم البيعة من
 الاندلس ومن مكة شرف الله تعالى قدرها سنة سبع وخمسين وستمائة
 فحيث صمخ امر تونس وشدت اليها الرجال وهجر اليها من كل البلاد
 وكنت متشوقا الى الكشف عن هذه البيعة واي شيء كان سببها وسالت من
 له اعتد بعلم التاريخ فلم يكن عنده جواب الى ان فتح الله علي بعد زمان
 وذلك ان الخلافة العباسية كانت ببغداد وانقرضت في سنة ست
 وخمسين وستمائة على ايدي التتار لما قتلوا الخليفة المعتصم وبقيت بلاد
 المشرق ثلاثة اعوام بلا خليفة الى ان بويع بمصر الخليفة العباسي سنة
 ستين وستمائة وكذلك بلاد المغرب ضعفت بها الخلافة الموحية وانهدمت
 قواعدها فاحتج الناس الى خليفة فلم يكن اقرب منهم لما ادعوه من النسب

وأنهم من قريش من بني عدي من جماعة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فحينئذ ارتفع ذكرهم وعمرت البلاد وجاءها الناس من اقطر الارض وكثرت
علموها وانتشر ذكرها في الافاق بحيث اذا قلوا علماء افريقية في هذه المدة
انما يعنون بها تونس . وكان بنو امي حفص يجعلون العلماء ويحافظون
على الشرع ممثلين لامر واخبارهم في ذلك شهيرة . وكان بتونس اربعة
من القضاة قاضي الجماعة وقاضي الانكحة وقاضي المعاملات وقاضي
الاهلّة وقاضي الجماعة عبارة عن قاضي القضاة بالشرق . وكان بالمحصرة عدة
من المفتين فمنهم من يكون متصداً لها بالقلم ومنهم من يتصدر للاخبار
فقط وانما تنفذ الاحكام على يد قاضي الجماعة يتصرف في الاحكام الشرعية
من غير مطلع عليه . وفي المائة التاسعة ظهرت رتبة المفتي وصارت
ارفع درجة من درجة القاضي واذا اشكل على القاضي بعث الى المفتي
يسأله ولاسيم في هذه الدولة التركية فان القضاة تحبهم من بلاد الترك
والغالب عليهم العجمية ومذهبهم مذهب الامم ابي حنيفة رضي الله تعالى عنه
واهل المحصرة على مذهب الامام مالك امام دار الهجرة رضي الله عنه فاحتاجوا
الى نائب يكون بين يدي القاضي فيكون بمثابة قاضي الخصومات
والقاضي التركي مقام قاضي الجماعة . وكان بنو امي حفص يجعلون
يوم الخميس لاجتماع القاضي والعلماء في مجلسهم وتنفيذ بين ايديهم لاحكام
الشرعية وذلك في كل اسوع وتلقى بين ايديهم المسائل المعضلة والمباحث
بين العلماء والاحكام تتصرف بين يدي السلطان ولا يقع بين يديه من
الاحكام الا ما هو مشهور بين العلماء وذلك المجلس ساعة من نهار وبقي
الايام يتصرف القاضي في احكامه في دارة او مكان يختص به . ولما جاءت
الدولة التركية وصارت القضاة من تلك الديار كما قدمنا احتاجوا الى
مجلس كما مرث به العدة فجعلوه بين يدي العامل وهو المعبر عنه بلبشا
بلغتهم فيجفل في مجلسه في دار الخلافة وهي التي يقال لها دار البشا وان
لم يحصره بالخليفة الذي لم يحصر القاضي والمفتي ونقيب الاسواق

تبركا بالنسب الشريف وتلقى بين أيديهم المسائل المشككة وذلك لما جرت به العادة والعمل بالمحضرة أن المدعى عليه إذا لزمه شيء عند القاضي وخاف من الميل عليه يقول أنا بالله وبالشريعة وبالمجلس فتوقف أمره إلى يوم الخميس فإذا حضر اليوم المعلوم رضى بما يحكم به عليه هذه القاعدة إلى يومنا هذا وبزيادة وأنه لما صار المحاكم بها كما قدمنا سردا على العسكر وأنه كالناظر على العمل وهو الدولاني بل أن العامل لا حجة له معه صارت الأحكام تنصرف في المجلس وبعد تمامها يخرجون بأجمعهم القاضي والمفتيون ويمضون إلى دارة ويخبرونه بما وقع وبجميع ما حكموا به وربما يتوقفون في معضل لا يتم أمره إلا بين يديه أم لشغب بين الخصمين أو لالتجاء أحدهما ببعض الأمراء فلا يتم إلا بحضرتهم وهلم جرا . وفي الدولة التركية كان يحضر بهذا المجلس المذكور أربعة من المفتين حتى إذا مات أحدهم قام آخر عوضه إلا أن في يوم هذا ليس بها إلا مفتين لا غير . وفي أول ولايتهم لم يكن لهم مفتي حشي إلا القصبي وكان الشيخ محمد بن أبي ربيع ممن يتعاطى حل المسائل من مذهب أبي حنيفة حتى نشأت منهم جماعة تعاطوا المذهب هناك وذاع بينهم وشاع فقدموا مفتيهم على مذهب الإمام أبي حنيفة وأول من تصدر لهذه الرتبة الشيخ أبو العباس أحمد الشريف الحفي وذلك بعد الأربعين والالاف . وأما الذين على مذهب الإمام مالك ابن انس فكانوا في أول الدولة أربعة ولا يتقدم أحد لهذه الرتبة إلا صاحب ثدين وهاتف وكذلك الباشوات الذين كانوا في أول الدولة عليهم كان على منهم وفيهم من كانت له خبرة بالعلوم وسمعت ما حكى عن أحدهم وهو فاضلي باشا وكان بعد العشرين والالاف من الهجرة وهو آخر باشا كان مقامه بالقصبة ولم يحكم بها أحد بعده من الباشوات كتب بين يديه كاتبهم تذكرة لمن يتعاطى حسابات المعاصر فكتب هذه اللفظة بلسين فقال المعاصر . ولما وقف الباشا المذكور على هذه الكلمة قال يا حسرتاه على فاضلي باشا كاتبهم لم يفرى بين السنين والصدد وهذا دليل معرفته ونسبته رحمه

الله فإذا كان الباشا بهذه المماثلة فاحسب أن تكون العلماء أعلى من ذلك
وكانوا إذا حضروا بالمجلس إنما يكون منهم الاختبار بالأمور الشرعية إذا
سئلوا عنها وينفذ أحكامهم حاكم الوقت . وأول من أظهر لهذه الرتبة تعظيما
وزادها بهشامته نفخهما الشيخ أبو الحسن النفثاني ابن الشيخ سالم النفثاني
وصكان الشيخ سالم مفتيا في أول الدولة معاصرا للشيخ قاسم طوم والشيخ
ابراهيم والشيخ محمد قشور وكلهم على طريقة حسنة رحم الله الجميع . ولو
نسبنا أسماء من ولي منهم الفتى لعجزنا من حصرهم لفوات عصرهم ويعز علي
إذا لم أرهم وإنما أذكر من أدركته وشاهدته والشيخ أبو الحسن من رأيته
وكانت بينه وبين والدي صداقة وكان طيما الحجاب رفيع الجانب وعاصره
في وقته الشيخ أبو يحيى الرصاع وتصرف في حياته والشيخ محمد أبو ربيع
وهو ممن شاهدته أيضا وكان صديقا لوالدي والشيخ أبو الحسن أنفذهم كلمة
واملاهم جديا فكان يصرف في المملكة تصرف الوزير المستشار بحيث
أنه في أحكامه - إذا قالت حذام فصدقوها - وتسام البيت معروف .
وكان قبل ذلك أهل المحصرة إذا ترسب على أحدهم حق بالأحكام الشرعية
وحكم الحاكم أو أفتى المفتي بغير المشهور رفع أمرة إلى بعض العلماء فيخبرونه
بما عليه العمل وربما اطاعوه على محل البازلة أو يقولون له المسألة في كتاب
كذا وفي موضع كذا وإن كانت له خبرة أو فقه على مسئلة ثم إذا حضر
بالمجلس السري نكلم بهجته وقال مسألتي كذا وكذا وتقع المشاجرة بينه وبين
من قال بخلاف قوله وهذا مما يتجرب به العوام على أهل العلم ولما سافر الشيخ
أبو الحسن المذكور إلى الديار الرومية في مهم اقصى رساله جاء معه خط
شريف من الباب العالي وأنه لا يسأل عن نص أفتى به ولا يرد ما حكم
به فنحسمت هذه المادة ولم يتعرض أحد لذلك فيما بعد وبه جرت العدة
إلى يومنا هذا ولم يزل في رتبة عالية مدة حياته ومات من كان معاصرا له
وانفرد بالكلمة هو وأخوه الشيخ علي النفثاني والشيخ محمد النفثاني . ولما
كانت سنة تسع وأربعين وألف وشي به عند حاكم الوقت يوسف داي .

وشدعت على الشيخ أبي الحسن مسائل شنعها عليه بعض الكفرة لئلا
 فتغير عليه حاكم الوقت المذكور فخرج الشيخ إلى ناحية المشرق لزيارة
 النبي عليه الصلاة والسلام فمات في الطريق في مكان يقال له الينبع وقبر
 هناك وقبره مشهور وقام أخوه مقامه من بعده . فلما تولى اسطامرااد الدولة
 فكبهما وأقام بدلا منهما الشيخ أبا الفضل المراتي والشيخ أحمد الرصاع
 وكانت بين الشيخ أبي الحسن والشيخ أبي الفضل المراتي صفات في
 النفوس موجها حب الرئاسة فلما حلت بخويهم هذه النزلة كان من
 إفتي بقتلهما فضلا عن العقوبة ففجأهما الله وصودرا بالمل . ولما تولى أحمد
 خوجته منصب البدايات بعد اسطامرااد طلبا منه الاذن إلى الحج الشريف
 فأذن لهما ولما بلغا إلى الديار المصرية والحجازية كتبوا مولا على حسب
 النازلة التي نزلت بهما وبعد إفتي به الشيخ المراتي فافتى عليه المشرق بما
 وافقتهما وبعد تمام الحج رجعا إلى الديار الرومية وعرضا أمرهما على الأبواب
 السلطانية فقبلت هجتهما وكنت الأوامر على وفق مرادهما وأقام الشيخ محمد
 في تلك البلاد وترقى إلى رتبة الموالي إلى أن مات هناك في حدود السبعين
 والالف وله عقب هناك ورجع الشيخ علي النفائي إلى تونس واستقل بمنصب
 الفتيا من غير منازع وعزل المراتي وصاحبه أحمد الرصاع ولم يزل في رتبته
 فأخذ الأمر وموافقهم في المنصب الشيخ أحمد الشريف الحنفي السابق ذكره
 ومن بعده الشيخ محمد بن مصطفى الأزهرى فزىل تونس إلى أن مات الشيخ
 علي في حزة بعد الستين والالف فعند ذلك استقل الشيخ محمد بن مصطفى
 وانفرد بالمذهبين إلى أن توفي الله سنة ست وستين والالف . فاقم بدله
 الشيخ مصطفى بن عبد الكريم فتولى رئاسة الحنفية لا غير وأعيد الشيخ
 المراتي والشيخ الرصاع إلى مكانهما . ولما كانت سنة أربع وسبعين صرف
 الشيخ مصطفى من ولايته الحنفية وأقيم بدله الشيخ أبو المحاسن يوسف
 درغوث فباشر المنصب بشغف وأمسك وصلابة في الحق ووقوف عند الكلمة
 فكانت تحدث من الشيخ المراتي هفوات يأخذها عنه الشيخ يوسف

المذكور ولم يتم له قولاً ويعرضه في سقطانته الى ان تسبب في عزله
وبقي معه الشيخ احمد الرصاع وليس له مع الشيخ يوسف إلا الاسم والشيخ
يوسف صاحب الحل والعقد الى ان مات في الواقعة المتقدم ذكرها رحمة الله
عليه . ولما قدر الله تعالى بالطامة الكبرى وهي الواقعة التي كانت بين
العسكر والمرحوم مراد باي وقد تقدم ذكره كان الشيخ المسراقي احد اسبابها
وهو الكاتب من املائه الحجّة التي شنت عليه فلم يتم ما اراده وانتصر
الباي المذكور وعاقب سن عاقب عن بيئته وعفا عن عفا عن بيئته صادر
الشيخ المسراقي وفكبه واراد قتله فشفع فيه صهره ابو العباس الشيخ احمد
الشريف فشفعه فيه وذلك سنة اربع وثمانين . ثم ظهر للمرحوم بوجه الله
مراد بي ان يولي هذا المنصب الشريف لمن يكون اهلاً له فوقع اختياره
على شيخ الوقت بالاطلاق . ومن شددت الرجال اليه من جميع الافاق . الشيخ
العالم العلامة . الحبر الفهامة شيخ مشايخ الديار التونسية . ومن يشار اليه
بالبنان في العلوم الموسوية . ومن تفتخرو به الفضلاء من امة محمد . ومن سعى
بسعيه المشكور وعلمه المبرور وادركته بركة سمي لما سمي به محمد . المتفنن
في العلوم العقلية بما رواه عن النفاة . المتصرف في الغوامض العقلية بممارسته
العلوم وبالحفظ والنسب . الذي طلع في سماء البلاغة بعلم البيان فظهر
القطب . ونحو المعرفة فافخرنا به العرب . الهدم الامجد الشيخ ابي
عبد الله محمد المدعو بفتانته . سلم الله من كل الحوادث ذاته . وصرف عنه
كيد الكاهين . ومنتع احبابه بعلومه الشريفة وحياته الى حين . وبشهادة
الله لم استوف حقه فيما قلته . ولم اك من المتعصبين في مدحه بما
قلته . ولم يكابر إلا تس طع على قلبه . وانقطع سبه من سبه -
ومن يقل المسك ايس السذا كذبه في الحال من شمه
ولما عرض عليه المرحوم مراد باي ان يتولى هذا المنصب ابي ذلك . وامتنع
من التعرض لهذا الامر الخطير والدخول في صيق هذه المسالك . وتقرر
امتناعه عند اهل البلاد فعظم عند الناس قدره وزاد مكانه وعظم الخاف والاعلم

ان تمنعه نزلها وديانته وكنت نطفلت على ذوقه السليم بان منحه بعدة
ايات وقبيلت سبائك ابريرة بها سبكتهم من مناقيل التماس فسترني
بستائر حلمه وهكذا فليفعل الناس بالناس وارث ان ايت بعض ما قلتم
على جهة الاينس وتغرات في اول القصيدة لمساعدة كنيته على الروي قلت
بديع المحسن لو ابصرت ذاته رايت المحسن مجموعا شتته

وانا مستمر في تغزي الى التخلص وهو المراد وفيه اشارة لاعراضه -

فاعرض جاقبا وازور عيمني اما اعرض عن الفتى فتائه

ولولا خفية الاطالة لايت بها ، ثم بعد ايم اضطر السبي اليه لانه لم
يجد من هو افهم منه سلم الله له كان يعرف من دينهم وطوره على غيره في
منصبه فالزمه على كره منه وهذه كانت نعت من حسنات البدي رحمه الله
فامتثل لامره ذلك ، ووضي بما قصي به الملك ، فسر به اهل الصلاح
والسداد ، واقتدوا به الى طريق الرشاد ، فحذفتني اريحة ادبية ، ومنحته
بقصيدة رائية ، وجاءت براعة استهلالها وتخلصها صنع الله الذي اتقن كل
شي ببركة نيته الصالحة ، ومطلع القصيدة وفيه نغزل ونورية حيث قلت -

تمنع يوم الوصل واستعظم الامر واعرض اجلالا فقلت له صبرا

مليح جرى ماء النعيم بوجهه وفي كل قلب من حرارته جرا

ورحمت وانا مستمر الى ان تخلصت وانه من المحال العجيبة التي
حصلت لي ببركته ايضا فقلت -

تعلم من شيخ الانم تمنعسا ولكن ولي الامر الزم جبرا

ولا يخفى على اهل الادب ما اشرت به في قولي تمنع واستعظم وفي التخلص
ولكن ولي الامر الزم جبرا فلا يخفى هذه الكلمات إلا على اكمل لا يبصر
القمر وما اطلت من ذكره إلا بما يستحقه من الفضائل ولم ابلغ الى كنه
وصفه والحق يقدر والشيخ المذكور ممن اعتقد حبه في الله لا شيء إلا
لشرف علومه وان كنت حرمت ان اغتروا من بحره ولم يساعدني الحل
ان التفت من درره فلقد اصيبي واذ من وابله وذلك ان سجله السعيد النقيب

الشهاب الأنجد الشيخ أب العباس أحمد ابن الشيخ المذكور عندي لم يد
افادني بمسائل فتق دعني بها واستفدت به زاد الله في حسناته وهو من
ترجى له بركة أبيه ان شاء الله لانه تصدر للتدريس في حياة والده ولم
مسائل دقيقة على كتب العلوم وعدة علوم زاده الله من فضله وكذلك اخوة
ابراهيم ممن احبه في الله ويحبني فيه واظن ان شاء الله ان والدهما كذلك
ولولا خشية الملالة لاملت في مناقبهما عدة كراريس وفي هذه النبذة كفاية
واحلف بالله ما رقت هذه الكلمات الا بوقحة مني لاني لست من اهل
التعرض الى ذكره . ولما تم له من الامر بهذه الرتبة ما تم بشرها بتواضع ووقار
ولم يغير من هيئته بل زاد في تواضعه يقضي حوائجه بنفسه ويباشر اموره
لا يكلف به احدا ولم ياخذ على ما يكتبه اجرا عامله الله بنيتهم وحفظهم
في ذريتهم . واعجب من هذا انه لما امتحن في الواقعة التي سلمه الله منها
بسعائت الكاهين لم قبض عليه وعلى الشيخ يوسف درغوث وقد تقدم ذكرهما
وقتل الشيخ يوسف ونجى الله من ذلك الشيخ محمد المذكور كل هذا من بركته
العلم الشريف لانه لم يدلس فيه ولم يدنس . وكنت كتبت له رسالته
هنيئته ولكن لم تصل اليه ومنعتني منه الحشمة وافتحتها بقولي سبحان الذي
اسرى عبده ليلا والحمد لله الذي انزل على عبده ان اسر باهلك بقطع من
الليل ان منجوك واهلك الا امراتك والهم عدة لما حصل في وثاق الاعداء
ان فر من بين العسس فكتب له النجاة الا واعوذ بالله من قوم ليس لهم
عهد يعد ولا ذمة لدمهم ولا يراعون فيكم الا وهي طويلته اضربنا من ذكرها
وهو حفظه الله تعالى ملازم للاشتغال بالقرأة وله عدة دروس في الجامع الاعظم
وفي مسجده بمقربة من كتاب الورير وفي داره هذا مع اشتغاله بما ينفع
الناس اذهب الله تعالى عنه الكدر والوسواس والباس . ومن نيته الصالحة
ان جعل الله رفيقه المفتي على مذهب الحنفية الشيخ اب السعادة عبد الكبير
ابن المرحوم الشيخ ابي المحسن يوسف درغوث قدم بعد وفاة والده لخطبته
مع المرحوم يوسف داي ثم قدم للعنقا بعد تمنع واستغاف فصار بسيرة

مرصية . ولم تجر احكامه الا على القواعد الشرعية . وهو في منقوان العتاب .
ولم تظهر له صبوة في السابق يلزم منها العتاب . وهو حفظ الله من
أهل الصلح بين الخصمين . ومالب اوقائه في المساعدة بين الناس بلا
مين . وكان تقديمه اول سنة تسع وثمانين والف عن كره منه وجوه
على ذلك علي باي لطف الله به وهو حسنة من حسناته كما أن رفيقه
حسنه من حسنت والده رحمه الله .

الفصل الثاني

فيه حوادث ظهرت في الديار التونسية غير ما كانت
عليه في الدولة الحفصية

كانت ايام بني ابي حفص في اول بدايتهم من غرر الايام . وانتشرت
دولتهم حتى عمت بلاد الاسلام . وتقدم من ذكرهم ما فيه كفاية . ولكن
فاقي بطرف من ذلك ليكون خبرة لاهل الدراية . وكانت دولتهم على
اسلوب العرب وعدتهم الرماح والسيوف والنبال ولم تكن المكاحل ظهرت
في مبتدا امرهم وانما ظهرت في آخر ايامهم في ايام الفش الاحول صاحب
قشالة لعنه الله ومن هنالك اخذت صناعته في الزيادة الى ان كثرت في
غالب المعمور . وكانت صاكرهم يدعون بالموحدين لانهم من اتباع ابن
تومرت كما تقدم ذكره لانهم سماهم بالموحدين لرعيه انه قائم بالتوحيد اي
بكلمة التوحيد وجعل لاصحابه توحيداً بلسان البربر فمن لا يقوم بحفظه
لا دين له فبقيت اشياعه من بعده على دعوته واقتدوا بامامته . والطبقة
الاولى من بني ابي حفص امتد سلطانهم من تلمسان الى طرابلس الغرب
ولما انتشرت دولته بني عبد الموم من بلاد المغرب وكثرت الفتن بين ابناء
الخلافة منهم تسمى بنو ابي حفص بالخلفاء وجاءتهم البيعة من الاندلس
وغيرهم وجاءتهم ايضا من مكة المشرفة لعدم الخلافة بالشرق ولم يزل امرهم
على احسن حال حتى وقع بينهم التماسد وانقراض الكلمة فاخذت دولتهم في

الادبار الى ان كانت دولة السلطان محمد بن الحسن خرجت طرابلس عن حكمه واخذها عسكرة ال عثمان وكذلك الجزائر ولم يبق بيده الا تونس وبلد العناب . وفي ايام ولده الحسن ناقضت القيروان على ايدي الشايبين وناقض القليبي بسوسة والمهدية . وفي ايام السلطان احمد بن الحسن وصل العسكر العثماني الى المحمدات وطالت ايام السلطان احمد في الدولة واحيي بعض ما درس منها وكان عسكرة لا يزيد على الف فارس وسماهم الزمزية ويركبون الخيل وكان مغرما بالنجيم واهله ومعلوم الاجفان وكانوا يخبرونه بزوال الدولة منه وتصير الى قوم لغتهم اعجمية الا ان سلطانهم يمشي على الاقدام لا يركب الخيل فذهب به رايه كل مذهب فلم يجد ملكا على هذه الحالة فانخذ جنودا من العبيد نفاولا وصارت لهم دولة يثقل لها الدولة الجناوية ثم قتلهم وكذلك سمي مملوكا له علي باشا نفاولا له كان يحذره والله غالب على امره ، ولما جاءت الدولة التركية طهرهم كان يحذره لانهم مشاة على الاقدام وكبيرهم الذي يقال له الداي كذلك فهو بمنزلة السلطان على الحقيقة لانه المصروف بحكمه في الاقاليم فصحت الاخبار التي اخبر بها ولما تمكن حكمهم ودانت لهم البلاد انخذوا اصطالاحا واحذروا امورا غير ما كانت عليه اولا فمن ذلك ان لهم جماعة يقال لهم اوده باشية واحدهم اوده باشي معية راس الدار لانهم يقدمون المصطفى اليه ولعظمة اوده هي الدار وبشي هو الراس واصلمه باش والياء زائدة عندهم الا انها كاحد الصنائع وتحس يد كل واحد منهم جمعة نحو العشرين واكثر واقل ولهذا الواحد الواحد النظر على جماعة واعلى من هؤلاء جماعة يقال لهم بلوك باشية واحدهم بلوك باشي والبلوك اسم للجماعة والباش للرأس كما تقدم ومعناه راس الجماعة وهو اعلى من لعظمة الاوده واعلى رتبة منه وكلهم بالترقي فمن الاوده مبشي الى بلوك باشي ومن البلوك بشية يصير اعنتهم وهو كبيرهم لا يصدرون ولا يردون الا عن مسورتهم وكان لاغنة في مبتدا امرهم بانيه الاوامر السلطانية من الباب العالي من عند الاغنة الذي هناك دسم انحرقت هذه القاعدة

فصار يلي هذه الرتبة اكبرهم ولم يحتاجوا الى امر سلطاني وعدة الاودة باشية قبل اليوم مائة وخمسون ولما نزايد العسكر زيد فيهم ايضا فعددهم في زماننا مائتان واذا نقص واحد منهم خطوا بدله ولهم لباس يتميزون به عن سواهم ولهم اقبيصة باكام طويلة واسعة من عند المرافق وهم الكم ضيق ويضم عند الكوعين بصنعة محكمة وعلى رؤوسهم طراوير من الجوخ بصناعة مكشفة يمتاز بها ويمتاز البلوك باشي بعمامة يكبرها قليلا فيعرف بها وكذلك الامة له عمدة مفردة لا تكون لغيره ولها رحل مكلف بصلاحها ومن تحتها جماعة يقال لهم ايم باشية معناه الحجّة الكبرى لهم علامة على رؤوسهم يقال لها اسكفة مزركشة بالتصعب يلبسونها سادة من نهار في مواكبهم وهم ركبن امام عاقتهم . وكان في اول الامر الحكم للافة والجماعة التي ذكرنا الى ان كان من امهم ما يقدم عند ذكر مقل الملوك باشية وتوليت الحكم الدولاتلي فصار غالب الظور في الاحكام له الا ما قل ولهم مكان يحضرون فيه كل يوم سامة من نهر فيحضر الامة وهذه الجماعة المذكورة في ذلك المكان ويسمونها دار الديوان ولهم شواش ستة ولباسهم مثل الاودة باشية الا ان الذي على رؤوسهم فيه بعض خلاف فيعرفون بذلك هذا اجتماع في المكان المذكور جلس الامة على كرسي في الصدر ثم الذي يليه بحيث لا يتقدم احد عن رتبته ولهم كتابة وترجمان ولهم اربعة من اكابر الاودة باشية يقال للواحد منهم بش اودة معناه كبير رؤوس الديار ويصلون الى هذه الرتبة بالترقي ثم اذا انفصل عن هذه الرتبة صار من البلوك باشية ويترقى الى ان يلي منصب الامة وصادة الائمة ستة اشهر لا يخرج من بيته الا الى الديوان او في يوم معلوم ثم اذا جلس في الديوان يكون اكبر الشواش قائما بين كتفيه والترجمان براء الائمة فاذا اخذوا مراتبهم قام غطيهم فدعا بدعوات للسلطان والعسكر وقرئت الفاتحة ثم يخرج مناديه عند الباب يقول من له دعوة فليدخل فاذا دخل قابله الترجمان واخذ دعوته من لسانه ثم ياتيها للائمة ثم ينادي مناديه الى البش اودات الاربعة فيحضرون

بين يدي الاغتة ويعرض عليهم تلك الدعية وان كانت من الامور الشرعية ردها الى الشرع وان كانت قنونية فعلوا بأرائهم او بما جرت به العادة بينهم وان كانت مسالمة معصلة اخروها الى مشورة حاكم الوقت وان كانت صدرت من اذنهم امضيت فاذا تمت احكامهم حط لا كابرهم طعام اكلوه ثم يصرفون الى ما ربههم الا ان اغتتهم يروح الى بيته واذا اقترب ذلك الجمع انصرف من اكبرهم جماعة مثل الخوجات واكبر الشواش ومضوا الى حكام الوقت فيخبرونه بجميع ما حكموا به الا النادر الذي لا يعبا به هكذا دأبهم كل يوم الى انتضاء مئة اشهر يعزل ذلك الاغتة ويقوم مقامه الذي يابه وهم جرا ولهم مواكب يظهر فيهم ابهة الملك وينشرون ندموسا للسلطنة وذلك انهم اذا ارادوا اخراج المحلة على حسب العادة نادى مناديهم وهم الشواش برصكبون الخيل ويلوجون في الاسواق ويخبرون جماعة العسكر ويأمرونهم بالتأهب للخروج ومن الغد يصبحون وقد لسوا عالت حوبهم ويجمعون عند باب القصبه ويكون الحاكم هناك ثم يبضي الاغتة والادوة باشية الى دار الخلافة ويحضر هناك الخوجات الذين يحملون البيارق فينشرونها ويحضر الباي العين او خليفته فيخلع عليه الشاشا خلعة سلطانية ثم يخرج كاهية الباشا معه وبين ايديهم الشطار والايك مشاة على لاقدام وتنشر الرايات الملوكية وتدق النوبة العثمانية بلطبول والانقرة والرنجهارات ويخرجون بدب وسكينة مصطفىين من دار الخلافة الى باب القصبه ويكون العسكر قد اجتمع هناك فاذا قرب الديوان اي الجمع الذي فيه الاغتة والباي الى باب القصبه قام الداي بنفسه ان شاء ومشى في اول الصف وان شاء قدم احد الاكابر من جماعته وامره بالمسير عرضه وذلك تعظيما له بحيث يكون هو المتصرف تلك الساعة وامره نفذ على ذلك الجمع فاذا خرجوا من المدينة الى طاهرها حيث يكون الوطى والاختية المهيئة للسفر دخل الباي والاغتة والجماعة المستعدة للسفر ورجع البايقون الى البلد ويكون قد تعين على المسافرين منهم جماعة يعطون الاحكام في السفر مثل الاغتة

والأودة باشية والبلوك باشية ومن يقوم مقام الداي فيهم مدة إقامتهم في
السفر إلى أن يرجعوا إلى المحضرة ولهم ادب في رحيلهم وإقامتهم وأمر آخر
أصربنا عنها فذا وجعوا من سفرهم بعثوا رسالا يخبرون بوقت مجيئهم
في يوم كذا فيتأهبون للقاءهم على العادة التي قدمنا إلّا أن في يوم دخولهم
زيادة على ما ذكرنا وذلك أن العسكر الذي يخرج من البلد إذا صاروا من
خارج المدينة ونقابل العسكران يجعلون هروزا وهو أن يرموا بمكاحلهم ثانيا
ثم يجيبهم المسافرون بثلاث ثم يجتمع العسكران ويدخلون البلد ويكون
يوما مشهودا تجتمع الناس لمشاهدتهم ويمضي أكابر العسكر إلى دار الخلافة
ويخلع هناك على الباي أو على خليفته خلعة سلطانية ويرجع بأكابر الديوان
إلى منزله وتبقى هناك الطبول ساعة لم ينصرف ذلك الجمع فكذا دأبهم
في كل عام مرتين وهذا الدموس لم يكن مثله في البلاد الغربية التي تحت
إيدي العساكر العثمانية . جعل الله إعلامهم بالعدل منشورة . وأحكامهم
بالتوفيق مذكورة . وجعل سيف هذا السلطان قاطع في رقاب الكافرين .
٢٠ : انشأ لأصلاح الدين *

الفصل الثالث

فيما تميرت به الديار التونسية

وما تفتخر به بين أحيائها

اعلم أيها الواقف على هذا المجموع أن لتونس مآخر جمة لو استقصيها
لطال بنا المجال وخرجنا عن الحد ولكن فإني من كل شيء بطرف . وقد كانت
قبل هذا الزمان في غاية من الشرف . وأهلها في النعم والترف . بحيث
لم تكن بلد تضاهيها . ونفوس أهلها مطمئنة بآمنها وأمانها . وكانت محط
الرحال . ومبلغ الأمل . إلّا أن في زمانه هذا نالها أكثر نعمته . ولكن
بقيت منها بقيته ستلى عليك لتعلم تميزيتها . وإذا افتخرت مدينة من مدن
المغرب فما أحق الشكر بتونس . وإذا حل بهم غريب نال الشانس من

نونس ، والدليل على ما كانت عليه من رفاهية أهلها في القديم وثبتت إداره
حوار غالب أهلها كانت لهم حصا ت وبساتين يخرجون اليها بعيا لهم في زمن
الصيف والخريف وتكون النسل في اسواقهم يتعاملون الى اخر النهار ومبيتهم
في بساتينهم ومن الغد يسكرون الى البلد ولهذا كان سوق الربع وهو اكبر
اسواقهم لا يفتح إلا بعد طالع الشمس وجرت هذه العدة الى اليوم ولهم غير
ذلك من الاعياد والمواسم والتفاخر بالاعراس الحفلة واطهار النعم حتى بالمأتم
وناهيك ان اعيادهم مشهورة فمما يستعملونه في ايام العيد من الحلوات
والاطعمة التي لا توجد إلا في الحاضرة المقروص اذني يتفخرون به وهو مشهور
بينهم لا يحتاج الى تعريف وهو اطيب حلواتهم وليس بعده شيء حتى اني
التقيت بهن اكله في الحاضرة وعجبه غاية الاعجاب فقال عجبت ان في
بيته المقروص كيف ينام الليل وكذلك اللحم الذي يسمونه المروزية نسبة
الى مرور مدينته ببلاد العجم يطبخونه بابزار تملوح لها قيمة ويرون اكلها
عقيب الصوم من التطيب وكذلك الخمر اعلوم في اعيادهم لم ير مثله في
العمور ويتفخرون بعظمه وتقونه حتى ان الرغيف الواحد لو وضع بين
جماعة من الناس من عشرين فصاعدا لكفاهم ويطول مكث هذا الخبز الى
فخوشهر واكثر وهو في غاية الحسن وسبب تكميله عندهم له ذكر فالمتقرر
بينهم ان بعض العمال كان به في الرمن السابق دامت ولايته واشدد
سلطانه فمضى به بعض الكاهنين الى استاذة وادى انه استقل بلامر وخرج
عن الطاعة وحرصه على الفتك به فتحرك اليه استاذة بعسكرة فلما قرب
من نونس خرج العامل بذات نفسه وقيل انه ابن خراسان وصحب معه
رغيفا من اعجب ما يكون فلما وقعت بينه على استاذة نرحل وقبل بركا به
وأخرج ذلك الرغيف وناول له فاحضه من يده وقبله ورده الى صاحبه
ورجع من مكانه وقبل لخاصته هذا مستمر على طاعتنا والاشارة لذلك خطابه
باسن الحال ان هذا انعمت به علي فاس اذنته فهو مردود اليك فعام
حسن طويته ببقاء على عمله ورجع مسرورا فمن هناك استمر الحال على

لتكبير هذا الرغبة وقد يكون اتفق ذلك اليوم انه يوم عيد او انهم تفاءلوا
بسلامة عملهم بسبب ذلك الرغبة الى ان صارت لهم عادة في كل عيد
هذا هو المأثور بينهم ويعلم على طني غير ذلك وهو ان حريمهم اي حريم
هذه المدينة اكثر انهماكا من رجالهن ويكرهن الامتناع بالخدمة عدة ايام
بعد العيد فلماذا جمع بين الخبز والمروزية لطول بقائهما . وكذلك العادة
التي جرت بين اهل الحصرة ان مدة اعيادهم خمسة عشر يوما وهذا المعهود بينهم
وجرى العمل به وادركنا قبل اليوم ان اسوانهم لا تنتج الا بعد تمام الخمسة
عشر يوما وتكون ايام تنزهات خرج المدينة وتلاشى البعض وبقي البعض .
ومن ايامهم المسهورة اليوم العاشر من شهر المحرم يحتفلون له غاية الاحتفال
ويصرفون فيه اموالا وافرة في الاطعمة والفواكه وقل ان تجد من لا يصرف
شيء واو قل ولو حصر اتفق ذلك اليوم للمخفق مقدار غريبا وكذلك اليوم
الناسع منه يواطفون فيه على اكل الدجاج والطعام الذي يقال له الدويذة
وهو بمثابة الكدفة عند المصريين ولكن الدويذة اصنعت عند اهل الحصرة
ويعبرون عن طعامهم هذا فيقولون الفطير وما يطير ويعطون هذا اليوم وان
كان طيما الا انهم اكنوا في تعظيمه من سواهم ويرون الاتفاق فيه من
التوسعة على العيل وملازمة اكل الدجاج على جهة التطيب لان الحكماء
قالوا لا بأس به مرة في السنة والمداومة عليه تورث القروح اعادنا الله
منه . وكذلك جرت العادة بركة اموالهم يخرجونها في هذا اليوم ويلزمون
على حرمة والاتفاق فيه وتزين الحوانيت التي تساع فيها الفواكه اليابسة
ويكون لها منظر عجيب وتنفق الناس من مدهم على قدر اقدارهم حتى لا
يحلو مكان احد من الفاكهة الا القليل منهم . ولقد حضرت لرجلين نفخا
احدهما من الجزائر والاخر من تونس فقال التونسي للجزيري وددت ان
هذه الحوانيت يعني التي بها الفاكهة في يوم عاشوراء ترفع ليلا ونحط في
الحرائر فادا اصبح اهل الجزائر وراوجا على هذه الحلة ثم اعيدت ليلا الى
مكاتبها اظن ان نساءكم يطلقنكم ويتبين الى بلادن وهذه مبالغة اني بها

ومن رأى ذلك اليوم شهد بما قلناه وهذا من الايام المشهورة عند اهل تونس وتباع فيه من آلات الطرب والملاهي لصبيانهم بما لا حصر له وهذا من وفاهية عيشهم وانهماكهم وكذا جرت عادتهم وهي باقية الى الان ، ومن اعيادهم المشهورة ومواسمهم المذكورة ومسابيهم المشكورة تعظيمهم ليلة المولد الشريف وذلك لاجل محبتهم لمن ولد فيه وهو سيد الكائنات صلى الله عليه وسلم . واول من اعنى بتعظيمه في البلاد الغربية واطهر فيه شعائر الولادة المحمدية السلطان ابو عنان المريني شكر الله سعيه ثم اقتدى به بنو ابي حفص في الديار التونسية واولهم امير المومنين ابو فارس عبد العزيز وكان في اول المائة الثامنة واحتفل بتشييد شعائره هذا اليوم المبارك جعل الله ثوابه في صحائفه واطلم في ظل النجاة يوم لا ظل الا ظل عرشه واخذت به بنو ابي حفص من بعده ولم تزل عادتهم مستمرة على تعظيم عاملهم الله بنياتهم فانهم يظلمون ليلة الثاني عشر من شهر ربيع الاول وينشدون الاشعار في المكاتب ويحتفلون لتلك الليلة ويوزنون المكاتب وربما يجعلون ديدبانات وهي المعبر عنها بالاصطبلات وتقرأ فيها النخاميس وتنشد الابيات الشعرية التي تضمنت مدائح خير البرية وتوقد القناديل وتسرج الشموع وتكون تلك الليلة اشهر ليالي سنتهم ويصنعون الاطعمة الفاخرة احتسابا لله وربما يجعلها بعضهم للبهامة والتفاخر ولكل امرء ما نوى وتكون ليلة عظمى بدار نقيب الاشراف يحضرها الاجلة من الناس والقراء والفقهاء ويقع فيها السماع والانشيد بالمدائح النبوية ويهرع الناس اليها من اطراف البلد وتكون عندهم من الليالي العظمى ولنقيب الاشراف عادة ياخذها من السلطنة من زيت وشمع وما يحتاج اليه وهذه العادة جارية من زمن بني ابي حفص ودامت هذه الدولة عليها وادركنا قبل اليوم بلزاويتين المشهورتين القشاشية والبكرية محاسن جسة بحيث تدوم زيتهما خمسة عشر يوما لا تخليان من المدائح وتهرع الناس للشرج والبيت وقد نلاسى الحار ، واما غيرها فبحسب الامكان والافاق وهذا الشهر المبارك له حرمة

عند أهل الخضر لتعظيمهم لهذا اليوم زاد الله في حسناتهم وربما وقع فيه ما يذمه الشرع وذلك لجبل العوام ويرون ذلك صلاحاً وسن أراد تفصيل ذلك فليطالع المورد في اخبار المولد للعلامة جلال الدين السيوطي فخل في شفاعة الغليل . ومن ايامهم المشهورة اول يوم من شهر مايه فانهم ينشقون فيه اموالا لا تحصى ويتفخرون فيه بالاطعمة الفاخرة التي لا توصف ويكثرون من الانفاق فيه ويجتهدون في صناعة المرقاز حتى لا يخلو منه إلا مساكن الضعفاء ويكثرون من الرياحين والبقول ويبيع في هذا اليوم من النارج والليم الحلو والليمون بقدر ما بيع في السنة كلها ومن الحشايش مثل المحص والباقلان والخضراء والخس وغير ذلك ما يقوم بالمدينة سنة في غير هذا اليوم ويجعلون اخصاصاً في بيوتهم مزينة ويعبر عنها بالمجوانيت وتعلق فيها جميع البقولات والرياحين الموجودة حتى لا تحلوا دار من ديارهم من مثل ما ذكرنا إلا ما قل ويتجاوزون الى المغاني والآلات الطرب لما لا حد له وانهم اياهم في هذا اليوم اكثر من ايام الاعياد . وادركنا بعد الخمسين والالف من الهجرة مكاناً لهم عند باب الخضراء يسمونه بالوردة يجتمع فيه أهل الخلاعة والبطالة ويكثرون من المجنون هنالك من مغان ومطربين ومشعوذين وتباع فيه الفواكه اليابسة والحلوة وتخرج أهل الخلاعة ارسالا بعد صلاة العصر الى وقت الغروب ويكون هناك مفرج عظيم ابهج من ايام العيد ويستمرون على هذه الحالة خمسة عشر يوماً هذا ذابهم في كل سنة توارثوا ذلك خلفاً عن سلف وابطلت هذه الايام في زنس اسطاً مراد ثم اعيدت من بعده ولكن على غير هيئتها الاولى ثم ابطلها احد خوجة ولم تعد بعد . ولقد ادركت للقوم في هذه الايام خلاعة لم تكن لغيرهم في غالب المعمور في هذا المكان الذي يقال له الوردة ولم ادر لم سمي بهذا الاسم إلا انه بطني انه كانت به حديقة بالورد فسمي بها والله اعلم وانقرضت هذه الحالة ولم يبق إلا اسمها واما الذي يستعملونه في الديار فهو باق على حاله وبزيادة وعند النسوة تفاخر بينهم لما يبدون من الريشة والاطعمة ولم يعلم

احد من اهل المحصرة ما السبب لاطهار هذا اليوم إلا لنكرتهم فيه حيث
يقول هذا اليوم عيد لفرعون لعنه الله فكيف يعظمونه ويستدل بقوله
تعالى - موعدهم يوم الزينة - والمجيب عنهم يقول فيه نصر الله موسى عليه
السلام على فرعون وكل ليس تحته طائل لان غير مكلفين بهذا اليوم ولا هو
في شريعة غيرنا وهذا من خرافات العوام . وسمعت من مشيخة المحصرة
ما يقارب الظن وهو ان اول يسوم من شهر مايم نكس الشمس فيه
مصرة بالصبيان الذين هم دون البلوغ فلهذا يجعلون تلك الحوائث لتقي
صبيانهم الحر بحيث يلعبون فيها وتعتيمهم من اللعب خارج الديور وكذلك
يجعلون في انوف صبيانهم شيئا من القطران لحصية في راسهم والله اعلم .
ومنهم من يقول هذا اليوم هو النوروز ويحكم بصحته وليس عنده علم ما هو
النوروز ولا لاي شيء وضع في هذا اليوم ولم لم يكن في غير هذا الشهر ولم
اخص به هذا الشهر دون غيره الى غير ذلك إلا انها جلبة يجولون عليها
صدوا عن كبر الى يومنا هذا والذي صح عندي انه هو النوروز لاشك فيه
إلا ان النوروز كان في غير هذا الشهر ثم صار اليه ولذلك حكاية نطول
ولكن ناتي بعضها ليعلم من يقف عليها ان الاولين من اهل المحصرة لم تكن
افعالهم سدى وسيتلى عليك ان شاء الله تعالى ذكر اهل السير والاحمار ان
النوروز كلفت اعجمية معناها اليوم الجديد لان نو هو الجديد وروز هو اليوم
لان العجم يقدّمون المضاف اليه على المضاف واول من اطهر هذا اليوم
بارض فارس ملك من ملوك الفرس اسمه جمشيد من الطبقة الاولى من
ملوك الفرس الذين يقال لهم ابيشدا فيم وهو السوث من ملوكهم وكان قبل
ابراهيم عليه السلام وجمشيد معناه شعاع القمر لان جم اسم القمر وشيد اسم
الشعاع وكان ملك الافلايم السعته وملك السيرة الصلحة ورتب الناس
على طبقاتهم كالنخب والكسب والرم كل صاحب طبقة مكانه لا يتشغل منه
الى سواء وجعل النوروز عيدا يتنعم الناس فيه وكان صاحب عدل ووضع
لكل امر خائفا مخصوصا به فدائم الحرب مكتوب عليه الرفق والمداينة

وخسائم الخراج العدل والعمارة وخسائم البريد والرسل والامات الصدق والامانة وخاتم المغرم الاتصاف والسياسات وبقيت تلك الابار الى ان مجدها الاسلام وعاخر حاله تكبر وتجب وتترك السيرة الصالحة فتسخر عليه الخواص وقسام طيم بيوارسب فقتله واستقل مكانه . وكان النوروز اول يوم من يناير ويسمونه ايضا ديناه معناه ثرة الحول الجديد والمهرجان يجعلونه سادس عشر من برجمات هذا اصطلاحهم في ذلك الزمان واول سن احدهم من ملوك القبط بمصر مقلوش بن مقلوش وهو اول سن عبد البقر واستخرج الحكمة واول سن عمل العجل يجرب البقر وفي زمانه بنيت البهتسا من اعمال مصر ودام ملكه ثمة نمائة وثلاثين سنة ودفن في الاهرام الصغير ودفن معه من الاموال والعجائب شيء كثير منها اصنام مدبرة على الكواكب السبعة التي يرى بها الدفاتر والخسبات والفساد من الذهب والفضة وعشرة آلاف جام من ذهب وفضة والفساد لفنون الاعمال من الكيمياء وغيرها ولم اخبار غير هذه ليس هذا محلها وانما جذبت مساق الحديث . ونرجع الى ذكر النوروز . وامسا الصابيون فهو عندهم يوم دخول الشمس برج الحمل وهو من اعظم الاعياد عندهم لان الشمس حلت في برج شرفها ثم ان الفرس جعلوه في الخامس من حزيران لان فيه استواء الررع عندهم واذا حل خرجت العمال لاستنتاج الخراج . وكان هذا العيد عندهم لادراك الغلال يستبشرون بالسنة فيظهرون فيه من المأككل والمشارب ويتهادون بينهم ويهادون رواساءهم وهو من اعظم الاشياء عندهم ولم يرالوا على ذلك الى ان اى الله بالاسلام وهم باقون على حالهم . وفي اول الاسلام كانت السنون متقربا بعضها من بعض والزمان متقارب بين الشمسي والقمرى في حساب السنين وملت الاسلام خراج اهل دمتها وركاة اموالها ومواقيت حجهما بالسنة القمرية وجميع شعائر الاسلام كذلك . واما اعمار الغلال فتكون عند تمامها وحساباتها بالسنة الشمسية وايام السنة الشمسية ثلثمائة يوم وخمس وستون يوم وكسور فيكون التقابل بينهما احد عشر يوما على التقريب والروم

كانوا يكسبون سنينهم يوما في كل رابع من السنين وام الفوس فانهم يكسبون شهرا قاما بعد مائة وعشرين سنة فاذا انقضت هذه المدة ودخل شهر ايار الغرة ورجعوا الى حزيران فكان النوروز من الخامس من حزيران الى الخامس من ايار لا يتجاوز اكثر من ذلك . ول كانت خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان وكس عامله على العراق خالد بن عبد الله القسري وجاء وقت التكيس عند اهل العراق اعلموا خالدا المذكور فمنعهم فبذلوا له اموالا فامى وبعث الى هشام يخبره ويقول له هذا من الذي قال الله تعالى انما النسي زيادة في الكفر يصل به الذين كفروا يحلون ما و يحرمونه ما فاتاه الجواب بمنعهم فمنعوا وصار النوروز لا يتعدى زمانه وفيه يكون افتتاح الخراج والسنة تنقدم الى ان تتفاوت جدا . وفي ايام المتوكل على الله العباسي كانت سنة احدى واربعين ومائتين تحبى في سنة اثنتين واربعين ومائتين فتنبه لهذا الامر وامر ان تلتفى سنة احدى واربعين وتذكر سنة اثنتين ولولا خشية الاطالة لاستوفيت السبب في ذلك وكيف تنبه وفيه قصته يطول شرحها . وفي تلك السنة جيببت البلاد بذكر سنة احدى واربعين واثنين واربعين وخرجت بذلك الكتب الى العمال ومات المتوكل على الله ولم يتم له ما اراد ومن بعده رجع الامر الى الحالة الاولى . وفي خلافة المعتضد بالله جعل النوروز على حساب الروم وكذلك رتب المصريون حسابهم ووافقهم حساب الفبط وفي ايام المعتضد كانت سنة ست وسبعين ومائتين تحبى في سنة سبع وسبعين ومائتين فنقلت سنة ست الى سنة سبع . وكان المعتضد على الله العباسي اخر النوروز عن وقته ستين يوما وجرث جباية البلاد على هذا النمط وقدم المهرجان يوما واحدا ولم تزل خلفاء بني العباس يوخرون النوروز عن وقته عشرين يوما واكثر واقل ليكون سببا لتأخير الخراج . وفي خلافة المطيع لله العباسي وسلطنة معز الدولة بن بويه والوزير المهلبى كان النقل من سنة احدى وخمسين وثلاثمائة وكتب في ذلك العصر الصابي رسالته وادع فيها من الصناعة الفلكية ما يعجز عنه الكتبة وهي

رسالة مشهورة ولولا الاطالة لاوردتها بكمالها لخص مناعتها كما ان رسالة القاضي عبد الرحيم اليسانبي كثيرة الایجاز والاعجاز وكان هذا النقل اقل في الديار المصرية حتى كانت سنة تسع وتسعين واربعمائة تجري مع سنة احدى وخمسمائة وكذلك سنة خمس وستين وخمسمائة تجري مع تسع وستين وخمسمائة فنقلت برسالة من انشاء القاضي الفاضل عبد الرحيم المتقدم الذكر ورسالته موجودة في ايدي الناس ولولم يكن له من الرسائل الا هذه الرسالة لكفتم فخرا . وكانت الخلفاء من بني العباس وسلاطين وقته مولعون بايام النوروز وتعظيمه وكذلك الروساء والكتاب ولهم فيه مجالس انس مشهورة وتهدي لهم فيه الهدايا الجليلة وتمدحهم فيه الشعراء ولهم فيه الاشعار المستحسنه ومجالس الانس التي يتفاخر بها بعضهم على بعض وغير ذلك مما هو مشهور وجرت به دولة بني امية بالاندلس ولكن ليس لي علم به اي وقت كان عندهم الا ان لهم فيه مجالس مذكورة بين اكابرهم وهدايا جرت بها عاداتهم الى انقرض دولتهم . واصلا تونس حرسها الله تعالى فحساباتهم بشهور الروم وذلك انهم يكسبون يوما في السنة الرابعة فكان النوروز لا يتعدى وقته في كل سنة الا ان الفرس كانوا يجعلونه في الخامس من شهر ايار وابار هو شهر مايت بحساب الروم وانما يجعلونه في حزيران في السنة الكبيسة لانهم اذا اراوا تكبيس سنينهم كما جرت به عادتهم بعد المائة والعشرين سنة كما تقدم به الخبر جعلوا تلك السنة ثلثة شهورا فاذا صاروا في شهر حزيران الذي هو يونية بحساب الروم الغوا ذلك الشهر ورجعوا القهقري الى شهر مايت فلماذا كان اختلاف حال النوروز ضدكم كما ذكرنا ومنعهم خالد بن عبد الله الفسوي على فعلهم وزعم انه من النسي الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز والنسي المذكور غير هذا وليس هذا محل بيانته ونمشي اصطلاح النوروز في مدينة تونس اول يوم من شهر مايت لان غالب سنينهم بطيب فيها زرعهم وتخرج الجباة الى اطراف البلاد وكذلك جملة تمار تظهر في هذا الشهر واهل تونس يقولون تظهر يوم مايت

سبع غلال ويعدونها ولهم اختلاف في عددها وليس لهم في رصهم الا ظهور هذه الفواكه في هذا اليوم وجرت به العدة من زمن بني ابي حفص الى يومنا هذا ولولا خشية الاطالة لاتيتم بجملة من القصائد والمقطعات التي قيلت في النوروز وما ذكرت هذه النبذة الا ليعلم من يقف على كتابي هذا ان اهل المحصرة لم يكن عندهم مدى كل ما هو متعدل بينهم لان السلطنة في تونس كانت ضخمة وملوكها يعدون من الخلفاء وهذا مما هو مشهور عند اهل الامصار ولا انه لما تعيرت الدول جهلت مسائل كثيرة مما كانت عليه واندست قواعد كان الاهتمام بها وصعب الامر على ردها كما كانت عليه فمن بعضها ما يناسب النوروز مما كانت تهتم به الملوك في اول الرومان مثل النقل للسنين كما ذكرنا وهذا اليوم جاري وطن الساحل ويعنونه بالحوار وذلك ان جباة اعشارهم من الحبوب والزيتون تبيث عن مراتبها حتى انهم يذكرون في تذاكر اعشارهم سنة ثمان ولثمانين تجبي سنة احدى وتسعين ولم يشطرن احد الى هذا الامر وان نعاذى الحال على مر السنين تقاوم الى اكثر من ذلك وهذا من الازدلاف بسبب المسينة بين السنة الشمسية والقمرية لان القواعد تلتزم على حساب السنة القمرية والاعشار على حساب الشمسية فسقطت في كل ثلث وثلثين سنة شمسية سنة قمرية واستمر العمل بها واتسع الخرق على الراقع والكلام يطول ولكن جذبت المدة وفي هذا القدر كفاية والله اعلم بحقائق الامور وما تخفي الصدور ولهم اصطلاحات غير ما ذكرنا لو تتبعناها لطل بنا الاكسر وخرجنا من حد الاختصار . واما تعظيمهم ليلية النصف من وجب ويلية السابع والعشرين منه وكذلك ليلية النصف من شعبان ويلية السابع والعشرين منه ايضا لا يخفى على احد من الناس هذا التعظيم وان كل غيرهم مشاركة في هذه الايام فان عظيم اهل المحصرة اعظم من غيرهم وكذلك شهر رمضان المعظم قدرة فانهم يحتفلون فيه طيلة الاحتفال ويتقربون بواجبه وواجب حقه انم القيم ويختصمون في علب المساحد الثمراء العظيمة في صلاة الرازيح الا فيما قل من المساجد . وكذلك اعتدوهم

بغتم المسند الصحيح للامام البخاري رضي الله عنه وبقيته الاسانيد الستة
إلا أن البخاري عندهم أشهر وروايته أظهر وأن سكان غيرهم من المغاربة
يقدمون كتاب الامام مسلم بن الحجاج رضي الله عنه على كتاب البخاري
وكلهم على حقيقة وصحة . فاهل تونس لهم ولع بالرواية لكن المشاهير من
علمائهم وغيرهم مولع بالختم لا غير واردنا ان نقي بصورة الختم لئتم به الختم
ويحصل له حسن الختم ان شاء الله ولكن فاني ببعض ونذكر بعض علماء
الحضرة الذين ادركتهم في هذه الايام تبركا باسمائهم لانهم عرسان هذا الميدان
وعلماء هذا الشأن ولم انعرض لغيرهم ممن تقدم لكنهم وفواتهم وربما تمس
الحاجة لبعضهم فناني به عفو ان شاء الله تعالى * فمن المشاهير من علماء
الحضرة الشيخ الامام علم الاعلام القدوة البركة المتتدي به التبرك به المعمر
الذي الحق الاصاغر بالاكابر وتخرجت به جماعة من الاعلام في ايام حياته
ورأى من تلامذته ما قرئت به عينه وله الاساد العالي ورحل الى الديار
المصرية والاماكن الحجازية والتقى بالرجال واخذ عن جم غفير واجيز واجاز
وافاد واستفاد بالحرمين الشريفين وارض الحجاز الامجد الشيخ ابو العباس
احمد الشريف زاده الله شرفا وهو اليوم بركة هذا الاقليم ودارم لامادة الطالبين
مجا معه المبارك باراء دار الباث وهو من الحافظين على رواية المسند زاد
الله في علومه ونفع به المسلمين يبداء من اوله الى آخرة في مدة الثلاثة
اشهر الى ان يختتم على وفق المراد فيكون الختم على بابيه وهو حفظه الله
باق الى يومنا هذا متمتعاً بسمعه وبصره ملازماً للتدريس بجماعته المعروف
به ملاصف لدار الخلافة وهو في سن الشيخوخة في الثمانين وفيه خشوع
ورقة وتخرج به جماعة وسلكوا طريقته زاد الله في شانه بمنه وكرمه *
ومنهم الشيخ المعروف النحرير المخبر الخبير الفقيه المتكلم المطلق الحكم
المفوض العروصي الاصولي البياني الاديب المذهب الورع المرحب الذي
جمع بين العقول والمنقول مفتي الحضرة العلية وشيخ شيوخ البلاد الافريقية
المشهور في ادبه بابن نبائه الشيخ ابو عبد الله محمد عرف فتائته ابقي الله

بركته وقد تنعم بشي من ذكره ولا بأس بأعدائه تعظيما لقدره وهو باقى الى يومنا ملازما لافادة الطالبين وله عدة دروس منها في المسجد الاعظم وغيره مع ما ينظر فيه من مصالح المسلمين ونخرج به جم فقير وتصدروا في حياتهم لنفع المسلمين نفع الله ببركته * ومنهم شيخنا وصديقنا الشيخ الفقيه والخبير النبيه الوجيم الشيخ الامجد ابو عبد الله محمد عوف ابن الشيخ متصلي بعلوم شتى ملازم للاشتغال والافادة بجامعه المعلق بمقربة من سوق المختارين وبالمدرسة المنتصية وقد سبق التعريف به في اول الكتاب وهو من المحافظين على التعليم لعلوم الدين وتخرج به جمعة كثيرة وهو من بدار الشيخ احمد الشريف وبه تخرج واخذ عن جماعة غيره متع الله بحياته المسلمين * ومنهم الشيخ العلامة وحيد دهره وعريد عصره المتصرف في علوم كثيرة الا انه يعلم المطلق اشتهر من علم كشهرة ابيه من قبله بهذا الفن وهو مدرس بالمدرسة المرادية المحدثه عند باب الربع وهو وند من اوتاد العلماء الانجاد الحاج الشيخ ابو عبد الله محمد عوف الغماد راد الله في حسنا * ومنهم الشيخ الركة القدوة المدقق المحقق المتكلم الورع المتبرك به المشتهر بطورع في هذه البلاد الشيخ ابو الحسن علي عوف الغماد ابى الله بركته وهو من المدرسين في الجامع الاعظم من تونس وله درس بجامعه المشهور به في حرمه الدبابين وبالزاوية الخلفاوية في ربض باب السويقة متع الله المسلمين بحياته * ومنهم الشيخ العمر العلامة المتورع المتبرك به الشيخ ابو العباس احمد عوف المهدوي وهو لان خطيب بجامع الخلق قريبا من باب الجديد زاد الله في حسنا * ومنهم الشيخ الفقيه المثمن الورع العفيف الشيخ سعيد الشريف وهو من بدار الشيخين الشيخ سيدي احمد الشريف والشيخ سيدي محمد فتاة ونصدا في حياتهما للافادة بالجامع الاعظم وفيه وقار وسكينة زاده الله من فصله * ومنهم الشيخ الفقيه عبد القادر الجبالي وهو من المدرسين بالجامع الاعظم ومن تلامذة الشيخ فتاة وفيه نية وندين وعفاف * ومنهم الشيخ الفقيه المدرس

المشهور في علوم كثيرة إلا أنه بعلم الحديث الشريف أشهر الشيخ سعيد
 الحجز امام جوامع الخطبة خارج باب الجزيرة وفيه نية وتدين وحقاف
 زاده الله من فضلهم * ومنهم الشيخ الفقيه المدرس ابو عبد الله محمد عرف
 قويسم من اهل باب السويقة ولاهل روضه فيه اعتقاد * ومنهم الشيخ
 الفقيه المدرس المتكلم ابو القاسم الغماري من اهل باب السويقة ايضا امام
 بجوامع حومة الاندلس وفيه تدين * هؤلاء من مشاهير المالكية وغيرهم خلق
 كثير ونكن لم يبلغوا شأوى من ذكرنا وغيرهم لم يحصوني اسماؤهم إلا عند
 ذكرهم * ومن مشايخ الحنفية الشيخان الفقيهان الشيخ محمد بن شعبان
 امام جامع المرحوم يوسف داي وخطيب جامع المرحوم محمد باشا والشيخ
 مصطفى بن عبد الكريم المنفصل عن الفتيا وهو اليوم امام جامع المرحوم محمد
 باشا * ومنهم الفقيه النسيم الشيخ ابو الحسن علي عرف الصوفي عنده ملكة
 في العربية والصرف والفقه وعلم الحديث * ومنهم الفقيه الشيخ ابو
 الحسن علي كربصته مدرس بالمدرسة الشيعية وعنده ملكة في علم الحساب
 والميقات والفرائض ومختص بعلم الهيئة والهندسة * ومنهم الفقيه الشيخ
 ابو عبد الله محمد المبتار وهو راو للحديث في جامع القصبته * هؤلاء الذين
 بلغوا درجة الرواية للسند الصحيح وغير هؤلاء جماعة يتعاطون الرواية وانما
 دخلوا بمخالفهم بين ذوي الاقتناص واكثرهم يس بناء وغوام ولم يكن بالديار
 التونسية من يوم حل بها العسكر العثماني من تعاطى الرواية والدراية إلا
 الشيخ العالم العلم الرباني الشيخ ابو عبد الله محمد باج العارفين العثماني
 سقى الله ثراه من صوب الرحمة والرضوان وكان مجلسه بالجامع الاعظم من
 اجل المجالس وتحضرة الاجلاء من اهل العلم وتندور بينهم المباحث الجميلة
 في العلوم الجليلة ولا يحلو مجلسه من فوائد في الثلاثة اشهر رجب وشعبان
 ورمضان الى يوم الختم وهو اليوم السادس والعشرون من رمضان ثم تلاه ولده
 العلم الشهير والعالم التحرير الشيخ ابو بكر فيسار بسيرة والده وقام بعلم الحديث
 الشريف احسن قويم وشهد له بالدراية علمه الاسلام فكان في هذا الفن

فسيح وحده وحصل له سر أبيه ومركته جده الى ان سار الى رحمة ربه
في سنة ثلث وتسعين والفت تغيرت تلك القعدة وصارت رواية لا
غير وجرت بها العادة للتبرك وانقطعت المدة من السير لان ولديه لم
يبلغا مبلغه ولا سعيهما إلا ان الله تبارك وتعالى من بمن اقام مقامه
بملازمة الرواية للتبرك بالمحدث النبوي وهو الشيخ العالم العامل البركة
سيدي علي الغماري فسبح الله في مدته هو الذي يتعاطى الرواية في
الجامع الاظم الى يومنا هذا والله الحمد ، وحيث بلغا في خاتمة الكتاب الى
ذكر ختم البخاري الشريف وجب ان نذكر صورة الختم عسى ان يحصل لي
مبركة الختم ومجديته الختم والختم ان شاء الله تعالى لا اله غيره ولا خير
إلا حيرة وهو نعم المولى ونعم النصير *

الفصل الرابع

في تعظيم اهل المحصرة لختم البخاري

ولهم اهتمام عظيم يحصل للشيخ لذلك اليوم غاية الاحتفال ولهم اماكن معلومة
وايام معدودة بحيث يكون يوم كذا في المسجد العلاني ضد الشيخ فلان فتهرع
الناس الى محله وتوقد الشموع وتسرج القناديل ويختر المكان بنواع الطيب
وقد نكلم الوالد رحمه الله على تعظيم اهل افرقيته لختم البخاري وله في
ذلك تصنيف سماه ناهب الراوي الفصيح لفتح الجمع الصحيح ونقل عن
اشياخه من العلماء جلته من عادات المحدث واستفتاح مجلس الاملاء ثم
قال واستحسن الشيوخ ضد الاملاء استفتح مجلس الاملاء بقراءة قري لشيء
من القرءان العظيم ثم يستنصت لسماع الحديث ثم قل قلت وعليه عمل
الناس اليوم بفرقيته عند ختمهم للبخاري يقرأون قبل افتتاح المحدث من
سورة الملك الى سورة صم الى اخر سورة من قصار المفصل ويختتمون بأية

الكروسي وءاخر البقرة ويصلون على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقرأ
الراوي الحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ولختم جامع البخاري
في القيروان بلدن شان عظيم ومشهد كريم . ومن تعظيمهم له واجلالهم اياه
انهم يشتغلون به عن اهم شيء من جميع اشغالهم ويفلقون حوائثهم وينادي
المنادي قبل ذلك الا ان الختم لجامع البخاري غدا صباحا او عشية في موضع
كذا فيفزع الناس ويشارعون لذلك وتشارع له النساء والصبيان والخواص
والعوام ويبدأ الراوي بما فيه تعظيم لجناب رسول الله صلى الله عليه وسلم
من بعض سيرته ومعجزاته حتى يحصل لذلك صحيح برفع الصوت بالصلاة
عليه والتسليم ثم يذكر مواظ ودقتق ويخوف الناس حتى يكون ويندمون
على ما فرطوا في جنب الله تعالى في ايامهم السالفة وربما حصل للذنوب
بسبب ذلك التوبة ثم يذكر بعد ذلك من سعة رحمة الله تعالى ثم يصلي
ويسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يختم بالجامع الصحيح فربما
اشتغلوا بذلك من طلوع الشمس الى قرب الزوال . واما عمل اهل تونس
بخلاف ذلك فلا يقرأون الا ءاخر الجامع الصحيح او ءاخر الشفا للقاضي
صياص بعد ان يستفتحوا بقراءة القرءان العظيم وعمل اهل القيروان اخص
واهم وعمل حضرة تونس اخصر والله تعالى ينفع كل احد بنيته وكل بحسب
سحته وقوته واجتهاده لينفق ذو سعة من سعته ثم ذكر كل ترجمة وما
يناسبها ثم قال وعادة اهل تونس ان يشتكوا مجلس الختم بترجمة كلهم الرب
مع اهل الجنة ومنهم من يبتي بباب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
وروايته عن ربه عز وجل وعادة اهل القيروان منهم من يبتي بباب الماهو
بالقرءان مع الكرام البررة ومنهم من يبتي بترجمة باب بل هو قرءان
بييد في لوح محفوظ ومنهم من يبتي بترجمة باب والله خلقكم وما تعملون .
انتهى باختصار منه . قلت هذا قبل اليوم واما في هذا الزمان اختصروا
بزبدة عما كان قبل لان هذه الرتبة لا يصل اليها الا زيد وعمر وفي هذه
الايم تصدر اليها حالد وبكر لمحبتهم للمهابة وليقال فلان من الرواة .

فام الامائل فلم يروونه إلا احتسابا لله ويدأومون على روايته الثلاثة اشهر
 فذا كان يوم الختم جعلوه على بابه وبعضهم لم يتعاط شيئا من ذلك إلا
 انه يحتفل ذلك اليوم ليدهي من اربابه حتى أن بعضهم يمكث من اول
 السنة يجمع في اقوال العلاء ويحفظها باللوح فاذا جاء ذلك اليوم املاها
 من حفظه وسودها ولو سأل احد في ذلك الجمع عن مسالة لعجز ان يسندھا
 وهذا في بعض من تكون مباشرته للختم بوقاحة منه واستجراة وإلا
 فالاجلاء من اهل الحضرة حاشاهم من هذه الرتبة الغير الموصية وغلبهم منزلة
 عن الرتبة الدينية والدنيوية فاذا حضر يوم الختم تكون عليه سكينته
 ووقار ويلوح عنه نور الحديث الشريف ويكون يومه يعد من الاعمار فاذا
 اتي على ما املاه ختم مجلسه بحديث الشيخ ثم يسبح الله تعالى ويأتي
 ببعض المواظ مما يناسب ذلك المحل ثم يدعو بما يتقبل الله منه ويومن
 على دعائه اقوام باصوات مرتفعة بقولهم اللهم ءامين يا رب العالمين فاذا
 كان في ءاخر التامين قالوا اللهم ءامين يا رب العالمين وسلام على المرسلين
 والحمد لله رب العالمين ثم تقرأ الفاتحة عدة مرار بما يقتضيه المحل
 وينصرف ذلك الجمع بعد ان يتبل اكثرهم على ذلك الشيخ ويهتونه ويتركون
 به ويكون له جمال في ذلك المجلس والله تعالى يجاوي كل احد ينيته وهو
 المطاع على ما في طوبته ولكل امرء ما نوى ، ولختتم هذا الختم بحديث
 الختم الذي جاء عن سيد البشر ونطق به وما ينطق عن الهوى وهو قوله
 صلى الله عليه وسلم كلمتان حبیبتان الى الرجان حفيقتان على اللسان ثقيلتان
 في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ، اللهم يا قابل الدعوات
 ويا مقيل العثرات اسالك بحبيبك وصفيك محمد صلى الله عليه وسلم افصل
 ولد عدنان والاحاديث التي وردت في هذه الليلة المباركة واخبرت بانك
 تقسم فيها الارزاق ونجيب فيها الدعاء والاستغدر ولها شان بين الليالي
 واي شان اسالك الاجابة وان تغفر ذنبي وتستر عيبي وترحم شبي وان لا
 تراخذني بما فرطت ولا بما رقت وجمعت وان تعاملني بحلمك ورحمتك

في الدنيا والاخرة انك اهل التقوى واهل المغفرة وكما فتحت لساني بكلمة
التوحيد في الابداء اجعل ختامي بها عند الختام يا رب العالمين .
وكان الفراغ من هذا التعليق ليلة النصف من شعبان المبارك سنة اثنتين
وتسعين و ألف من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام وعلى
عالمه واصحابه ازكى التحية ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم *



فهرس الكتاب



صحيحة

- ٠٠٦ الباب الاول في التعريف بتونس
- ٠١٥ الباب الثاني في التعريف بافريقية
- ٠٢٢ الباب الثالث في فتح جيوش المسلمين افريقية
- ٠٥١ الباب الرابع في الدولة العبيدية
- ٠٧١ الباب الخامس في الامراء الصنهاجية
- ٠٩٥ الباب السادس في الدولة الحفصية
- ٠٩٥ الفصل الاول منه في ذكر من تولى من الخلفاء في المغرب ممن بلغ
درجة الملك ولم يبلغ درجة الخلافة الخ
- ٠٩٦ بنو امية
- ٠٩٩ الادارسة
- ١٠٢ المرابطون
- ١٠٧ الموحدون
- ١٠٩ وفاة المهدي

- ١٢٢ الفصل الثاني في تن تولى من بني ابي حفص
١٢٧ بنو مريين
١٣٢ صاحب كتاب تحفة الارب في الرد على اهل الصليب
١٥٤ خير الدين باندا
١٦٩ الباب السابع في الدولة العثمانية
١٩١ صمان داي اول الدايات
١٩٢ مجي اهل الاندلس الى افريقية
٢١٥ البايات محمد باي
٢٢٧ مراد باي ابن محمد
٢٣٤ محمد باي وعلي باي ولدا مراد
٢٣٥ محمد الحفصي
٢٦٨ بناء القنطرة
٢٧٢ الخاتمة الفصل الاول منها
٢٨٢ الفصل الثاني في حوادث ظهرت في الديار التونسية الخ
٢٨٧ الفصل الثالث في ما تميزت به الديار التونسية الخ
٣٠٠ الفصل الرابع في تعظيم اهل المحصرة لختم البخاري



تم الكتساب

بعون الملك الوهاب



لما لكم السعادة والسلامة وطول العمر ما هملت غمامة
وما طلعت نجوم بنات نعش وما فاحت على غصن يمامة



۲۲۵۸	واقفیه
۳۳۳	فقه
۱۲۱	تألیف

الحمد لله وحده

ببستان ما يوجد الآن في المطبعة من
الكتب للبيع



كتاب الموطأ للإمام مالك رضي الله عنه
كتاب واسطحة السالك في سائر الملوك
كتاب سلوان الطاع في أدوار الأساع
كتاب لونه السلكي وذمعه المكي
كتاب مناقب الأئمة الأربعة رضي الله عنهم
كتاب تعلم المتعلم طريق التعلم للإمام الرزوي
ومسافر فريب أن شاء الله تعالى نفع من طبع
تاريخ الزركشي وعمدة ابن رطب وحاشيته
الصبان على مصام النخ الخ

